فن التشبيه

بين النظرية والتطبيق
دراسة في ديوان صريع الغوانى
مسلم بن الوليد الأنصارى

دكتورة
أمينة محمد سليم
أستاذ البلاغة والنقد المساعد
ورئيس قسم البلاغة والنقد
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
بالإسكندرية

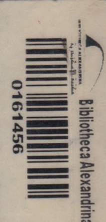
تقديم

الأستاذ الدكتور

حمد عبد الغفار عبيد

الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

سكندرية - جامعة الأزهر



الدار المصرية
الإسكندرية ت : ٥٠٣٤١٥٠

فن التشبيه

بين النظرية والتطبيق

دراسة في ديوان صريع الغواني

مسلم بن الوليد الأنصاري

دكتورة

أمينة محمد سليم

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

ورئيس قسم البلاغة والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف بالكتاب

للأستاذ الدكتور / أحمد عبيد

عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية

* دراسة فنية نقدية بلاغية، تناولت أصول التشبيه فى الأساليب العربية مع تطبيقها على ديوان "مسلم بن الوليد الأنصارى" ١٤٠ هـ - ٢٠٨ هـ. الذى اشتهر بلقب صريع الغوانى، وهو من الرعيل الأول لشعراء العصر العباسى الأول، اقتفى أثر "بشار بن برد" فى التجديد فى جميع أغراض الشعر، ويُعد أشهر من كان لهم ولوع بالبديع فى غير تكلف. وقد أجاد فى ألوان الغزل، والشراب، والوصف.
* هذه الدراسة أبرزت فنون التصوير والخيال التى برع فيها "مسلم بن الوليد الأنصارى". وكانت نموذجًا احتذاه الشعراء من بعده، وفى مقدمتهم "أبو تمام الذى بلغ فى البديع الغاية، وأربى على النهاية، ومنهم أيضًا "دعبل بن على الخزاعى"، وكان شعر مسلم نبعًا صافيًا اغترف منه شعراء الأندلس الذين صوروا البيئات المترفة.
* نال "مسلم بن الوليد الأنصارى" تقدير الخلفاء، وكانت له مكانة مرموقة فى بلاط الخليفة العباسى "هارون الرشيد" كما كانت له قدم راسخة بين نجوم الشعر الذين حفلت بهم مجالس الخلفاء والأمراء، وكان شعره موضع مطارحات نقدية وتذوقية عديدة ذكرها صاحب الأغانى، وكتب الأدب والنقد.
* حرصت هذه الدراسة على إبراز القيمة الفنية فى شعر "مسلم بن الوليد الأنصارى" فى الأغراض المتعددة التى تناولها، من خلال الموازنات النقدية بينه وبين من سبقوه إلى تناول هذه الأغراض.
* أفردت الدراسة فصلاً لإيضاح أوجه الاتفاق والافتراق بين "مسلم بن الوليد" و"أبى تمام" الذى سار على دربه فى البديع.
* تعد هذه الدراسة الوحيدة فى تخصص البلاغة والنقد بين النظرية والتطبيق لهذا الشاعر.

إهـــداء

إلى زوجي

الذي شاركني رحلة الكفاح والمعاناة

وكان هو الدافع وراء نجاحي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى لا إله إلا هو والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين،

وبعد،

فموضوع هذه الرسالة هو "فن التشبيه فى ديوان مسلم بن الوليد" موضوع بكر يسد مكانًا خاليًا فى المكتبة العربية، والدوافع الأساسية التى حدت بى إلى اختيار هذا الموضوع، اعتقادى فيما يمكن أن تؤديه هذه الدراسة الفنية النقدية لشعر هذا الشاعر من معطيات تساعد على تفهم أكثر عمقًا ونضجًا له، مما يمكن الدارس من الوقوف على أساس يتسم بالمنهجية والتذوق الجمالى للعمل الفنى.

ويعتبر هذا البحث بداية للدراسة الفنية الخاصة بفن التشبيه للصورة الشعرية لهذا الشاعر الذى يعتبر رائدًا لمدرسة البديع، وإن كان قد سبقه "بشار بن برد" فى طلب البديع فى شعره، ثم جاء بعدهما أبو تمام وأسرف فى صوره البديعية حتى أصبحت تميل إلى الغموض، ولكنى أعود فأقول إن مسلمًا كان معتدلاً فى ورود صيغ البديع فى شعره، وكما يقول النقاد : «إن البديع إذا جاء عفو الخاطر لا يفسد الشعر، أما إذا عمد الشاعر إلى تكلفه واتخذه همه فإنه يفسد الشعر».

ولذا كان مسلم بن الوليد من الشعراء الموهوبين الذين تفننوا فى الصور الفنية الجمالية، سواء كانت تشبيهات رائعة -وهى موضوع دراستنا- وجاء منها الحسى والعقلى والمفرد والمركب والمتعدد. وقد حفل شعر مسلم بالخيال الرائع لكنه لم يتعدَّ بيئة الشاعر وهى بيئة مترفة كما نعلم لأنه من أوائل شعراء العصر الذهبى للأدب فى الدولة العباسية وهى فى أوج مجدها وعظمتها.

ومن الصعوبات التى قابلتنى أن هذا الشاعر على الرغم من أنه رائد مدرسة البديع إلا أنه لم يأخذ حقه من الشهرة وذيوع الصيت كباقى شعراء عصره، وقد تفوق عليه تلميذه أبو تمام بالشهرة.

أيضًا لم يأخذ حقه من حيث تناوله فى الرسائل الجامعية التى تبحث فى مادة البلاغة، مما جعل الطريق فى هذا البحث غير معبد، ولكن على الرغم من هذا كله لا

يكاد يخلو مرجع من مراجع تراثنا الأدبى واللغوى من ذكر شيء ولو يسير عن هذا الشاعر، الأمر الذى جعل مهمتى فى هذا البحث تزداد صعوبة.

وقد استعنت فى هذه الدراسة بمجموعة متنوعة من المصادر والمراجع :

أولها : ديوان الشاعر حيث قمت فيه بجولات كثيرة، لكل منها لون خاص وطابع جديد يتناسب مع معالجة الشاعر للصورة، فمرة مع الحس التراثى فى صوره، وثانية مع الواقع الحضارى فى لوحاته، وثالثة مع ذاته، وغير ذلك مع خياله وقدراته الفنية ومقوماته الجمالية فى الأداء الشعرى. ولقد أفادت هذه الجولات حين خرجت منها بجملة من صوره تستحق التصنيف والتوزيع على فصول الدراسة.

ثانيها : مجموعة المصادر القديمة التى استقيت منها المادة التى تتعلق بالشاعر وهى قسمان:

الأول : ما يتعلق منها بأخبار مسلم ومجالسه وما كان يحدث فيها من منافسة وملاحاة بين الشعراء، وهذا أفادنى كثيرًا فى دراسة صوره.

الثانى : يتعلق بالأحكام النقدية التى أصدرها النقاد القدماء حول بديع مسلم وتصنيفه وفنه الشعرى بشكل عام.

ثالثها : مجموعة المراجع الحديثة التى تتعلق بالدراسات النقدية والأدبية، وهى أقسام :

الأول : دراسات عربية حول عصر الشاعر وجوانب من فنه الشعرى.

الثانى : دراسات عربية كان همها التأصيل للتشبيه والصورة الشعرية بمفهومها النظرى.

رابعها : دواوين الشعراء القدماء وقد أدرجتها ضمن مصادر البحث، وقد حاولت استشارتها فى كشف الحد الذاتى بالرجوع إلى صور سابقيه، ولاسيما أن فى هذا البحث فصل بعنوان "التشبيه بين أيدى البلاغيين"، وفصلين بعنوان "الأغراض التى ساق فيها الشاعر تشبيهاته"، و"منازع التشبيه عنده"، مما جعلنى أعقد موازنة نقدية بين تشبيهاته وتشبيهاتهم فى المعانى المشتركة بينهم، ابتداء من العصر الجاهلى مرورًا بعصر صدر الإسلام ثم العصر الأموى فالعصر العباسى الأول وهو عصر الشاعر.

خامسها : مجموعة الدوريات التى أفدت مما نشر فيها من مقالات حول الدراسة الفنية للشعر بشكل عام أو دراسة الصورة بشكل خاص.

وقد أفدت من تنوع تلك المصادر والمراجع والدواوين والدوريات فائدة كبرى فيما يتصل بالجوانب النظرية والتطبيقية فى البحث، فمنها وقفت على حياة الشاعر وأخباره وعلاقاته وأوضاعه الاجتماعية وظروفه النفسية وغيرها، مما يعين على تفسير المسائل المتعلقة بالطبيعة النوعية لكل صورة من صوره الشعرية على حده.

وقد اقتضى البحث منى أن أسير على منهجين هما :

أ - المنهج التاريخى الذى تتبعت بمقتضاه قضية التشبيه بين أيدى البلاغيين.

ب- المنهج التذوقى النقدى الذى استطعت به أن أميز صور التشبيه عند مسلم بن الوليد، وعناصره، وصوره، وتأثيره فى الشعراء اللاحقين له.

وقد توزع البحث على تمهيد وخمسة فصول وخاتمة، ويشتمل التمهيد على :

أ - التشبيه بين أيدى البلاغيين، وضحت فيه منزلته الرفيعة عند القدماء والمحدثين.

ب- تعريف موجز بحياة الشاعر.

الفصل الأول :

وضحت فيه صور التشبيه فى شعر مسلم بن الوليد من حيث الطرفان والوجه والأداة وأغراض التشبيه التى جاءت فى شعر الشاعر، ووضحت فيه آراء العلماء، وكذلك ما وقع فى شعر الشاعر من تشبيه ضمنى ومقلوب، وناقشت فيهما آراء العلماء كذلك التشبيه التمثيلى والرأى الذى سرت عليه من بين آراء العلماء.

وكان تناول مسلم للتشبيه المفرد الطرفين أكثر من المركب والمتعدد، وتناول المركب أكثر من المتعدد، وهذا يدل على أن الشاعر له مقدرة فائقة فى استخدام الصورة الشعرية وتطويعها لخياله حسبما يرى، ولأن التشبيه المركب يتميز بكثرة التفاصيل.

أما التشبيه المتعدد الطرفين فلم نجد عند الشاعر سوى تشبيهين فقط -لذلك أستطيع أن أقول إن تشبيهات شاعرنا جاءت متنوعة كما تفاوتت بين القلة والكثرة إلا أن كلاً منها جاء فى موضعه بدقة حيث لاحظ مسلم السياق.

أما باعتبار الوجه، فقد تناول التشبيه التمثيلي بكثرة في شعره، مما يجعلنا نقول إن هذا الشاعر خصب الخيال، متمكن من ناصية قلمه تارك لخياله العنان في رسم لوحاته الرائعة سواء كانت منها وصفًا للمرأة أو وصفًا للخمر أو ما جاء منها على سبيل الوصف في السفينة أو الصحراء أو الناقة وغيرها من الصور التي وضحها من خلال ديوانه. واستخدم الشاعر التشبيهات البعيدة أكثر من التشبيهات القريبة، وذلك لميله إلى البعد والغرابة والدقة مع كثرة التفاصيل الموجودة فيها.

كذلك نراه يتناول التشبيهات المجملة أكثر من المفصلة لعموم الظاهر في وجه الشبه.

أما الأداة فقد تناول التشبيهات المرسلة أكثر من المؤكدة، وأكثر من استعمال "كأن" على الرغم من أن الشاعر قد استخدم الأدوات جميعها، حيث برز ذلك من خلال بحثنا في الأداة، فنراه استخدم الأدوات الآتية على الترتيب، وهي : الكاف وكأن ومثل ومثيل وشبه وشبيه وشاكهه وأفعل التفضيل وتخال وتحسب، كأني، نظير.

ومن خلال توضيح هذه الصور وتحليلها، وجدت أن التشبيهات الحسية أكثر من العقلية، ولو أنه لم يغفل التشبيه بالوجه العقلي.

كما تناولت التشبيهات الضمنية والمقلوبة التي ظهرت في شعر مسلم وبينت آراء العلماء فيها، ومما هو جدير بالذكر تناولي لأغراض التشبيه عند الشاعر من تزيين وتشويه واستطراف وبيان مقدار، وبيان حال وبيان إمكان المشبه، ثم ذكرت آراء العلماء في كل نوع والفروق الفنية في كل غرض.

أما **الفصل الثاني** : فموضوعه الأغراض التي ساق فيها مسلم بن الوليد تشبيهاته، وقفت وقفة متأنية أمام المعاني التي استخدمها الشاعر في سياق تشبيهاته، منها العقلي ومنها الحسي ومنها المعاني الوصفية، عاقدة موازنة نقدية بين هذه المعاني عند شاعرنا وعند من سبقه من الشعراء، كما وازنت أيضًا بينه وبين لاحقيه ومعاصريه من الشعراء في هذه المعاني، وبينت وجهة نظري في كل تشبيه على حدة، مما جعلني أنظر نظرة حيادية، فلم أكن في صف شاعرنا وهضم حق الشعراء الآخرين، بل ناقشت هذه المعاني والتشبيهات مناقشة موضوعية، فأعطيت لكل ذي حق حقه.

وكما هو معلوم من نشأة "مسلم بن الوليد" أنه نشأ في حضارة الدولة العباسية

الأولى، فقد كان أميل إلى الوصف لحسى المادى أكثر من الوصف العقلــى، وواضــح أن أوصافه العقلية مسبوق بها من الشعراء خصوصًا وصفه فـى الكـرم والشـجاعة والعـدل، وأن أسلوب "مسلم" يتميز بالدقة أحيانًا والجزالة حينًا آخر.

أما أوصافه الحسية فهى فى :

المرأة فى شعر مسلم :

أبدع فى وصفها فشبهها بالغزال فــى قـده ورشـاقته وشـبهها بالمهـا فـى جمـال العيـون، كمـا شـبهها بالظبيـة فـى الالتفاتـة ولم يفتـه أن يُعـدد أنـواع الغـزلان كبيرهـا وصغيرها، فوصفها بالشادن والخذول والبقرة الوحشية، ولم ينس أن يصف كـل أعضـاء المرأة فقد استوفاها جميعًا، حتى إننى لم أكن مبالغة إذا قلت إنه يعتبر بحقق مخططًا للغــزل الأندلسى[1]، وذلك لرقة الإحساس ورهافة الشعور، وهو بذلك لم يـأتِ بأشـياء خـارج بيئته بل كلها من وحى الواقع الذى عاشه الشاعر.

الخمر فى شعر مسلم :

فإذا انتقلنا إلى وصف الخمر، فلا يفوتنا أن ننوه ببراعة الشاعر وتفوقـه فـى هـذا المضمار، حيث وصف مجالس الشراب وأباريقها وألوان الخمر قبـل المزج بالمـاء وبعـده، كما وضح هيئتها وشكلها عند نزولها من الخابية، ورسـم لهـا صـورًا متعـددة، كمـا أنـه شبهها بالدر والياقوت، وخلع عليها معارف إنسانية، فجعلها بكرًا وجعل لها بعلاً وجعل لها خطيبًا يطلب ودها ويدفع مهرها.

كل هذه الأشياء تعتبر من قبيل التجديد فى الخمريات، حيـث إن هـذا الفـن لم يكن حديثًا، وإنما هو فن قديم طالعنا به صناجة العرب الشاعر الجـاهلى الأعشـى، لكنـه اتخذ شكلاً آخر فى العصر العباسى مـع اتسـاع الفتوحـات ودخـول عنـاصر غـير عربيـة حاضرة الدولة الإسلامية.

الوصف فى شعر مسلم :

فإذا تتبعنا أغراض الشاعر التى جاءت فى سياق التشبيه وجدنا أنه أحرز قصب

---

(١) [illegible] والشعراء لنف[illegible] مصطفى الشكعة، طبع بيروت، ص ٢٦٧.

السبق أيضًا فى مضمار الوصف، فرأيناه يصف السفينة كأن مقدمتها رأس ثور مخيف، ويصف مؤخرتها بالجناحين كما يصفها بأنها طائر العقاب فى سرعته وقوته، كما أنه لم ينس على الرغم من وجوده فى بيئة حضارية أن يصف لنا الصحراء، وما يمكن أن يتعرض له مَن يسير فيها مِن مخاوف ومخاطر، كما أنه رسم لوحات خيالية للشراب والناقة التى لم يرد فيها غير تشبيه واحد هو وصفها بالظبية التى تهرب من قوس القناص، وكأنه يصفها بالخفة والضمور فى آن واحد.

أما إذا نظرنا فى **الفصل الثالث**، وهو منازع التشبيه عند الشاعر، وجدناه يقول فى كل الأغراض واصفًا الرجل فى جوده بالبحر والسحاب والمطر وفى شجاعته بالأسد والليث، وكلها أوصاف منتزعة من بيئة الشاعر.

فإذا تتبعنا أوصافه فى الرجل أيضًا وجدناه يصفه بالموت فى أنه ينال ما يعيا ويعجز عنه الرجال كالموت مستعجلاً يأتى على مهل، وصفه أيضًا بالسيف فى قوة مضاءه وحدته، وصفه بالبدر كذلك، وكلها مأخوذ من البيئة أيضًا.

فإذا تتبعنا أوصافه فى المرأة، وجدناه يصفها بكل الأوصاف التى وصفها بها الشعراء السابقون عليه، وأقول إنه استمدها من البيئة، ولكنه أظهر تفوقًا وبراعة فى مستوى الاستخدام اللغوى والتوظيف البديعى المناسب للسياق و لم يتكلفه حتى كأننا نرى أن المعانى هى التى طلبت هذه الألفاظ الرقيقة الجميلة التى تشع بالتفاؤل والأمل والحيوية كما أنه أغدق الحركة فى لوحاته فجاءت متدفقة حية كأننا نراها بأعيننا.

كما أنه لم ينسَ أن يصف المرأة من خلال بيئته فشبهها بالجلنار وبالأقحوان والزهر والنرجس، وكلها أوصاف لا يتأتى وجودها إلا فى حاضرة مثل الحاضرة العباسية خصوصًا وأنه كان قريبًا من قصور الخلفاء والأمراء، فنجده يصف قدها بشجر البان فى الاستواء ويصف جمالها بالمسك، كما أنه يصف ريقها بالشهد والأقحوان، ويصف ثناياها بالاستواء واللؤلؤ المنضد، كما أنه وصف الخمر بالدر، والياقوت، والزبرجد، والذهب، والقبس واللهب.

وكلها عناصر منتزعة من البيئة التى يعيشها الشاعر.

ويأتى **الفصل الرابع**، وهو ازدهار الصنعة البديعية فى شعر مسلم وانعكاس هذه الصنعة على صور التشبيه. تناولت منها بالتحليل القصائد التى قالها فى أغراض متعددة من شعره باعتباره رأس مدرسة من مدارس البديع كما قال عنه النقاد.

فإذا جاء **الفصل الخامس**، وموضوعه التشبيه بين مسلم بن الوليد وأبى تمام، عقدت فيها موازنة نقدية بينهما، موضحة المعانى التى استفاد منها التلميذ مقتفيًا أثر أستاذه فيها. مرجحة فى ذلك شاعرنا باعتباره الرائد وهو السابق إلى هذه المعانى.

ثم وضحت فى الخاتمة النتائج التى انتهيت إليها فى كل فصل على حدة.

وختامًا لهذه المقدمة، وقبل أن أبدأ رحلتى مع المفاهيم النظرية والدراسات التطبيقية لصور مسلم، لا يسعنى إلا أن أسجل كل شكرى وتقديرى لأستاذى الفاضل فضيلة الدكتور / عبد العزيز عبد المعطى عرفه، فعلى هدى توجيهاته شققت هذا الطريق، ابتداءً من التصورات الأولى للعمل وانتقالاً إلى مرحلة المعاناة التى عشتها مع الصورة الفنية للشاعر، فكان فضيلته الموجه لى والمعين على احتياز هذه المراحل، و لم يبخل بكلمة فى وضع بصمات الإرشاد والتوجيه التى أنارت أمامى الطريق وساعدتنى على المسير.

حقيقة لا أستطيع إلا أن أقرها، فقد كان نعم الأستاذ الموجه صاحب الصدر الرحب الذى حين أرشد ووجه كان كما صور مسلم :

يُمْضِى الأُمورَ المُشْكِلاتِ عُيُونـها وَمَحَلُّ مُعتَلِجِ الضَّمِيرِ رَحِيــبُ

وحين لا أستطيع أن أجيد التعبير عن شكرى، يسعفنى مسلم معينًا لى فيقول :

أُقَـصِّرُ عَنْ أشياء وَالشُّكْرُ جَاهِدُ وَحَسْبُكَ مِنْ شُكْرِ امْرِئٍ غَيْرِ مُؤْتَلِ

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأعضاء اللجنة الموقرة، وهم أساتذى الأجلاء، فضيلة الأستاذ الدكتور / محمد عبد الرحمن الكردى نائب رئيس جامعتنا الموقرة، وفضيلة الأستاذ الدكتور / عبد القادر حسين محمد.

وفى النهاية لا أدعى هذا البحث الكمال. فالكمال لله وحده، وحسبى أننى بذلت فيه ما رزقنى الله به من طاقة وما هى إلا محاولة إنْ حققت هدفها فهذا ما أتمناه، والفضل كله يرجع لله وحده

تمهيد

١- التشبيه بين أيدي البلاغيين

اتفق الأدباء على شرف التشبيه في فنون الكلام، وأنه إذا جاء في أعقاب المعاني أفادها كمالاً وأكسبها حلة وجمالاً، والذي يتأمل أشعار العرب يجدها حافلة بصور التشبيه الرائعة، ففي العصر الجاهلي نجد امرأ القيس يشبه فيبدع في قوله[1] :

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا ... كَجُلْمُود صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ[2]

يقول : إنّ هذا الفرس لفرط ما فيه من لين الرأس وسرعة الانحراف ترى كَفَلَهُ في الحال التي ترى فيها لَبَبَهُ، فهو كجلمود صخر دفعه السيل من مكان عالٍ، فإن الحجر بطبعه يطلب جهة السفل لأنها مركزه، فكيف إذا أعانته قوة دفع السيل من علٍ، فهو لسرعة تقلبه يرى أحد وجهيه حين يُرىَ الآخر[3].

يقول :

لَـهُ كَفَلٌ كالدِّعِص لَبَّدَهُ النَّدَى ... إلى حَارِكٍ مِثْلِ الغَبِيطِ المُذأَّبِ

فقوله : "كالدعص" هو الكثيب الصغير من الرمل، وقوله : "لبده الندى" أي باشره الندى فتلبد واشتد و لم يتساقط، فشبه الكفل به على هذه الحال، والغبيط : الهودج وهو مشرف، والمذأب : الموسع، شبه الحارك به لارتفاعه وسعته، و"إلى" هنا بمعنى "مع".

ثم نسمعه يقول[4] :

١- كأنَّ عُيونَ الوَحشِ حَوْلَ خِبائِنا ... وَأرْحُلَنا الجَزْعُ الذى لَمْ يُثَقَّبِ

فقد شبه عيون الوحش لما فيهن من السواد والبياض بالخرز، وجعله غير مثقب، لأن ذلك أصفى له وأتم لحسنه، مع أن التشبيه على هذه الحال أصح وأتم إذا كانت عيون الوحش غير مثقبة.

---

[1] ديوان امرئ القيس، دار المعارف، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ص٤٧.

[2] المكر : سريع الكر -يقال : كر الفارس على العدو، بمعنى حمل وانقض. والمفر : سريع الفرار، وعل بمعنى فوق.

[3] الإيضاح مع البغية، ج٣، ص٣٠، لعبد المتعال الصعيدي، المطبعة النموذجية.

[4] ديوان امرئ القيس، ص ٥٣، ٥٤.

ونسمعه يقول :

٢- كأنَّ دِمَــاءَ الهَادِياتِ بنَحْـــرِهِ   عُصَارَةُ حِــنَّاء بشَــيْبٍ مُخَضَّــبِ[١]

يقول : هذا الفرس معتاد للصيد، فهو يزاحم الوحش ويلصق بها، فـإذا طعنـت صار الدم على نحره، وإنما خَصَّ الشيب لأن خضـاب الشيـب لبياضـه أثبـت أثـرًا وأشـد حمرة من غيره.

أما لبيد بن ربيعة العامرى فقد وقع فى شعره تشبيهات، منها قوله[٢] :

دِيَارٌ لَهَــا بالرقْـمَتَيْــنِ كأَنَّهــا   مَراجِعُ وَشْمٍ فى نواشِــرِ معصــم

الرقمتان : إحداهما قرب المدينة والأخرى قرب البصرة، مراجع وشم : ترديـده ليثبت، النواشر : عصب الذراع وأحدها ناشرة. فقـد شبـه آثـار الديـار الموجـودة فـى هذين الموضعين بوشم ترجعه أى تردده حتى يثبت فى كفها.

وقوله[٣] :

وَلَهم حُــلومٌ كَالجِــبالِ وَسَــادةٌ   نُجُــبٌ وَفَــرْعٌ مَاجِــدٌ وأَرُومُ

فقد عبر عن سعة حلمهم وعقولهم الراجحة بصـورة مادية هـى صـورة الجبـال العالية، ويشبه كذلك سماحة أخيه وكرمه بالمطر يسقى الأرض ويكثر خيرها.

وقوله[٤] :

وَجَلاَ السيولُ عَنْ الطُــلول كَأنَّهــا   زُبُرٌ تـجِـــدُّ مُـتُـونَهــا أقْلاَمُهــا

فقد شبه الطلول التى غسلتها الأمطار وأزاحت التراب المتراكم عليهـا بـالكتب التى طمست كتابتها، وبعد عهدها بكاتبها، وشبه السيول التى غسلتها بالأقلام تجدد مـا انطمس من معالمها.

ويقول[٥] صاحب العمدة منه شبه الطلول بالزبر والســيول بالأقــلام، بل زاد

---

[١] ديوان امرئ القيس، ص٥٥.

[٢] ديوان لبيد ابن ربيعة العامرى، تحقيق د. يحيى الجبورى، طبع تعاونيات بيروت، نشر مكتبة الأندلـس ببغـداد، ص٢٥٩.

[٣] المصدر السابق، ص٤٣٢.

[٤] المصدر السابق، ص٤٣٣.

[٥] العمدة لابن رشيق القيروانى، ص٢٩٠ [illegible].

فشبه جلاء هذه من هذه بتجديد هذه لتلك.

أما الأعشى[1] فيقول فى مدح شريح بن حصن بن عمران بن السموءل بن عادياء :

كَالغيثِ ما اسْتَمْطَرُوه جَادَ وَابلُـهُ   وعِنْدَ ذِمَّتِهِ المُستأسِدِ الضَارى

فقد شبه الممدوح بالغيث عندما يجود وابله، ومثل الأسد الضارى فى شجاعته.

٣- وقوله [2] :

كَأنَّ نَعَامَ الدَّوِّ بَاضَ عَليهم   إذَا رِيعَ شَتَّى للصَّرِيخِ المُنَدَّدِ

الدو : المفازة، والصحراء. ريع : من راعه؛ أى أفزعه. شتى : مفرقون. الصريخ : المغيث والناصر، وهو كذلك المستغيث. فقد شبه هؤلاء القوم فى ثباتهم بالنعام باض فوق رؤوسهم إذا سمع صريخ مرتفع.

أما أوس بن حجر فلنستمع إلى تشبيهاته

فيقول[3] :

١- كأنَّ رِيقَتَها بَعدَ الكَرَى اغتبقَتْ   مِن مَاء أصهبَ فى الحانوتِ نَضَّاحِ

اغتبقت : شرب الخمر، ويقال لها الغبوق؛ أى شرب الخمر مساء. فقد شبه ريق محبوبته بعد النوم بالخمر الصهباء.

٢- أو مِنْ مُعتَّقَةٍ وَرْهَاءَ نَشْوَتُها   أَوْ مِنْ أنابيبِ رُمَّانٍ وَتُفَّاحِ

يقول الشاعر أن ريق محبوبته كالخمر المعتقة أو كأنابيب الرمان والتفاح.

وقوله[4] :

قد نِمْتَ عَنِّى وَبَاتَ البَرقُ يُسْهِرُنِى   كَمَا استَضَاءَ يَهودىٌّ بِمِصبَاحِ

فقد شبه سهر البرق باستضاءة يهودى بمصباح لأن مصباح اليهودى يرمز له بازدهاره طول الليل كما يظل البرق سهرانا.

---

[1] ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، تحقيق د. محمد حسين، نشر مكتبة الآداب بمصر، ص٧.

[2] المصدر السابق، ص ١٩١.

[3] ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ص١٤.

[4] المصدر السابق، ص١٥.

ولما جاء عصر الإسلام واتسعت رقعة الدولة الإسلامية تغيرت الصور لدى الشعراء وسار الشعر مواكبًا للدعوة الإسلامية حافلاً بالتشبيهات الرائعة، فهذا حسان بن ثابت يقول[1] :

كأنَّهم أُسْدٌ لَدَى أشْبُلِ يَنْتَهِتْنَ فى غيلٍ وأجْزَاعِ

فقد شبه الممدوحين بأنهم أُسد يرفعون أصواتهم فى جزع وألم.

ويقول[2] :

كأنَّ عَيْنَىَّ إذْ وَلَّتْ حُمُولُهُمُ فى الفَجْرِ فَيْضُ غُرُوبٍ ذَاتِ أتْرَاعِ

فقد شبه عينى هذا العاشق بأنها دلاء مملوءة بالماء كما أن عينه مملوءة بالدموع لترك هؤلاء الأحبة.

وقوله[3] :

مُبَارَكٌ كضِياءِ البَدْرِ صُورَتُهُ ما قَالَ كانَ قَضاءً غَيْرَ مَرْدُودِ

فقد شبه هذا الممدوح بأنه مبارك مثل ضياء البدر، كما أن قوله لا يرد لأنه يعتبر كالقضاء الذى لا يرد.

والأمويون يشبهون كذلك، فيجيء تشبيههم رائعًا، فلنسمع إلى قول جرير[4] :

١- فَوَارِسُنَا من صُلْبِ قَيْسٍ كأنَّهُمْ إذا بَارَزُوا حَرْبًا، أسنَّةٌ صُلَّبِ

شبه الشاعر هؤلاء الفوارس أو الفرسان بأنهم إذا بارزوا حربًا كانوا كالأسنة الصلبة.

وهذا الفرزدق نسمعه يقول :

١- مِثْلَ النُّجُومِ، أمَامَها قَمَرٌ لَهَا يَجْلُو الدُّجَى وَيُضىء لَيْلَ السَّارِى[5]

---

[1] ديوان حسان بن ثابت، تحقيق د. سيد حنفى حسين، مراجعة حسن الصيرفى، سنة ١٩٧٤، طبع الهيئة العامة، ص٣٣٣.

[2] ديوان حسان، ص٢٥.

[3] المصدر السابق، ص ٢٤٢.

[4] ديوان جرير، دار صادر للطباعة والنشر، سنة ١٩٦٤، بيروت، ص٢٠.

[5] ديوان الفرزدق، المجلد الأول، نشر دار صادر، بيروت، ص ٣٠٦، ج١.

هؤلاء الممدوحين مثل النجوم فى ضيائها الأفق، كما أنه يتقدمهم قمر يضىء فى الظلام ويجعل ليل السارى مضاءً مثل النهار.

وقوله :

تَبَسَّمُ عَنْ غُرٍّ عِذَابٍ كَأَنَّها أَقَاحُ تَرَوِّيها الذِّهاب اللَّوَامِعُ[1]

يقول إن تبسم محبوبته عن أسنان بيضاء عذبة تشبه نور الأقاح، واستخدم أداة التشبيه كأن ليتخيل لنا ثغر هذه المحبوبة نورًا حقيقة.

ولما جاء العصر العباسى، وجدنا التشبيه هو الأداة المفضلة عندهم، فهذا بشار ابن برد نسمعه يقول :

١- وَلَهَا مَبْسمٌ كَثَغْرِ الأَقَاحِى وَحَدِيثٌ كَالْوَشْيِ وَشْىَ البرودِ[2]

فى هذه الصورة التى أمامنا، يشبه الشاعر تبسم ثغر محبوبته أو شفاهها بالأقاحى، كما أن حديثها موشى ذو "رقوم وطرائق"[3] .

ويقول أيضًا :

٢- وكَأَنَّ رَجْعَ حَدِيثِها قِطَعُ الرياضِ كُسِينَ زَهْرَا[4]

وأيضًا يشبه حديثها بأنه قطع الرياض مكسوة بالزهر.

فالعصر العباسى سادته حالة من البذخ العميم ومن الترف حتى أدركت الشعراء والعلماء واللغويين، وكثر الوشى والتنميق والترصيع وشاع التفنن فى بناء الأبنية وزخرفتها وعم اللهو والمجون وظهر أثر ذلك فى الشعر، فهذا ابن المعتز يقول :

والأُقْحُوانَ كَالثَّنايَا الغُرِّ قَدْ صُقِلَتْ أَنْوَارُهُ بِالْقَطْرِ[5]

ففى هذا التشبيه عكس الشاعر الصورة أو التشبيه، فالأصل أن تكون الثنايا كالأقحوان، ولكنه شبه الأقحوان بالثنايا الغر لمحبوبته.

---

[1] ديوان الفرزدق، ص ٤١١، ج١.

[2] ديوان بشار بن برد، ص٨٠، تحقيق السيد بدر الدين العلوى، دار الثقافة الهند بعليكره.

[3] أساس البلاغة، ص ١٠٢٢.

[4] ديوان بشار بن برد، ص١١٨.

[5] ديوان أشعار الأمير أبى العباس عبد الله بن محمد المعتز با لله الخليفة العباسى، ج٢، ص٣٢، دراسة وتحقيق د. محمد بديع شريف، دار المعارف.

ويقول :

كأنمـــا حَبَابَهــــــا الْمَنْثُــور   كَواكِــــــبٌ فِى فَلْكٍ تَــــــدُور[1]

يشبه حباب الخمر فى نثره وبعثرته بالكواكب التى تدور فى فلك.

ويقول :

وَكَأْسٍ كَأَنَّ الْمَاءَ صَاغَ لِرَأْسِهَا أَكَالِيـلُ   قَــــــدْ نُظِمْنَ مِنْ لُؤْلُؤٍ رطــــبِ[2]

فقد شبه الكأس وقد قرعها الماء كأنه صاغ لها أكاليل من لؤلؤ توضع كالتاج على رأسها.

وفى أوائل القـرن الثانى الهجرى انتشر الإسلام ودخل الناس فى دين الله أفواجًا، واتسعت رقعة اللغة العربية وكثر عدد المتكلمين بها وكثر الاختلاط ففشا اللحن وضعفت الملكات واحتاج الناس أن يدرسوا اللغة العربية كما ندرسها اليوم.

ثم هب العلماء يجمعون اللغة من البادية ووضعوا العلوم المختلفة كعلم النحو والصرف واللغة، ثم ألفوا الكتب لشرح الأساليب العربية التى خفيت على الدارسين.

فنرى أسلوب التشبيه من الأساليب التى اهتم بها العلماء منذ القدم، فصاحب الكتاب المتوفى سنة ١٨٠هـ يذكر فى تضاعيف كتابه بعض مباحث علم البيان، كالتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية وغير ذلك. وعندما تناول التشبيه[3]، والتمثيل منه بصفة خاصة، لم يتناوله منفردًا، بحيث قصد أن ينبه إلى هذا النوع من التعبير، وإنما تحدث عنه من خلال موضوع آخر، ففى باب استعمال الفعل فى اللفظ لا فى المعنى لاتساعهم فى الكلام وللإيجاز والاختصار، يضرب للتشبيه التمثيلى مثالاً قوله تعالى : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً﴾[4]، فلم يشبهوا بما ينعق[5]

---

[1] نفس المصدر السابق، ج٢، ص٣٢.

[2] نفس المصدر السابق، ج٢، ص٢١٣.

[3] أثر النحاة فى البحث البلاغى، د. عبد القادر حسين، نشر دار نهضة مصر للطباعة والنشر بالفجالة.

[4] سورة البقرة، آية ١٧١.

[5] الكتاب لسيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج١، ص٢١٢.

وإنما شُبِّهوا بالمنعوق به. وإنما المعنى مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق بـه الذى لا يسمع، ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى.

وأبو عبيدة المتوفى سنة ٢١٠هـ الذى ألف كتاب مجاز القرآن وكـان سبب[1] تأليف هذا الكتاب هو مسألة بيانية فى التشبيه، حينما استقدمه الفضل بن الربيع حاجب الرشيد، وجلس فى مجلسه فى بغداد، فحضر إلى المجلس "إبراهيم بن إسماعيل الكـاتب"، فسأل إبراهيم أبا عبيدة عن قوله تعـالى : ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾[2] ، وإنمـا يقـع الوعد والإيعاد بما قد عرف[3] ، وهذا لم يعرف، فقال أبـو عبيـدة : إنمـا كلـم الله تعـالى العرب على قدر كلامهم، أما سمعت قول امرئ القيس :

أَيَقْتُلُنِى والمَشْرَفِىُّ مُضَاجِعِى ... وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كأَنْيابِ أغْوَالِ

وهم لم يروا الغول قط، ولكنه لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به، فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل. واعتقدت[4] من ذلك اليوم أن أضع كتابًا فـى القـرآن فى مثل هذا وأشباهه، وما يحتاج إليه من علمه، فلما رجعت إلى البصيرة عملـت كتـابى الذى سميته المجاز، وسألت عن الرجل، فقيل لى : هو من كتـاب الوزير وجلسـائه، وقـد عرض أبو عبيدة للتشبيه فى كتابـه مجـاز القـرآن[5] ، يقـول فـى قولـه تعـالى ﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾[6] ، وفى آية أخرى : ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾[7] . فالحيـات أجنـاس فيهـا الجـان وغير ذلك، والأفعى ومجازها كأنها جان من الحيات ومجاز الأخـرى فـإذا هـى حيـة مـن الجان.

---

[1] نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لأبى البركات الأنبارى، تحقيق د. عطية عامر، استوكهلم، ص٦٤، ٦٥.

[2] سورة الصافات، الآية ٦٤.

[3] نزهة الألباء فى طبقات الأدباء للأنبارى، ص٦٦.

[4] نزهة الألباء فى طبقات الأدباء، لأبى البركات الأنبارى، تحقيق د. عطية عامر، استوكهولم، ص ٦٤، ٦٥.

[5] مجاز القرآن لأبى عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق محمد فؤاد سزكين، ج٢، ص١٠٣.

[6] سورة القصص، آية ٣١.

[7] سورة طه، آية ٢٠.

وفى قوله تعالى ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾[1] أى كالجبل.

وفى قوله تعالى : ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[2] ، مجازه مجاز قولك إلا كخلق نفس واحدة وإلا لبعث نفس واحدة أى كأحياء نفس لأنه إذا قدر على ذلك من بعض يقدر على بعث أكثر من ذلك إنما يقول لها : كونى فتكون، وإذا قدر على أن يخلق نفسًا يقدر على خلق أكثر من ذلك.

وبعد فهذه نظرة أبى عبيدة للتشبيه الذى ذكره ضمن كتابه مجاز القرآن، فهو يطلق على التشبيه قوله "ومجاز".

ثم عرف الفراء[3] المتوفى سنة ٢٠٧هـ، أسلوب التشبيه ويوضح المشبه والمشبه به ووجه الشبه، يقول فى قوله تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾[4] : «أضاف المثل إلى الذين كفروا ثم شبههم بالراعى و لم يقل كالغنم. والمعنى وا لله أعلم مثل الذين كفروا كمثل البهائم التى لا تفقه ما يقول الراعى أكثر من الصوت، فلو قال لها ارعى واشربى لم تدر ما يقول لها، فكذلك مثل الذين كفروا فيما يأتيهم من القرآن وإنذار الرسول، فأضيف التشبيه إلى الراعى، والمعنى وا لله أعلم فى المرعى.

ونلتقى بعد ذلك بالجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ صاحب التصانيف فى كل فن، وهو يرى أن التشبيه من الصور البيانية التى لها دورها الخطير فى التعبير الفنى، فنراه يقف أمام صوره كثيرًا ويوضح أركانه ووجه الشبه، فهو يعلق على قول امرئ القيس :

كأنـّـى غـَـداةَ البَيْنِ يَـوْمَ تَحَمّلــوُا   لَدَى سَمُراتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَــلِ[5]

---

[1] سورة الشعراء، آية ٦٣، مجاز القرآن، ج٣، ص٨٦.

[2] مجاز القرآن، ج٣، ص١٢٨، وسورة لقمان، آية ٢٨.

[3] معانى القرآن للفراء، ج١، ص٩٩، تحقيق أحمد يوسف نجاتى ومحمد على النجار، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، والطبعة الثانية.

[4] سورة البقرة، الآية رقم ١٧١.

[5] الحيوان لابى عثمان بن بحر الجاحظ، ح٢، ص ١٣٥، تحقيق هارون، الطبعة الثانية نشر الحلبى سنة ٦٥.

يقول : يخبر عن بكائه، ويصف درور دمعته فى أثر الحمول، فشبه (نفسه) بناقف الحنظل.

ورأى أن يكون وجه الشبه أتم منه فى المشبه بـه، وأن يكون المشبه بـه أشـهر بوجه الشبه من المشبه، يقول : هذا والحمار هو الذى ضـرب بـه القـرآن المثـل فـى بعـد الصوت[1] ، وضرب به المثل فى الجهل، فقال : ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ فلو كـان شىء من الحيوان أجهل بما فى بطون الأسفار من الحمار، لضرب الله به دونـه، ويجىء ابن قتيبة ت سنة ٢٧٦هـ ويفتح للتشبيه بابًا بعنوان "حسن التشبيه"، وذلـك فـى كتابـه عيون الأخبار[2] .

يقول فى قول ابن الزبير الأسدى فى الثريا :

وَقَـدْ لاَحَ فِي الغَـوْرِ الثُّرَيَّا كأنَّمَـا ... بِـهِ رَايـةٌ بَيْضَـاءُ تَخْفِـقُ للطَّعْـنِ

فشبه الثريا حين تدلت للمغيب براية بيضاء خفقت للطعن.

وقول النابغة الذبيانى[3] :

نَظَـرتُ إليْكَ بِحَاجَـةٍ لَمْ يَقْضِـهَا ... نَظَـرَ المَرِيـضِ إلى وُجُـوهِ العُـوَّدِ

يقول : نظرت إليك و لم تقدر أن تتكلم، كما ينظـر المريض إلى وجـوه عـواده ولا يقدر أن يكلمهم. ويخلط ابن قتيبة التشبيه بالاستعارة، ولعل السبب فى هذا الخلـط أن الاستعارة لم تكن متميزة فـى ذهنـه كمـا كـانت عنـد سـلفه الجاحظ، فقـد أطلقهـا الجاحظ على التشبيه والمجاز والبدل والاشتقاق وقيام الشىء مقام غيره. ولقد وجدنا ابن قتيبة يطلقها على التشبيه، فيجعله من الاستعارة.

قوله تعالى : ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾[4]

وواضح أن هذه الآية من التشبيه البليغ.

---

[1] الحيوان، ص ٢٥٥، ج٢، الجاحظ.

[2] عيون الأخبار لابن قتيبة المجلد الأول، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، بيروت، المجلد الأول، ص١٨٦.

[3] المصدر السابق، ج١، ص١٨٩.

[4] تأويل مشكل القرآن، شرح السيد أحمد صقر، الطبعة الثانية، دار التراث بالقاهرة لابن قتيبة، ص١٤١.

وقد اهتم اللغويون بالتشبيه كثيرًا لأنه يخدم أغراضهم اللغوية ولكنهم فى الوقت نفسه تحسسوا جماله، فأعجبوا بطرافته، ومن هنا جاءت دراسة المبرد المتوفى سنة ٢٨٥هـ، فقد افتتحها بقوله[1] : وهذا باب طريف نصل به هذا الباب الجامع الذى ذكرناه وهو ما مر للعرب من التشبيه المصيب والمحدثين بعدهم، فأحسن ذلك ما جاء بإجماع الرواة، ما مر لامرئ القيس فى كلام مختصر أى بيت واحد من تشبيه شىء فى حالتين بشيئين مختلفين، وهو قوله :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا ويَابِسًا لَدَى وَكْرِهَا العُنَّابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِى

فهذا مفهوم المعنى، فإن اعترض معترض فقال : فهلاً فصل فقال "كأنه رطبا العناب"، و"كأنه يابسا الحشف"، قيل له : العربى الفصيح الفطن اللقن يرمى بالقول مفهومًا ويرى ما بعد ذلك من التكرير عيًّا.

ولعل المبرد أول من قسم التشبيه إلى أربعة أضرب[2] : تشبيه مفرد، وتشبيه مصيب، وتشبيه مقارب، وتشبيه بعيد، ومثّل لكل نوع، وبيّن دور التشبيه فى التعبير الفنى كما وضح أركانه وقال عنه : التشبيه جار كثير فى كلام العرب حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد[3].

قال الله عز وجل -وله المثل الأعلى- ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾

وقال لبيد بن ربيعة[4] :

طَوِيلِ الْبَاعِ أَبْيَضَ جَعْفَرِىّ بِمَا لَدَيْهِ كَرِيمُ الْمَجْدِ كَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ

أما ثعلب ت سنة ٢٩١هـ[4] فقد ألّف فى الشعر كتابه "قواعد الشعر" تحدث فيه عن الشعر وأركانه وفنونه وأقسامه، ونثر فيه بعض المسائل البلاغية كالتشبيه الذى

---

[1] الكامل لأبى العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد، مكتبة المعارف، ص٤٠، ٤١، ج٢.

[2] المصدر السابق، ص١٠١، ج٢.

[3] الكامل، ص ٧٩، ج٢، سورة النور، بعض آية ٣٥.

[4] الكامل، ص٦٠، ج٢.

[4] قواعد الشعر لأبى العباس أحمد بن يحيى، شرح محمد عبد المنعم خفاجى، الطبعة الأولى سنة ١٩٤٨، (الحلبى) ص٣٣.

جعله من أغراض الشعر، فيقول : التشبيه الجيد هو الخارج عن التعدى والتقصير، كقول امرئ القيس :

إِذَا ما الثُّريَّا فِي السماءِ تَعَرَّضَتْ　　　تَعَرُّضَ أَثْنَاءِ الوِشَاحِ الْمُفَصَّلِ

فقد شبه تعرض الثريا فى السماء بتعرض أثناء الوشاح المفصل على وسط المرأة، والتشبيه هنا محذوف الأداة، والتقدير كتعرض أثناء الوشاح المفصل.

وكقول زهير بن أبى سلمى يصف ظعائن[1] :

بَكَرْنَ بُكُورًا واسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ　　　فَهُنَّ وَوَادِي الرَّسِ كَالْيَدِ فِي الْفَمِ

ويُروَى كاليد للفم[2] واستحرن ببقية الليل، وكاليد للفم يقول : يقصدن لهذا الوادى ولا يَجُرْنَ كما لا تجور اليد إذا قصدت للفم، ولا تخطئه، ومن روى كاليد فى الفم، يقول : دخلن الوادى كدخول اليد فى الفم.

وقال حاتم الطائى يصف ثغر امرأة[3] :

كَأَنَّ وَمِيضَ البَرْقِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا　　　إِذَا حَانَ مِنْ بَعْضِ الْحَدِيثِ ابْتِسَامُهَا

فقد شبه وميض البرق فى لمعانه وانطفائه بابتسامتها إذا جاءت أو تخللت فى حديثها.

أما ابن المعتز ت سنة ٢٩٦هـ، فذكر حسن التشبيه و لم يزد فيه على من سبقه و لم يتعرض لبيان أركانه ولا وجه الشبه، ولكنه نبه على أحسنه، يقول : ومن عجائب التشبيه قول عدى بن الرقاع[4] :

تُزْجَى أَغَنُّ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ　　　قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادُهَا

فقد شبه قرن الغزالة فى دقة طرفه ولونه الأسود بالقلم الذى أصاب المداد من الدواة.

---

[1] نفس المصدر السابق، ص٣٣.

[2] ديوان زهير بن أبى سلمى، نسخة مصورة للهية العامة للكتاب، سنة ٤٤، القاهرة-بيروت، ص١١.

[3] قواعد الشعر لثعلب، ص٦.

[4] البديع لابن المعتز، تحقيق كراتشقوفسكى، طبع دار المسيرة سنة ١٩٥١، ص ٧١، ليننجراد.

ومن التشبيه الحسن قول البحترى[1] :

تُخْفِي الزُّجَاجَةُ نُورَهـا فكَأَنَّهـا فِي الكَـفِّ قَائِمَـةٌ بغَيْرِ إنَـاءِ

فقد صوَّر الكأس وهى مملوءة بالشراب كأنها قائمة على الكف بغير إناء، وهو تشبيه لطيف.

ومن التشبيه قول أبى نواس[2] :

تَبْكِي فَتُذْرِي الدُّرَّ مِـنْ نَرْجِـسٍ وَتَلْطِـمُ الْـوَرْدَ بعُـنَّابِ

فقد شبه دموع هذه الفتاة الباكية بالدر المتحدر من زهرة النرجس وتلطم الورد أى خدودها التى تشبه الورد بعناب وهى أطراف أصابعها التى تشبه العناب.

وهذا أيضًا من التشبيهات الجميلة حقًا.

ويجيء ابن طباطبا العلوى، ت سنة ٣٢٢هـ[3] ونجد أن التشبيه أول مقياس بلاغى يلقانا فى كتابه عيار الشعر وهو عنده على ضروب مختلفة منها تشبيه الشىء بالشيء صورة وهيئة، كقول امرئ القيس :

كَأَنَّ عُيُونَ الوَحْـشِ حَـوْلَ خِبائِنَا وَأَرْحُلِنَا الجزْعُ الذِى لَمْ يُثْقَـبِ[4]

ومنها تشبيه الشيء بالشيء لونًا، كقول امرئ القيس :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْـرِ أَرْخَى سُدُولَـهُ عَلَـيَّ بِأَنْـوَاعِ الْهُمُـومِ لِيَبْتَلِي[5]

فالتشبيه الأول يشبه الشاعر بعيون الوحش فى استدارها ولمعانها بالجزع الذى لم يثقب.

أما التشبيه الثانى : فقد شبّه الليل بسواده بموج البحر.

ونرى ابن طباطبا يلاحظ الفروق بين أدوات التشبيه فما كان من التشبيه

---

[1] البديع لابن المعتز، ص٧٣.

[2] البديع لابن المعتز، ص٧٤.

[3] عيار الشعر لابن طباطبا العلوى، ص١٧، ١٨، المكتبة التجارية تحقيق د. طه الحاجرى، د. محمد زغلول سلام.

[4] عيار الشعر، ص١٨.

[5] عيار الشعر، ص١٨.

صادقًا قلت فى وصفه : كأنه، أو قلت : ككذا، وما قارب الصدق قلت فيه : تراه، أو تخاله، أو يكاد، فمن التشبيه الصادق قول امرئ القيس :

نَظَرتُ إليهَا وَالنُجُومُ كأَنَّهَا مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ تُشَبُّ لِقفَّالِ[1]

فشبه النجوم ومواقعها من السماء بتفرق تلك النيران واجتماعها فى مكان بعد مكان على حسب منازل القفال من أحياء العرب. ويهتدى بالنجوم كما يهتدى القفال بالنيران الموقدة لهم[2].

وأما تشبيه الشيء بالشيء صورة لا معنى فكقول النابغة[3] :

فَإنَّكَ كَاللَّيْلِ الذِى هُوَ مُدْرِكِى وَإنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ

فقد شبه الشاعر -الملك النعمان بالليل فى إدراكه كل شخص أيضًا، فإن الملك له هذه الصفة.

وأما تشبيه الشيء بالشيء حركة وبطئًا وسرعةً فكقول امرئ القيس :

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ[4]

فقد شبّه الشاعر فرسه فى إقباله وإدباره وسرعته معًا كأنه صخر سقط من أعلى الجبل بفعل السيل دفعة واحدة.

وأما تشبيه الشيء بالشيء لونًا فكقول الأعشى[5] :

وَسَبِيئَة مما تُعَتَّقُ بَابِلُ كَدَمِ الذَبِيحِ سَلَبْتَهَا جِرْيَا لَهَا

فقد شبه الخمر المعتقة ببابل، وهى بلد من بلدان العراق المشهورة بصناعة الخمر بدم الذبيح.

أما قدامة بن جعفر ت سنة ٣٣٧هـ فيقول إن التشبيه[6] إنما يقع بين شيئين

---

[1] عيار الشعر، ص ٢٣.

[2] عيار الشعر، ص ٢٣.

[3] المصدر السابق، ص ٢٤، ٢٥، عيار الشعر.

[4] المصدر السابق، ص٢٦.

[5] عيار الشعر، ص٢٦.

[6] نقد الشعر، تحقيق د. عبد المنعم خفاجى مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى، ص١٢٤.

بينهما اشتراك في معانٍ تعمهما ويوصف بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منها بصفتهما ثم أشار إلى أن أحسن التشبيه مما كان بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها حتى يدني بهما إلى حال الاتحاد.

ثم يسوق أمثلة للتشبيهات الحسان، ويعلق عليها ببيان المشبه والمشبه به والجهة المشتركة بينهما التي قصدها الشاعر من إيراد تشبيهه ثم يذكر أنه : قد يقع في التشبيه تصرف إلى وجوه تستحسن، فمنها أن تجمع تشبيهات كثيرة في بيت واحد والألفاظ يسيرة، كقول امرئ القيس[1] :

لَهُ أَيْطَلاَ ظَبىٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَإِرْخَاء سَرْحَانٍ وَتَقْرِيب تَتْفُلِ

يقول أبو هلال العسكري[2] هذا إذا لم يحمل على التشبيه فسد الكلام، لأن الفرس لا يكون له أيطلا ظبي ولا ساقا نعامة ولا غيره مما ذكره، وإنما المعنى له أيطلان كأيطلي ظبي وساقان كساقي نعامة، وهذا من بديع التشبيه لأنه شبه أربعة أشياء بأربعة أشياء في بيت واحد.

ويقول ابن وهب[3] :

وأما الإصابة في التشبيه فكقول الشاعر :

فَإِنَّكَ كاللَّيْلِ الذِى هُوَ مُدْرِكِى وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ

فقد شبه الشاعر هذا الملك بأنه (مثل الليل في إدراكه كل حى) لا محالة.

وكقول بشار بن برد :

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُه

ثم يضيف صاحب البرهان : واعلم أن الشاعر إذا أتى بالمعنى الذى يريد أو المعنيين في بيت واحد كان في ذلك أشعر منه إذا أتى بذلك في بيتين، وكذلك إذا

---

[1] المصدر السابق، ص ١٢٤.

[2] الصناعتين، ص ٢٥٥.

[3] البرهان في وجوه البيان، تحقيق وتقديم د. حفني شرف، تأليف أبي الحسين إسحاق ابن وهب الكاتب، ص١٣٩، ١٤٢، طبع مكتبة الشباب.

أتى شاعران بذلك، فالذى يجمع المعنيين فى بيت من الشعر أفضل من الذى يجمعهما فى بيتين، ولذلك فضل قول امرئ القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا ويَابِسًا   لَدَى وَكْرِهَا العُنَّابُ والحَشَفُ البَالِى

على قوله :

كَأَنَّ عُيُونَ الوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا   وَأَرْحُلِنَا الجَزْعُ الذِى لَمْ يُثَقَّبِ

لأنه جمع فى البيت الأول وصف شيئين لشيئين، وفى البيت الثانى شبه شيئًا بشىء وللشاعر أن يقتصد فى الوصف أو التشبيه أو المدح أو الذم، وله أن يبالغ وله أن يسرف حتى يناسب قوله المحال ويضاهيه، ولا يستحسن السرف والكذب والإحالة فى شىء من فنون القول إلا فى الشعر، ويطالعنا أبو الفتح عثمان بن جنى ت سنة ٣٩٢هـ فى كتابه الخصائص[1] فى باب "من غلبة الفروع على الأصول" فيقول : هذا فصل من فصول العربية طريف تجده فى معانى العرب كما تجده فى معانى الإعراب، ولا تكاد تجد شيئًا من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة.

و لله در البحترى[2] إذ يقول :

أَيْنَ الغَزَالُ المُسْتَعِير مِنَ النَّقَا[3]   كَفَلاً وَمِن نَوْرِ الأَقَاحِى مَبْسَمَا

وقوله :

فِى طَلْعَةِ البَدْرِ شَىْءٌ مِن مَلاَحَتِهَا   وَلِلْقَضِيبِ نَصِيبٌ مِنْ تَثَنِّيهَا

ففى البيت الأول شبه الأنقاء بأعجاز النساء، وهذا كأنه يخرج مخرج المبالغة، أى قد ثبت هذا الوضع وهذا المعنى لإعجاز النساء، وصار كأنه الأصل فيه.

وفى البيت الثانى : شبه هذه الفتاة فى جمالها بطلعة البدر كما شبه تثنى القضيب بتثنيها. وهذا على سبيل غلبة الفروع على الأصول، وآخر من جاء به شاعرنا، فقال :

---

[1] الخصائص لابن جنى تحقيق محمد على النجار، ج١، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ج٢، ص٣٠٠.

[2] الخصائص لابن جنى، تحقيق محمد على النجار، ج١، دار الهدى للطباعة والنشر، ص٣٠٢، بيروت.

[3] النقا: الكثيب من الرمل.

نَحْنُ رَكْبُ مِلْجِنٍّ فِي زِيِّ نَاسٍ   فَوْقَ طَيْرٍ لَهَا شُخُوصُ الْجِمَالِ

فجعل كونهم جنًا أصلاً، وجعل كونهم ناسًا فرعًا، وجعل كون مطاياه طير أصلاً، وكونها جمالاً فرعًا، فشبّه الحقيقة بالمجاز فى المعنى، الذى منه أفاد المجاز من الحقيقة ما أفاد[1] ، وعلى نحو من هذا قالوا للناقة "جُمالية" لأنهم شبهوها بالجمل فى شدته وعلو خلقه.

قال الأعشى :

جُمَالِيَّةٌ تَغْتَلِى بِالرِّدَافِ   إذا كَذَبَ الآثِمَاتُ الْهَجِيرا

يقول ابن جنى : وهو كثير. فلما شاع ذلك واضطرد، صار كأنه أصل فى بابه حتى عادوا فشبوا الجمل بالناقة فى ذلك.

فهذا من حملهم الأصل على الفرع فيما كان الفرع أفاده من الأصل، ونظائره فى هذه اللغة كثيرة.

أما القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى ت٣٦٦هـ[2] فقد أتى فى كتابه الوساطة بين المتنبى وخصومه ببعض صور التشبيه لبعض الشعراء، ليس فقط للمتنبى كما يفهم من عنوانه، بل إنه عرض للأصول الأدبية التى عرفت فى عصره، وحلل بعض أشعار القدماء والمحدثين، وأورد كثيرًا من محاسنهم وعيوبهم وأبان ما شاع فيها من تعقيد وغموض.

يقول فى قول أبى تمام[3] :

وكَأَنَّ الأنامِلَ اعْتَصَرَتْهَا   بَعْدَ كَدٍّ مِنْ مَاءِ وَجْهِ الْبَخِيلِ

فقد شبه قلة نزول الخمر بعد اعتصارها بين الأنامل فى كد ومشقة كأنما اعتصرتها من ماء وجه البخيل.

---

[1] الخصائص، ج١، ص٣٠٢.

[2] الوساطة بين المتنبى وخصومه، ص (ج)، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى – الحلبى.

[3] المصدر السابق، ص٣٠٩.

ويقول في قول أبي الطيب المتنبي[1] :

لَقِي لَيْـــلٌ كعَيْنِ الظَّــبْي لَوْنًا   وَهُـمْ كَالحُمَيَّا[2] فِي الْمُشَــاش[3]

فقد شبه الليل بعين الظبي في السواد، وهو تشبيه مقلوب لأن الأصل أن يشبه عين الظبي بالليل ولكنه عكس التشبيه، وهي مبالغة منه، ثم شبههم بالخمر في العظام النخرة فهل تفعل شيئًا.

ويقول القاضي ربما جاء من هذا الباب ما يظنه الناس استعارة وهو تشبيه أومثل[4].

فإذا ما وصلنا عند أبي هلال العسكري ت٣٩٥هـ وجدناه يقول إن التشبيه[5] هو الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه ناب منابه أو لم ينب وقد تحذف أداة التشبيه كقول امرئ القيس :

سَـمَوْتُ إِلَيْهَـا بَعْـدَمَا نَامَ أَهْلُهَا   سُمُـوَّ حَـبَابِ الْمَاءِ حَالاً عَلَى حالِ

فحذف حرف التشبيه وهو الكاف في تقدير المشبه به وهو (كسمو حباب الماء) فقد شبه الشاعر نفسه في ذهابه خفية إلى محبوبته بعدما نام أهلها و لم يشعر به أحد -كطفو حباب الخمر فوق الكأس.

والتشبيه عند أبي هلال مما يزيد[6] المعنى وضوحًا ويكسبه تأكيدًا وهذا ما أطبق عليه جميع المتكلمين من العرب والعجم و لم يستغن أحد منهم عنه.

أما القاضي أبو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، والمعروف بالباقلاني المتوفى ٤٠٣هـ[7] ، فيقول : ومما يعدونه من البديع "التشبيه الحسن"، ثم أورد أبياتًا لبعض الشعراء منها قول سلم الخاسر :

---

(1) الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص٣٠٩.

(2) الحميا : من أسماء الخمر.

(3) المشاش : رؤوس العظام النخرة.

(4) الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص٤١.

(5) الصناعتين لأبي هلال العسكري تحقيق محمد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم، الحلبي، الطبعة الثانية، ص٢٤٥.

(6) الصناعتين، ص٢٤٩.

(7) إعجاز القرآن للباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، نشر دار المعارف، الطبعة الرابعة، ص٧٦.

فَأَنْـتَ كَالدَهْـرِ مَبْثُوثًا حَبَائِلُـهُ   وَالدَهْرُ لا مَلْجَـأَ مِنْـهُ وَلاَ هَـرَبُ

فقد شبه الممدوح بأنه كالدهر لا يمكن أن يهرب أو يفر منه أحد. ومن التشبيه الحسن فى القرآن قوله تعالى : ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾[2].

أما الشريف الرضى المتوفى سنة ٤٠٦هـ[3] فقد رأيناه يعقب على كل حديث يذكره بقوله : وهذا القول مجاز، أو : وهذا القول استعارة، أو : وهذا الكلام كناية، من غير أن يفرق بين أنواع الاستعارة والتشبيه، بل قد يطلق المجاز على التشبيه ويجعل التشبيه البليغ استعارة، والمجاز العقلى استعارة، فمن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام فى الخيل.

«ظهورها حرز وبطونها كنز»، وهذا القول خارج على طريق المجاز لأن بطون الخيل على الحقيقة ليست بكنز، إنما الحديث تشبيه بليغ[4] جعل ظهور الخيل حرزًا فى الصيانة وبطونها كنزًا فى النماء والنتاج، «وكان الأصل بطونها كالكنز فى النماء وظهورها كالحرز فى الصيانة»، فحذفت أداة التشبيه ووجهه[5].

ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام[6] : «المؤمن مرآة أخيه»، وفى رواية أخرى «مرآة أخيه المؤمن يرى فيه حسنه وقبحه»، وهذا القول مجاز واستعارة، والمراد أن المؤمن الناصح لأخيه المؤمن يبصره مواقع رشده، ويطلعه على خفايا عيبه، فيكون كالمرآة له، ينظر فيها محاسنه، فيستحسنها ويزداد منها، ويرى مساويه فيستقبحها وينصرف عنها.

---

[1] سورة الرحمن، آية ٢٤.

[2] سورة الصافات، آية ٤٩.

[3] المجازات النبوية، تحقيق وشرح د. طه الزينى، نشر مؤسسة الحلبى، ص (هـ).

[4] المصدر السابق، ص١٩.

[5] المصدر السابق، ص١٩.

[6] المصدر السابق، ص٧٩.

أما القاضى عبد الجبار، المتوفى ٤١٥هـ[١] فبين ما فى القرآن الكريم من مجازات وتشبيهات ردًا على طعن الطاعنين، فيقول :

«"مسألة" إنه قيل : كيف يصح أن يقول تعالى ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ و لم يكونوا كذلك فى الحقيقة، فجوابنا أنه تعالى شبه حالهم من حيث لم ينتفعوا بما يسمعون ويبصرون، ويقولون بحال من هذا صفته، وذلك بين فى اللغة فيمن لم يقبل ولا ينتفع به، والمراد يصيره إلى رتبة الأعمى والأصم».

ويفتح له الثعالبى المتوفى سنة ٤٢٣هـ[٢] فصلاً بعنوان "فى التشبيه بغير أداة"، يقول فيه : وهذه طريقة أنيقة غلب عليها المحدثون المتقدمون فأحسنوا وظرفوا ولطفوا. وأرى أبا نواس السابق إليها فى قوله :

تَبْكِي فَتُلْقِي الدُّرَّ مِنْ نَرْجِس ... وتَلْطِمُ الوَرْدَ بِعُنَّابِ

فشبه الدمع بالدر والعين بالنرجس والخد بالورد والأنامل[٣] بالعناب من غير أن يذكر الدمع والعين والخد والأنامل، ومن غير استعانة بأداة من أدوات التشبيه، وهى كأن وكاف التشبيه وحسبته كذا، وفلان حسن ولا القمر، وجواد ولا المطر. وقد زاد أبو الفرج الواواء على أبى نواس فخمس ما ربعه بقوله :

وَأَمْطَرَتْ لُؤْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ ... وَرْدًا وَعَضَّتْ عَلَى العُنَّابِ بِالْبَرَدِ

والزيادة فى تشبيه الثغر بالبرد ومن هذا الباب قول أبى الطيب المتنبى :

بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ خُوطَ بَانٍ ... وَفَاحَتْ عَنْبَرًا وَرَنَتْ غَزَالاً

ونرى ابن رشيق القيروانى (ت سنة ٤٥٦هـ)[٤] يفتح بابًا واسعًا فى التشبيه فيقول : حد التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا

---

[١] تنزيه القرآن عن المطاعن، للقاضى عماد الدين أبى الحسن عبد الجبار بن أحمد، دار النهضة الحديثة، بيروت، ص١٦.

[٢] فقه اللغة للثعالبى، ص٥٥٥.

[٣] المصدر السابق، ص٥٥٦.

[٤] العمدة لابن رشيق، ص٢٨٦، ج١، نشر دار الجيل، بيروت، تحقيق محمد محيى الدين "نسخة مصورة"

من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه، ألا ترى أن قولهم "خد كالورد" إنما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها، لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه وخضره كمائمه، وكذلك قولهم، فلان كالبحر، وكالليث، إنما يريدون كالبحر سماحة وعلمًا.

وكالليث شجاعة وقدمًا، وليس يريدون ملوحة البحر وزعوقته، ولا شتامة الليث وزهومته، فوقوع التشبيه إنما هو أبدًا على الأعراض لا على الجواهر، لأن الجواهر فى الأصل كلها واحدة، اختلفت أنواعها أو اتفقت، فقد يشبهون الشىء بسميه ونظيره من غير جنسه، كقولهم «عين كعين المهاة، وجيد كجيد الريم»، فاسم العين واقع على هذه الجارحة من الإنسان والمهاة، واسم الجيد واقع على هذا العضو من الإنسان والريم، والكاف للمقاربة، وإنما يريدون أن هذه العين لكثرة سوادها قاربت أن تكون سوداء كلها كعين المهاة، وأن هذا الجيد لانتصابه كجيد الريم[1].

ويحدثنا ابن سنان الخفاجى ت سنة ٤٦٦هـ عن التشبيه، فيعرض له ويحده بقوله[2] : «التشبيه صفة الشىء بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه»، ولا يعجبه قول قدامة : إن أفضل التشبيه ما وقع بين شيئين اشتراكهما فى الصفات أكثر من انفرادهما حتى يدنى بهما إلى حال الاتحاد.

ويقسم التشبيه مستمدًا من الرمانى والسابقين، ويشير إلى التشبيه المحذوف الأداة ويذكر التشبيه بين الضدين المختلفين، ويمثل له، ويدون أمثلة من القرآن والحديث.

ويقول الأصل فى حسن التشبيه، أن يمثل الغائب الخفى الذى لا يعتاد بالظاهر المحسوس المعتاد، فيكون حسن هذا لأجل إيضاح المعنى وبيان المراد، أو يمثل الشىء بما هو أعظم وأحسن وأبلغ منه[3].

ومما ورد فى القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى : ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾[4].

---

[1] العمدة، ج١، ص٢٨٦.

[2] سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى، شرح عبد المتعال الصعيدى، مكتبة صبيح، ص٢٣٧.

[3] المصدر السابق، ص٢٣٧.

[4] سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى، شرح عبد المتعال الصعيدى، مكتبة صبيح، ص٢٠٧.

ومن التشبيه المختار قول أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان :

والْخِـــلُّ كَالْمَـاءِ يُبْدِي لِـي ضَمَائِـرَهُ   مَعَ الصَّـــفَاءِ وَيُخْفِيها مَـعَ الكَدَرِ[1]

فقد شبه الصديق بالماء، لأن الماء يظهر ما يكون تحته لشفافيته، ويخفيه إذا كـان ما تحته مشوب بالكدر.

وهذا التشبيه من التشـبيهات الموفقـة الرائعـة لأبـى العـلاء، لأنـه يطـابق الواقـع الحقيقى. وهل هناك خل وفى حق تقول فى حقه مثل هذا القول.

ويقول ديك الجن[2] :

سَـــفَرْنَ بُـــدُورًا وَانْتَقَـــبْنَ أَهِلَّـــةً   وَمِسْـــنَ غُصُونًا وَالْتَفَتْتَ جَـــآذِرا

فقد شبه هؤلاء النسوة إذا كن سافرات بالبدور وإذا كن منقبـات الأهلـة، وإذا تحركن كالغصون وإذا التفتن كن غزلانًا. وهو تشبيه جيد لاشك فى هذا، ثم يقول ابن سنان : ومما يحتاج إليه التشبيه أن يكون المشبه به واقعًـا مشـاهدًا معروفًـا غـير مسـتنكر، ليوافق ذلك المقصود بالتشبيه والتمثيل من الإيضاح والبيان.

ونصل فى هذا المقام إلى الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجانى، ت سـنة ٤٧١هـ، فهو القائل[3] : «هذا فن آخر من القول يجمع التشبيه والتمثيل جميعًا».

وتكاد كتب اللغة تُجمع على أن التشبيه والتمثيل لفظان مترادفـان وأن "المشـبه والشبه، والشبيه"، كالمثل، والمثل والمثيل، وزنًا ومعنى، وأن "أشبه وشابه، بمعنـى "مـاثل" فهما متفقان معنى، ولا فرق بينهما.

أما علماء البيان : فقد اتفقت كلمتهم على أن "التشبيه" أعم من التمثيل عمومًا مطلقًا، وأن التمثيل أخص منه خصوصًا مطلقًـا، فكـل تمثيـل تشـبيه، وليـس كـل تشـبيه تمثيلاً.

---

[1] المصدر السابق، ص٢٣٩.

[2] المصدر السابق، ص٢٤٠.

[3] [illegible] البلاغة، عبد القاهر الجرجانى، شرح وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجى، الطبعة الثانية، سنة ٧٦، [illegible] ٢[illegible].

وذلك أن التشبيه عندهم : «الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى بأداة ظاهرة أو مقدرة»، وقد قسموه باعتبار وجه الشبه إلى قسمين تشبيه غير تمثيلي وتشبيه تمثيلي، ثم اختلفوا في تحقيق الفرق بين القسمين.

أما رأى الشيخ عبد القاهر فيقول : التشبيه عنده ضربان :

أحدهما : تشبيه غير تمثيلي[1]، وهو «ما كان وجه الشبه فيه أمرًا بينًا بنفسه لا يحتاج إلى تأويل وصرف عن الظاهر لأن المشبه فيه مشارك للمشبه به في صفته»، وذلك يتحقق في حالين :

الأول : أن يكون الوجه "حسيًا" أى مدركًا بإحدى الحواس الخمس الظاهرة[2]

الثاني : أن يكون الوجه "عقليًا حقيقيًا" أى ثابتًا متقررًا في ذات الموصوف، وهو الكيفيات النفسية كالأخلاق والغرائز والطباع، نحو : الكرم والبخل والشجاعة والجبن والذكاء والبلادة والصبر والجزع والقوة والضعف والمكر والدهاء واللؤم وسمو الأخلاق.

أما الضرب الثاني[3] : "التشبيه التمثيلي"، وهو ما لا يكون وجهه أمرًا بينًا بنفسه، بل يحتاج تحصيله إلى تأول وصرف عن الظاهر، لأن المشبه لم يشارك المشبه به في صفته الحقيقية. [4] وذلك الضرب يتحقق فيما إذا كان الوجه ليس حسيًا ولا من الأخلاق والغرائز والطباع الفعلية الحقيقية، ولكنه يكون عقليًا غير حقيقي، أى غير متقرر في ذات الموصوف.

أمثلة التشبيه التمثيلي[5] :

١- "حجة كالشمس في الظهور"، المشبه مفرد عقلي، لأن المراد بالحجة معنى الكلام لا الكلام المسموع، والمشبه به مفرد حسي، ولما كان وصف المشبه به الحقيقي وهو

---

[1] دراسات تفصيلية شاملة للشيخ العدل، ص٢.

[2] أى السمع والبصر والشم والذوق واللمس.

[3] دراسات تفصيلية شاملة للشيخ العدل، ص٩.

[4] المصدر السابق، ص١٠.

[5] المصدر السابق، ص١٠.

"الظهور" من خواص المحسوسات، لأن معناه ألا يكون هناك مانع للبصر من الرؤية، ولم يصح أن يوصف به المشبه، فاحتجنا إلى التأول وصرف الكلام عن ظاهره وإرادة ما يستلزمه الظهور، وهو عدم المانع من الإدراك -لكي يكون مشتركًا بين الطرفين وهو عقلي غير حقيقي.

٢- "ألفاظه كالعسل فى الحلاوة"، وكالنسيم فى الرقة وكالماء فى السلاسة، والمشبه مفرد والمشبه به متعدد، ولما كان المشبه لا يصح اتصافه بهذه الاوصاف احتجنا إلى التأول وإرادة ما تستلزمه هذه الأوصاف من قبول النفس للشىء وحسن وقعه فيها وإفادته إياها روحًا ونشاطًا، وميلها إليه، ورغبتها فى الاستزادة منه، وذلك لأنه هو الوجه المشترك بين الطرفين وهو عقلى غير حقيقى.

٣- "هم كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفاها"[1]، هذه عبارة قالتها فاطمة بنت الخرشب الإنمارية حين سُئلت أى بنيها أفضل ؟

و(المفرغة)[2] التى أذيب معدنها وأفرغ فى قالب، فلا يظهر لها طرف، والمراد : أنها لا طرفين لها حتى يُعرفا، فالمراد نفس القيد والمقيد معًا.

ووجه الحاجة إلى التأول هنا : أن المشبه ليس متصفًا بوصف المشبه به الظاهر، وهو الاستدارة مع الاستواء فى الأجزاء -بل المقصود ما يلزم ذلك من التناسب التام وعدم إمكان المفاضلة بين جزء وجزء، وهذا هو الوجه المشترك وهو على ما يظهر مفرد، وفى كتب البلاغة أنه مركب ولعل ذلك لأنه يريك صورة أمور تساوت حتى لا يمكن تمييز بعضها عن الآخر.

ملاحظة : هذه الأمثلة الثلاثة من التمثيل سواء ذكر وصف المشبه به كما تقدم، أم ذكر المشبه العقلى المنتزع مثل كلام تشتهيه النفس كالعسل أم لم يذكر شىء نحو كلامه كالعسل فقط.

وتتفاوت صور هذا الضرب فى الحاجة إلى التأول :

---

[1] دراسات تفصيلية شاملة للشيخ العدل، ص١٠.

[2] المصدر السابق، ص١١.

ثم ينبه الشيخ[1] هنا إلى أن المحتاج إلى التأول يتفاوت، ومنه ما يقرب مأخذه، ويسهل الوصل إليه بأيسر سبيل، كالمثال الأول : ومنه ما يحتاج إلى فضل روية، ولطف فكر، وهو ما كان من قبيل المثال الثالث الذى لا نراه إلا فى الآداب والحكم المأثورة عن الفضلاء وذوى العقول الكاملة، وهذا التفاوت مبنى على ظهور وجه الشبه وخفائه.

وجه حاجة هذا الضرب إلى التأول[2] أنه لم يقصد اشتراك المشبه للمشبه به فى صفته الحقيقية نفسها، بل فى حكمها ومقتضاها، وأمر لازم لها، فالاشتراك بين الكلام والعسل مثلاً ليس فى الحلاوة نفسها، بل فى لازمها، ميل النفس ولذتها ورغبتها -وحينئذ يكون باطن التشبيه وحقيقته خلاف ظاهره تاج إلى التأول لبيان حقيق المراد، وهكذا المثالان الآخران.

هذا هو التشبيه التمثيلى، ويجوز أن يسمى (مثلاً)، ولا يجوز أن يسمى غير التمثيلى "مثلاً".

النسبة بين الضربين[3] لقد اتضح الفرق بين التشبيه والتمثيل عند الشيخ مما تقدم، فإذا أردنا بالتشبيه المعنى العام، وهو «الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى بأداة» فهو أعم من التمثيل مطلقًا، والتمثيل أخص منه مطلقًا، لأنه قسم منه، وعلى ذلك قول الشيخ : «فاعلم أن التشبيه عام، والتمثيل أخص منه، لأن كل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلاً»، وإذا أردنا بالتشبيه ما قابل التمثيل، فهما متباينان متقابلان، وكل منهما قسم من التشبيه العام.

والشيخ كثيرًا ما يطلق التشبيه ويريد به ما قابل التمثيل، كقوله :

«فأنت تقول فى قول الشاعر :

وَقَدْ لاحَ فِى الصُّبحِ الثُّرَيَّا لِمَنْ رَأى ... كَعُنْقُودِ مُلاَّحِيَّةٍ حِينَ نَوَّرَا

إنه تشبيه حسن، ولا تقول : إنه تمثيل».

---

[1] المصدر السابق، ص١١.

[2] دراسات تفصيلية شاملة للشيخ العدل، ص١٢.

[3] المصدر السابق، ص١٦.

وقد تكلم الشيخ عبد القاهر فى التشبيه تفصيلاً وجاء بأمثلة لكل نوع من الأنواع المدرجة تحته، سواء أكانت حسية أم عقلية.

ويحدثنا الزمخشرى ت سنة ٥٣٨هـ عن أن التشبيه فى تصوير المعانى وتشخصيها وسوقها فى سياق من صنعة الأسلوب تكشفها وتحققها وهو فى هذا عالم قديم بأحوال الأساليب وقيمة فعلها فى نفس متلقيها يقول فى هذا[١] «ولضرب العرب الأمثال، واستحضار العلماء المثل والنظائر، شأنه ليس بالخفى فى إبراز خبيات المعانى، حتى تريك المتخيل فى صورة المحقق والمتوهم فى معرض المتيقين، والغائب كأنه مشاهد، وفيه تبكيت للخصم الألد، وقمع لسورة الجامح الأبى، والأمر ما أكثر الله فى كتابه المبين وفى سائر كتبه أمثاله، وفشت فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلام الأنبياء، والحكماء، قال الله تعالى : ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾».

والمثل فى أصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير، يقال مثل ومثل ومثيل كشبيه، وشبه، وشبيه، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل و لم يضربوا مثلاً ولا رأوه أهلاً للتسير ولا جديرًا بالتداول، والقبول إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه.

ومن ثم حوفظ عليه وحمى من التغيير[٢]، ويقول : «والتشبيهات إنما هى الطرق إلى المعانى المحتجبة فى الأشياء حتى تبرزها وتكشف عنها، وتصورها للأفهام»[٣].

فإن قلت : ما معنى -مثلهم كمثل الذى استوقد نارًا - وما مثل المنافقين، ومثل الذى استوقد نارًا، حتى شبه أحد المثلين بصاحبه ؟

قلت : قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدام للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة، كأن قيل : حالهم العجيبة الشأن كحال الذى استوقد نارًا، وكذلك قوله : مثل الجنة التى وعد المتقون -أى وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة، ثم أخذ فى بيان عجائبها- و لله المثل الأعلى، أى الوصف الذى له شأن

---

[١] الكشاف للزمخشرى، ص١٩٥، ج١، طبع انتشارات تهران.

[٢] الكشاف للزمخشرى، ص١٩٥، المجلد الأول، طبع تهران.

[٣] المصدر السابق، ص١٩٦، ج١.

من العظمة والجلالة مثلهم فى التوراة، أى صفتهم وشأنهم المتعجب منه ولما فى المثل من معنى الغرابة[1].

يقول : إنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله : مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا[2].

ذكر الناس أن الزمخشرى[3] لم يفرق بين التشبيه والتمثيل بخلاف عبد القاهر الذى أجهد نفسه فى بيان التمثيل وتمييزه من التشبيه الصريح، وتبعه الرازى والسكاكى والخطيب، كلهم يفرقون بين التمثيل والتشبيه الصريح وإن اختلفوا فى التحديد، والزمخشرى وتبعه ابن الأثير لم يفرق بينهما، وللتمثيل مدلولات كثيرة فى بلاغة الكشاف وهى أقرب إلى الاستعمال اللغوى، فهو يطلقه على التشبيه وعلى الاستعارة التمثيلية، وعلى الاستعارة فى المفرد، وعلى فرض المعانى.

أما الإمام فخر الدين الرازى، ت سنة ٦٠٦هـ[4] فلم يزد فى تشبيهه عن السابقين من العلماء، فقد فصل وقسم التشبيه على حسب من سبقه فى تقسيم الطرفين بحسب المحسوس والمعقول والعكس، ثم أتى بأمثلة توضح ذلك، ثم وضح أن الوجه الحسن فى هذه التشبيهات أن يقدر المعقول محسوسًا ويُجعل كالأصل فى ذلك المحسوس على طريق المبالغة، وحينئذ يصح التشبيه، ثم ذكر أمثله لذلك.

ثم ذكر أنه لابد من رعاية جهة التشبيه، ويرى أبو يعقوب السكاكى ت سنة ٦٢٦هـ أن التمثيل[5] هو التشبيه الذى يكون وجهه عقليًا منتزعًا من عدة أمور.

وأما ضياء الدين بن الأثير ت سنة ٦٣٧هـ، فقد أفرد بابًا واسعًا للتشبيه ولكنه

---

[1] الكشاف للزمخشرى، ص٣٥٨، ج٢، طبع المكتبة التجارية، الطبعة الثانية، ضبطه وحققه مصطفى حسين أحمد.

[2] الكشاف، تهران، ص١٩٧، المجلد الأول.

[3] البلاغة القرآنية تفسير الزمخشرى وأثرها فى الدراسات البلاغية، د. محمد أبو موسى، نشر دار الفكر العربى، ص٤٠٢.

[4] أسرار البلاغة، ص١٨٩، ج١، تحقيق الخفاجى.

[5] مفتاح العلوم، السكاكى، الطبعة الأولى، الحلبى بمصر، ص١٦١.

لم يزد عمن سبقه من العلماء -سواء كان من ناحية التقسيمات والتفريعات من حيث الإفراد والتركيب والتعدد. ثم ذكر أمثلة لذلك من الأحاديث النبوية والقرآن الكريم، سواء منها المظهر الأداة أو مضمرها. ثم ذكر أشعارًا لكثير من الشعراء وتكلم عن فائدة التشبيه فقال[1] : وأما فائدة التشبيه من الكلام فهى أنك إذا مثلت الشىء بالشىء فإنما تقصد به إثبات الخيال فى النفس بصورة المشبه به أو بمعناه، وذلك أوكد فى طرفى الترغيب فيه أو التنفير عنه.

يقول[2] : واعلم أن من محاسن التشبيه أن يجىء مصدريًا كقولنا "أقدم إقدام الأسد"، و"فاض فيض البحر"، وهو أحسن ما استعمل فى باب التشبيه كقول أبى نواس فى وصف الخمر[3] :

ثُمَّ لَمَّا مَزجُوهَا   وَثَبَتْ وَثْبَ الْجَرَادِ
ثُمَّ لَمَّا شَرِبُوهَا   أَخَذَتْ أَخْذَ الرُّقَّادِ

وقيل : إن من شرط بلاغة التشبيه أن يشبه الشىء بما هو أكبر منه وأعظم.

ثم يحدثنا بعد ذلك عن أقسام التشبيه من حيث تشبيه الطرفين سواء منها تشبيه معنى بمعنى، أم صورة بصورة، أم معنى بصورة، أم صورة بمعنى.

أما ابن الزملكانى، ت سنة ٦٥١هـ[4] يقول عن التشبيه : وهذا إنما يكون مجازًا إذا جاء على حد الاستعارة، مثاله قولك للمتحير : "فلان يقدم رِجْلاً ويؤخر أخرى"، ولو قلت : "إنه فى تحيره كمن يقدم رجلاً ويؤخر أخرى" لم يكن من باب المجاز، وكذلك (قولك) من أخذ فى عمل لا يحصل البغية : "أراك تنفخ فى غير ضرم"، (وتخط على الماء) والمراد : أنت كمن يفعل هذا. ومنه "مازال يفتل الذروة والغارب حتى بلغ منه مراده"، والمعنى : إنه لم يزل يرفق بصاحبه رفقًا يشبه حاله فيه حال الرجل يجىء إلى البعير الصعب فيحكه ويفتل الشعر فى ذروته وغاربه حتى يستأنس.

---

(١) المثل السائر لابن الأثير، ص١٢٣، ج٢، تحقيق د. الحوفى، د. بدوى طبانة.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص١٢٤.

(٣) المصدر السابق، ص١٢٤، ج٢.

(٤) التبيان فى علم البيان لابن الزملكانى، تحقيق د. أحمد مطلوب، د. خديجة الحديثى، مطبعة العانى، بغداد، ص٤٤.

تنبيه : ينبغى أن تعلم أنه يعرض لأمثلة هذه المراتب تفاوت شديد لا يدخل تحت الضبط لما يعرض فى بعضها دون بعض مع اندراجها تحت قسم واحد، كما تراه فى قوله (من الطويل) :

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الأَحَادِيثِ بَيْنَنَا   وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الأَبَاطِحُ

وقوله (من البسيط) :

سَالَتْ عَلَيْهِ شِعابُ الحَيِّ حِينَ دَعَا   أَنْصَارَهُ بِوُجُوهٍ كَالدَنَانِيرِ

فالأول : مراده أنها سارت سيرًا شديدًا فى غاية السرعة مع لين وسلاسة حتى صارت كأنها سيول وقعت فى الأباطح فجرت، وهذه اللفظة وإن كانت بعينها فى البيت الثانى وأن مراده إسراعهم إلى نصرته وأنه إذا دعاهم ازدحموا حتى صاروا كسيول تجىء من كل جانب فلست أراها إلا دون الأولى، وذلك لما عرض من تشبه السيول إلى الأعناق الممتدة الآخذة فى الطول الملحق بصورة ماء جار... وفيها من الاضطراب بحركة السير ما يقربها من الماء المضطرب، فحسن لهذا التشبيه الواضح أن ينسب السيل إليها بخلاف الثانى، فإنه نسب (فيه) السيل إلى الوجوه التى إن أشبهت الماء ففى صفائه الذى ليس يلازم له، وقد شبهها بالدنانير لشدة حمرتها وإشراقها واستدارتها، وكل ذلك لا يلائم الماء وليست الرقة فى تحقيق الإسراع الذى يشبه سرعة السيل لكن فى خصوصيه.

أفادها[1] بأن جعل الفعل للأباطح ثم عداه بالباء بذكر الأعناق المستطيلة، و لم يقل : بالمطى، ولو (قال) سالت المطى فى الأباطح لم يكن شيئًا، والغرابة فى الثانى تعديته بـ(علَى) والباء، وبأن جعل الفعل لشعاب الحى.

ثم يأتى بتنبيه يقول فيه : لا يغرب عن فهمك أنك إذا ألبست المستعار حرف التشبيه فقد خلعت عن ثوب الاستعارة، كقولك "فلان كالأسد"، فإن قلت : فأيهما أبلغ معنى ؟ قلت : الاستعارة، لادعائك أن ذاته يجب أن تكون الشجاعة لها غير منفكة عنها، لأن الشجاعة حصلت لمعنى عارض لمفرد هذا الجنس.

---

[1] ابن الزملكانى، ص٤٦، التبيان فى علم البيان.

أما ابن أبى الإصبع، ت سنة ٦٥٤[1] فقد أفرد فى "بديع القرآن" بابًا للتشبيه وذكر حد التشبيه البليغ الصناعى أنه : إخراج الأغمض إلى الأظهر بالتشبيه مع حسن التأليف ووقوع حسن البيان فيه على وجوه :

١- منها إخراج ما لا تقع عليه الحاسة، إلى ما تقع عليه.

٢- إخراج ما لم تجرِ به العادة إلى ما جرت به العادة.

٣- ومنها إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة.

٤- وإخراج ما لا قوة له فى الصفة إلى ما له قوة فى الصفة.

ثم يسوق أمثلة لذلك فى القرآن الكريم، وهو أبلغ كلام يُستشهد به.

ومنها إخراج الكلام بالتشبيه مخرج الإنكار، كقوله تعالى : ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[2].

وهذا إنكار على من جعل حرمة الجهاد كحرمة من آمن با لله واليوم الآخر.

وهذا التشبيه أعنى جنس التشبيه الصناعى على ضربين : ضرب بأداة (وضرب بغير أداة) وأدوات التشبيه خمس : الكاف، وكأن، وشبه، ومثل، والمصدر بتقدير الأداة وفائدة حذف الأداة قرب المشبه[3] من المشبه به. ومن علماء البيان من جعل المحذوف الأداة استعارة و لم يجعلها تشبيهًا وأكثرهم على خلافه وفى المصادر ما لا يمكن تقدير الأداة معه، كقول الشاعر :

فإنما هِىَ إِقْبَالٌ وإِدْبَارُ[4]

أى ذات إقبال وذات إدبار، وفى أنواع التشبيه نوع لابد من تقدير الأداة فيه كقوله تعالى : ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾، وهو من غير قسمى التشبيه.

---

[1] بديع القرآن لابن أبى الإصبع، تحقيق د. حفنى شرف، الطبعة الثانية، نشر دار نهضة مصر للطباعة والنشر بالفجالة، ص٥٨.

[2] بديع القرآن لابن أبى الإصبع، تحقيق د. حفنى شرف، الطبعة الثانية، نشر دار نهضة مصر للطبع والنشر بالفجالة، ص٥٩.

[3] المصدر السابق، ص٦٠.

[4] هذا عجز بيت للخنساء، صدره (ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت) ص٦٠، بديع القرآن.

ومن التشبيه نوعان آخران[1] غير ما ذكرناه : أحدهما تكون أدواته أفعال الشك واليقين، كقولك : حسبت زيدًا فى جرأته الأسد، وعمرًا فى جوده الغمام، فحاصل ذلك تشبيه زيد بالأسد، عمرو بالغمام، ومنه قوله : ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾[2] ، فإن حاصله تشبيه أهل الكهف فى حال نومهم بالأيقاظ، لمشاركتهم الأيقاظ فى بعض صفاتهم، لأنه قيل : إنهم كانوا مفتحى العيون فى حال نومهم.

والنوع الثانى : يسمى تشبيه التوليد والتمثيل، كقول الكميت (البسيط) :

أَحْلَامُكُمْ لِسِقَامِ الْجَهْلِ شَافِيَةٌ كَمَا دِمَاؤُكُمْ يُشْفَى بِهَا الْكَلَبُ

أما الخطيب القزوينى، ت ٧٣٩هـ، فقد بحث التشبيه بحثًا وافيًا مفصلاً، متأثرًا فيه بعبد القاهر الجرجانى والزمخشرى، وسار على طريقة السكاكى، ولا عجب فهو يقوم بتلخيص كتاب السكاكى فى كتابه "تلخيص المفتاح" و"الإيضاح لتلخيص المفتاح"، فالكتاب الأول هذب[3] كثيرًا فى مفتاح السكاكى، فقدم فى مباحثه وأخر، وزاد عليه ما تجب زيادته من كتاب البلاغة، وكان أسلوبه فيه أوضح من أسلوب السكاكى، ولكنه جعله أسلوبًا تقريريًا لا يعنى إلا بجمع القواعد فى أوجز لفظ، حتى أسرف فى الإيجاز إسراف عبد القاهر فى الإطناب.

هذا وقد ظلت الطريقة السكاكية هى المسيطرة على مسائل التشبيه حتى جاء عصر الإمام محمد عبده وجلس يلقى على تلاميذه مسائل البيان ويدرس كتابى أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر ثم يشرح ويرد[4] فأقبل على حضور درسه مع أذكياء الطلاب كثيرون من العلماء والمدرسين وأساتذة المدارس الأميرية.

وبعد فهذه الجولة فى التشبيه أرتنا أن الدارسين قد عنوا به وكذلك الشعراء، ومنهم شاعرنا "مسلم بن الوليد" الذى هو الموضوع الرئيسى لبحثنا، الذى سيأتيك نبأه، بعد أن نقدم بين يديك موجزًا عن حياته.

---

[1] بديع القرآن، ص٦٢، ٦٣.

[2] سورة الكهف، آية ١٨.

[3] بغية الإيضاح، ص٥، ج١، عبد المتعال الصعيدى، الطبعة السادسة

[4] أسرار البلاغة، تحقيق رشيد رضا، مقدمة ناشر الكتاب.

تعريف موجز بالشاعر :

الشاعر : هو مسلم بن الوليد الأنصارى، ولد حوالى سنة ١٤٠هـ، أبوه الوليد[١] ، مولى الأنصار ثم مولى أبى أمامة أسعد بن زرارة الخزرجى يلقب صريع الغوانى، شاعر متقدم من شعراء الدولة العباسية، منشؤه ومولده الكوفة وهو فيما زعموا -أول من قال الشعر المعروف بالبديع، هو لقب هذا الجنس البديع واللطيف، وتبعه فيه جماعة، وأشهرهم فيه أبو تمام الطائى، فإنه جعل شعره كله مذهبًا واحدًا فيه. ومسلم كان متفننًا متصرفًا فى شعره.

كان مسلم شاعرًا حسن النمط، جيد القول فى الشراب، وكثير من الرواة يقرنه بأبى نواس فى هذا المعنى، وهو أول فيه عقد هذه المعانى الظريفة واستخرجها.

ويروى صاحب الأغانى عن النقاد أن أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد، جاء بهذا الذى سماه الناس البديع، ثم جاء الطائى بعده فتفنن فيه[٢] .

وكان مسلم بن الوليد وأخوه سليمان منقطعين إلى يزيد بن مزيد ومحمد بن منصور بن زياد، ثم الفضل بن سهل، بعد ذلك، وقلد الفضل مسلمًا المظالم بجرجان فمات بها[٣] .

نال شاعرنا كثيرًا من عطايا الخلفاء والأمراء الذين مدحهم، فيخبرنا صاحب الأغانى[٤] أنَّ يزيد بن مزيد دخل على الرشيد، فقال له: يا يزيد، من الذى يقول فيك:

لا يَعْبَقُ الطِيبُ خَدَّيْهِ وَمَفرِقَه ... وَلاَ يُمْسِّحُ عَيْنَيْهِ مِنَ الكُحُلِ

قَدْ عَوَّد الطَّيْرَ عَادَاتٍ وُثِّقْنَ بِهَا ... فَهُنَّ يَتْبَعْنَهُ فِى كُلِّ مُرْتَحِلِ

فقال : لا أعرف قائله يا أمير المؤمنين. فقال له هارون : أيقال فيك مثل هذا الشعر[٥] ولا تعرف قائله ؟! فخرج من عنده خجلاً، فلما صار إلى منزله دعا حاجبه

---

[١] الأغانى لأبى فرج الأصفهانى، دار الكتب، ج١٩، ص٣١، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ٧٢، تحقيق عبد الكريم إبراهيم الغرباوى، إشراف محمد أبو الفضل إبراهيم.

[٢] المصدر السابق، ج١٩، ص٣١.

[٣] المصدر السابق، ج١٩، ص٣١.

[٤] المصدر السابق، ج١٩، ص٣٥.

[٥] المصدر السابق، ج١٩، ص٣٦.

فقال له : مَن بالباب مِن الشعراء ؟ قال : مسلم بن الوليد، فقال : وكيف حجبته عنى فلم تعلمنى بمكانه ؟ قال : أخبرته إنك مضيق وإنه ليس فى يديك شىء تعطيه إياه، وسألته الإمساك والمقام أيامًا إلى أن تتسع.

قال : فأنكر ذلك عليه وقال : أدخله إلىّ، فأدخله إليه فأنشده قوله :

أجْررتُ حَبْلَ خَلِيعٍ فِى الصِّبَا غَزِل وَشَمَّرتْ هِمَمُ العُذَّال فِى عَذْلِى

رَدَّ البُكَاءُ عَلَى الْعَيْنَيْنِ الطموح هَوَى مُفَرَّقٌ بَيْنَ تَوْدِيعٍ وَمُرْتَحِلِ

أمَا كَفَى الْبَيْنَ أنْ أُرْمَى بِأَسْهُمِهِ حَتَّى رَمَانِى بِلَحْظِ الأَعْيُنِ النُّجُلِ

مِمَّا جَنَتْ - وإنْ كَانَتْ مُنًى صَدَقَتْ صَبَابَةً خُلَسُ التَّسْلِيمِ بِالْمُقَلِ

فقال له : قد أمرنا لك بخمسين ألف درهم فاقبضها واعذر. فخرج الحاجب. فقال لمسلم : قد أمرنى أن أرهن ضيعة من ضياعه على مائة ألف درهم، خمسون ألفًا لك وخمسون ألفًا لنفقته. وأعطاه إياها، وكتب صاحب الخبر بذلك إلى الرشيد، فأمر ليزيد بمائتى ألف درهم، وقال : اقضِ الخمسين الألف التى أخذها الشاعر وزده مثلها، وخذ مائة ألف لنفقتك، فافتك ضيعته، وأعط مسلمًا خمسين ألفًا أخرى[1] .

وهذا يدلنا على مكانة شاعرنا عند الأمراء والخلفاء.

سار مسلم فى شعره على نهج القدماء من حيث جزالة اللفظ ورصانته وقوة المعنى.

يقول صاحب الأغانى[2] : كان مسلم بن الوليد أستاذ دعبل وعنه أخذ ومن بحره استقى، وحدثنى دعبل أنه كان لايزال يقول الشعر فيعرضه على مسلم فيقول له : إياك أن يكون أول ما يظهر لك ساقطًا فتعرف به ثم لو قلت كل شىء جيدًا كان الأول أشهر عنك، وكنت أبدًا لاتزال تُعيَّر به، حتى قلت :

أيْنَ الشَبَابُ وآية سَلَكَا

فلما سمع هذه قال : أظهر الآن شعرك كيف شئت. قال : مازال دعبل متعصبًا

---

(1) نفس المصدر السابق.

(2) المصدر السابق، ج١٩، ص٥١.

لمسلم مائلاً إليه، معترفًا بأستاذيته حتى ورد عليه جرجان فجفاه مسلم وهجره دعبل[1].

ثم يروى صاحب الأغانى[2] إنَّ أبا تمام حلف ألا يصلى حتى يحفظ شعر مسلم وأبى نواس، فمكث شهرين كذلك حتى حفظ شعرهما.

قال : ودخلت عليه فرأيت شعرهما بين يديه، فقلت له : ما هذا ؟ فقال : اللات والعزى وأنا أعبدهما من دون الله[3].

وروى صاحب الأغانى : إن دعبلاً بن على قال : كان أبو نواس يسألنى أن أجمع بينه وبين مسلم بن الوليد، وكان مسلم يسألنى أن أجمع بينه وبين أبى نواس، وكان أبو نواس إذا حضر مسلم تخلف أبو نواس إلى أن اجتمعا، فأنشده أبو نواس :

أَجَارَةَ بَيْتَيْنَا أَبُوكِ غَيُورُ ... وَمَيْسُورُ مَا يُرْجَى لَدَيْكِ عَسِيرُ

وأنشده مسلم :

لِلَّهِ مِنْ هَاشِمٍ فِي أَرْضِهِ جَبَلُ ... وَأَنْتَ وَابنُكَ رُكْنَا ذَلِكَ الجَبَلِ

فقلت لأبى نواس : كيف رأيتَ مسلمًا ؟ فقال : هو أشعر الناس بعدى. وسألت مسلمًا وقلت : كيف رأيت أبا نواس ؟ فقال : هو أشعر الناس وأنا بعده[4].

ويقول الجاحظ[5] : ومن الخطباء الشعراء، ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن، كلثوم بن عمرو العتابى، وكنيته أبو عمرو وعلى ألفاظه وحذوه، ومثاله فى البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين منصور النمرى ومسلم بن وليد الأنصارى وأشباههما.

أما ابن رشيق القيروانى فيقول[6] : وسمعت جماعة من العلماء يقولون : كان مسلم بن الوليد نظير أبى نواس، وفوقه عند قوم من أهل زمانه فى أشياء، إلا أن أبا

---

(1) الاغانى، ج١٩، ص٥٣.

(2) المصدر السابق، ج١٩، ص٥٢.

(3) المصدر نفسه، ج١٩، ص٥٣.

(4) العمدة لابن رشيق، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان.

(5) البيان والتبيين، ج١، ص٥٠، طبعة هارون.

(6) العمدة، ج١، ص١٩١، لابن رشيق.

نواس قهره بالبديهة والارتجال، مع تقبض كان فى مسلم وإظهار توقر وتصنع، وكان صاحب روية وفكرة لا يتبده ولا يرتجل[1] .

ورأينا كيف أن هارون الرشيد عنف يزيد بن مزيد لقعوده عن إكرام مسلم بما يستحق، وذلك لما كان يرى من جودة شعره وتفوقه فى ألوانه وفنونه. ومن الفنون التى تكلم فيها مسلم رسم الصحراء والرياح والحيوان والنهر والسفينة والخمر والمرأة فى ألواح عربية الرسم، وزينها بابتداعه واختراعه، متأثرًا بالوسط الذى عاش فيه والثقافات حوله، فكان يتيه ببيت شعر واحد معناه فى التوراة، وكان يعيب شاعرًا ليس فى قصده، ولا يرضيه معناه أو مبناه، فكأنه أخذ بأحسن مدارس بغداد وهو يسير فى طريق الشاعرية المثلى.

ولعل أبرز ما وصلنا من شعر مسلم -والذى رمى دفتره من روايته فى البحر- هو فن الخمر ووصف المرأة والمديح -ومع ذلك فقد كان يسير فى تراكيبه على غرار الفحول المطبوعين- فيه جزالة وفصاحة ورقة، وحلاوة وطلاوة، حتى ليمتزج كما قلنا بأجزاء الشعر الجاهلى أو الأموى فيجمع بين الحضارة والبداوة، ويختلط شعره بشعر الفحول فى هذين العصرين.

ويقول الآمدى : عندما كان يوازن بين أبى تمام والبحترى : والكلام عن أبى تمام بأنه شديد التكلف[2] صاحب صنعة، ويستتكره الألفاظ والمعانى وعلى أنى[3] لا أحد من أقرنه به، لأنه ينحط عن درجة "مسلم" لسلامة شعر "مسلم" وحسن سبكه، وصحة معانيه، ويرتفع عن سائر من ذهب هذا المذهب وسلك هذا الأسلوب، لكثرة محاسنه وبدائعه واختراعاته.

ويقول ابن قتيبة[4] إن مسلمًا هو أول من الطف فى المعانى، ورقق فى القول، وعليه يقول الطائى فى ذلك وعلى أبى نواس.

---

[1] العمدة، ج١، ص١٩١.

[2] الموازنة للآمدى، تحقيق السيد صقر، ج١، ص٥.

[3] المصدر نفسه، ص٤، ج١.

[4] الشعر والشعراء، ج٢، ص٨٣، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف.

ومع هذا فلم يخلُ مسلم من النقد والتجريح على عادة النوابغ والأعلام يحبهم نقاد ويرفعونهم إلى أعلى ذرى الإبداع والخلود، يكرههم نقاد فيسطون فيهم لسان القدح والذم.

وقد ذكر الدكتور سامى الدهان شارح الديوان ومحققه أخبارًا عن الشاعر من كتب الأدب والتاريخ واللغة.

يقول عنه صاحب العقد الفريد ت ٣٢٨ هـ[1].

ومن أحسن المحدثين تشبيهًا فى الحرب، مسلم بن الوليد الأنصارى فى قوله ليزيد بن مزيد

تَلْقَى الْمَنِيَّةَ فِى أَمْثَالِ عُدَّتِهَا ... كَالسَيْلِ يَقْذِفُ جُلْمُودًا بِجُلْمُودِ

وقوله أيضًا :

مُوفٍ عَلَى مُهَجٍ فِى يَوْمِ ذِى رَهَجٍ ... كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَى إلى أَمَلِ

ويقول عنه صاحب وفيات الأعيان ت ٦٨١هـ[2] روى أن هارون الرشيد لما جهز يزيد بن مزيد إلى حرب الوليد بن طريف أعطاه ذا الفقار سيف النبى صلى الله عليه وسلم، وقال له : خذه يا زيد فإنك ستضربه، فأخذه ومضى وكان من هزيمة الوليد وقتله فى هذه الموقعة، وفى ذلك يقول مسلم بن الوليد الأنصارى من جملة قصيدة يمدح بها يزيد بن مزيد المذكور :

أذكرت سَيْفَ رَسُول اللهِ سُنتَهُ ... وَبَأْسَ أول مَنْ صَلَّى وَمَنْ صَامَا

يعنى بأس على بن أبى طالب رضى الله عنه، إذ كان هو الضارب به، ويخبرنا ياقوت الحموى ت ٦٢٦هـ[3] كان الفضل بن سهل قد ولى مسلم بن الوليد الشاعر ضياع الجور لجورجان وضمنه إياها بخمسمائة ألف، وقد بذل فيها ألف درهم وأقام بجرجان إلى أن أدركته الوفاة ومرض مرضه الذى مات فيه، فرأى نخلة لم يكن فى جرجان غيرها فقال :

---

[1] العقد الفريد لابن عبد ربه، تحقيق أحمد أمين وزملائه، طبعة مصر سنة ١٩٤٠، ج١، ص١٢٧.

[2] ابن خلكان، وفيات الأعيان، طبع مصر سنة ١٣١٠هـ.

[3] معجم البلدان لياقوت الحموى، طبعة وستنفلد بليزويج، سنة ١٨٦٨م.

أَلاَ يَـــا نَخْلَـــةً بالسَّفْــــــــحِ مِـــنْ أَكْنَـــافِ جُرْجَـــانِ
إلا أنـــــــــى وإيَّـــــاكِ بِجُرجَـــانَ غَـــرِيبـــــــانِ

ثم مات مع تمام الإنشاد.

وقد قال صاحب الأغانى[1] إن مسلمًا تقلد المظالم بجرجان، ثم عاد وذكر أنه تولى البريد بجرجان إلى أن توفى بها، والرأى الراجح كما يؤكده صاحب معجم الشعراء[2] ت ٣٨٤هـ، أنه يؤكد هذا الرأى صاحب معاهد التنصيص ت سنة ٩٦٣هـ[3]، أنه تولى بريد جرجان، وقد كانت وفاته سنة ٢٠٨م.

وبعد، فهذا تاريخ الشاعر بإيجاز. أما تشبيهاته فهى التى سوف تأتيك فى الفصول المقبلة بمشيئة الله تعالى.

---

[1] الأغانى لأبى الفرج، مخطوطة دار الكتب المصرية، رقم ١٣١٨، أدب.

[2] معجم الشعراء للمرزبانى، طبعة مصر سنة ١٣٥٤هـ.

[3] معاهد التنصيص للعباسى، مطبعة مصر سنة ١٢٧٤هـ.

الفصل الأول

صور التشبيه عند مسلم بن الوليد الأنصارى
بين الإفراد والتركيب والتعدد

لقد ظهرت قيمة التشبيه الفنية عندما كشف عنها البلاغيون فبينوا أركانه وأقسامه، كذلك طرفيه من حيث الإفراد والتركيب والتعدد والإطلاق والتقييد والحسية والعقلية، كذلك عندما بحثوا وجه الشبه باعتبار الإفراد والتركيب والتعدد والتمثيل وغير التمثيل والمجمل والمفصل والقريب والبعيد.

وعندما ذكروا الأدوات وقسموها إلى أسماء وأفعال وحروف، فكل أداة في التشبيه تعطى دلالة ومعنى معينًا.

وإذا كان مسلم بن الوليد قد سبق هذه المرحلة التى قنن فيها التشبيه فإن تشبيهاته قد مثلت هذه المقاييس التشبيهية والتقسيمات التى وضعها البلاغيون بعده، مما يدل على أنهم استقرؤا جميع تشبيهات الشعراء، ومنهم مسلم بن الوليد.

فقد تناول الشعر بألوانه وأغراضه المتعددة، مراعيًا فى ذلك الدقة والخيال، وسوف أتناول تشبيهاته وأفرد لكل تقسيم منها مبحثًا خاصًا به.

أولاً : مبحث الطرفين :

جاءت تشبيهات مسلم بن الوليد متنوعة فى هذا المبحث، سواء أكانت من حيث الإفراد، والتركيب والتعدد، أم الإطلاق والتقييد، والحسية والعقلية -فقد جاءت كلها متلائمة مع الأغراض الشعرية التى وردت فى شعره وهى على الترتيب : المدح وهو أبرز أغراض شعره، والخمر وقد كان لها النصيب الأوفر، والمرأة وهى أيضًا علامة من علامات شهرته، وهى التى لقب بسببها "صريع الغوانى"، وقد عرف بهذا الاسم وذاع صيته، كما وضحت فيما سبق من البحث[1].

كما وصف فى بعض أبيات قليلة السفينة والموج والصحراء والسراب والناقة والفرس، وقد كان سبب ذلك شيوع هذه الألوان خصوصًا فى عصر الشاعر، وهو العصر العباسى الأول الذى ازدهرت فيه جميع ألوان الفنون والعلوم، وانعكس أثر ذلك على الشعراء والكتاب والخطباء، فجاءت فنونهم آية فى الجمال.

وشاعرنا قد نشأ فى هذا العصر الذى لم تنقطع فيه الصلة بين ماضى الشعر[2]

---

[1] انظر البحث ص

[2] تاريخ الأدب العربى، العصر العباسى الأول، د. شوقى ضيف، ج١، ص٦٧، الطبعة السادسة، دار المعارف.

وحاضره، فقد وضع الشاعر العباسى نصب عينيه نموذج الشعر القديم، وحول كل ما يتضمن هذا النموذج من معانٍ وصور إلى عصره، وأضاف إليها حشودًا من معانٍ وصور جديدة وألف من ذلك كله نموذجه الحديث.

وتختلف[1] صلة هذا النموذج بالنموذج القديم سعة وضيقًا، فهو فى المديح والشعر الرسمى أقرب إلى القديم منه فى شعر الغزل والخمر والمجون، وبذلك يستمر فى مدائحه، والحديث عن الأطلال ووصف الصحراء، وما يتصل بها من رحلة وصيد حتى فى الموضوعات ذات الصبغة الجديدة كالخمريات، يستمد مما قاله القدماء، ومعنى ذلك أن الشعراء كانوا يجددون ولكن مع ضرب من التوازن، فهم لا ينسون القديم، ومن الحق أن استقصاءهم كان عميقًا، فهو استقصاء فيه جد وصرامة.

ومن هنا جاءت تشبيهات مسلم بن الوليد متنوعة بين الإفراد والتركيب والتعدد، كما توزعت بين الحسية والعقلية، وإن كانت تتفاوت بين القلة والكثرة، إلا أن كلاً قد ظهر فى موضعه بدقة لأن هذا الشاعر كما ذكرت كتب الأدب واللغة من الشعراء المشهود لهم بسعة الأفق والخيال، فضلاً عن أنه وفق فى استخداماته التشبيهية.

وسأعرض صورًا لمسلم بن الوليد الأنصارى التشبيهية باعتبار الطرفين، وسوف أبدأ بالصور المفردة، سواء أكانت حسية أم عقلية.

١ـ طرفا التشبيه المفرد الحسى المطلق :

تناول مسلم بن الوليد التشبيه المفرد الطرفين بكثرة فى شعره، فكانت تشبيهاته متنوعة بين الحسى والعقلى، وبين المطلق والمقيد.

ففى المدح نراه يقول فى وصف ممدوحه :

١- ولقد بنى لك فى الذرى من وائل	أبيات محمد ما تـرام طـوالا
٢- ولقد بنى لك أرقم ومطرف	بيتًا رفيع السمك عز فطالا
٣- أفتى "حنيفة" أنت أجود واحد	كفا وأكرم من يقد فعالا
٤- ما قلت فى أحد سواك علمته	إلا رأيت القولَ فيك مُحالا

[1] الفن ومذاهبه فى الشعر العربى، د. شوقى ضيف، ص١٤٢، دار المعارف، الطبعة التاسعة.

٥- إن الخليفـة بـدر آل محمّـد   ولوائـل أصبحـتَ أنـتَ هـلالا
٦- وإذا سماء ذوى السماحة لم تجد   جاءت سماؤك مسـبلاً هطـالا[1]

فى البيت الخامس تشبيهين فى الشطر الأول يشبه الشاعر الخليفة بالبدر بنسبه لآل محمد عليه السلام.

أما الشطر الثانى، فيشبه الشاعر ممدوحه بأنه الهلال لقبيلة وائل.

والتشبيه فى كل شطر من شطرى البيت مفرد حسى مطلق والشاعر يريد أن يبرز قيمة ممدوحه بالنسبة للقبائل التى يعيش معها وقد وفق الشاعر فى سياق هذين التشبيهين عندما جاء بمراعاة النظير الواقع بين التشبيهين ففى التشبيه الأول أتى بكلمة البدر وفى التشبيه الثانى أتى بكلمة الهلال.

كما وصف الرحل وصفًا حسيًا مفردًا بين الطرفين وصف المرأة أيضًا ونسمع مسلم يقول فى هذا الوصف :

١- بأبى وأمى من طلبت نوالـه   إذا زارنـى فـأبى علـى دلالا
٢- لـو أنـه خلـط الـدلال بنـائل   فـأنى لنـا كـان الـدلال حـلالا
٣- بارزتـه وسـلاحه خلخالـه   حتـى فضضـت بكفـى الخلخـالا
٤- هـذا الخيال فكيف لى بمنعم   رود الشـباب تخاله تمثـالا[2]

فى البيت الرابع يشبه الشاعر هذه الفتاة الجميلة بأنها تمثال، وذلك لشدة إتقان صنعه وخلقه، فكأنها تمثال.

فالطرفان مفردان حسيان.

وكما أجاد مسلم فى تشبيه الرحل والمرأة، أجاد أيضًا فى وصف الخمر، فنسمع له وهو يقول :

١- يسقيك بالعينين كأس صبابـة   ويعيدهـا مـن كفـه جريـالا
٢- ولنـا بـه كأسـا هـوى كلتاهمـا   توهـى القـوى وتفـتر الأوصـالا

---

[1] ديوان مسلم بن الوليد، ص٢٠٧.
[2] ديوان مسلم، ص٢٠٠.

٣- إبريقنا سلب الغزالة جيدها وحكى المدير بمقلتيه غزالا[1]

فى البيت الثالث تشبيهين : التشبيه الأول يقول فيه الشاعر إن إبريق الخمر كان طويل العنق يشبه فى ذلك جيد الغزالة، وهو تشبيه يقع فيه المشبه مفرد حسى والمشبه به مفرد حسى أيضًا، أما التشبيه الثانى، فيقول فيه إن مدير الكأس له عينان جميلتان تشبهان مقلتى الغزال، وهو تشبيه مفرد حسى بمفرد حسى أيضًا.

والشاعر موفق فى سياق هذين التشبيهين لأن م... ...رف ان عنق الغزال يتميز بطول معين أراد أن يصف إبريق الخمر ليبرز جماله وطوله، كما اختار أجمل ما فى الغزال أيضًا، وهو جمال العيون، ليخلع هذه الصفة على عينى مدير الكأس، والتشبيه الأول أجاد الشاعر فى صياغته.

٢ـ طرفا التشبيه المفرد العقلى :

فإذا انتقلنا إلى طرفى التشبيه المفرد العقلى، نجد مسلمًا بن الوليد يقول :

١- أذكرت سيف "رسول اللّهِ" سنته وبأس أول من صلى ومن صاما[2]

إن يشكر الناس ما أوليت من حسن فقد وسعت "بنى حواء" إنعاما

قطعت فى اللّهِ أرحام القريب كما وصلت فى اللّهِ أرحامًا وأرحاما[3]

يقول الشاعر : "إنك قطعت فى الله أرحام القريب"، يعنى بذلك قتله "الوليد بن طريف الشيبانى"، وكان ابن عمه أى من قبيلته، "كما وصلت فى الله أرحامًا وأرحامًا" أى أعطيت بسخاء رجاء ثواب الله.

لذا نجد أنه جاء بالمشبه مفرد عقلى، والمشبه به مفرد عقلى أيضًا، وقد وفق الشاعر فى السياق الذى أتى به فى هذا التشبيه لأن القطع مناسب لسياق الوصل لما بينهما من التضاد.

وفى مدح ممدوحه يقول مسلم بن الوليد :

---

[1] شرح ديوان مسلم، ص٢٠٤.

[2] شرح ديوان مسلم، ص٦٦.

[3] شرح ديوان مسلم، ص٦٧.

١- كفى غير أن الحادثات تخرمت طريف الفتى واستأثرت بالمؤثل

٢- وعند "أبى يحيى" غنى لا يمنه وعود متى ما يريد المال يقبل

٣- عرضت له عرض الإخاء قربه بنعمة محمود الصنائع مجمل[1]

٤- جواد تغاواه العواذل بينها ويقصرن عنه هيبة المتذلل

٥- يربن مكان اللوم ثم يهبنه فيمسكن عن غاو كديها معذل

٦- له بدهات من فعال وقوله هو الفعل إلا ريث وعد معجل[2]

فى البيت الرابع يمدح الشاعر ممدوحه ويقول إنه جواد تتغاواه العواذل بينها، أى تعلن فيه أنه غوى أى ضال يعطى ماله ويتلفه، وذلك من سوء رأيه -يقلن ذلك بينهن بحيث لا يسمعن "ويقصر عنه العواذل هيبة المتذلل"، أى ويهبنه هيبة العبد المتذلل لمولاه يريد أنهن يكففن عن عذله : أى يبالغن فيه مخافة أن يطو عليهن فإنما يلاطفن فعل المتذلل : يقال أقصر الرجل عن الشيء إذا كف عنه وهو يقدر عليه،وقصر عن الشيء إذا عجز عنه.

فالمشبه مفرد عقلى والمشبه به مفرد عقلى أيضًا، والمعنى أنهم يهبنه كهيبة المتذلل.

وقد وفق الشاعر فى اختيار سياق تشبيهه البليغ، وهو الواقع هيبتهم له وهيبة العبد المتذلل.

ومن بديع قول مسلم فى وصف ممدوحه :

١- فتى كرم يعطى وإن قل ماله ولا يتقى طلابه بالتعلل[3]

٢- طليق إذا المعروف أصبح أهله كأن بهم من حمله مس أفكل

٣- ترى الجود يجرى فى صفيحة وجهه وإن كان فى جدب من الأرض ممحل[4]

---

[1] شح ديوان مسلم، ص٢٨.

[2] المصدر نفسه، ص ٢٩.

[3] شرح ديوان مسلم، ص٢٩.

[4] شرح ديوان مسلم، ص٣٠.

يقول الشاعر : إن ممدوحه طليق؛ أى مشرق الوجه مسرور، حتى ولو سئل فى وقت ترى أهل المعروف فيه مرتعدين من خوف السؤال كأن بهم من ذلك مس "أفكل" أى رعدة تصيب الإنسان ويقال إنه ضرب من الجنون.

فقد شبه أثر السؤال فى أهل المعروف بأنه الرعدة فى الجسم ووجه الشبه الاهتزاز من الخوف فى كل.

لذا فإن المشبه "جاء مفردًا عقليًا" هو شدة أثر الخوف والمشبه به مفردًا عقليًا أيضًا وهو "مس الأفكل".

والشاعر موفق فى اختيار سياق هذا التشبيه الذى بين فيه حلم ممدوحه ووفرة كرمه فى زمن تدهش له العقول.

٣- طرفا التشبيه المفرد المختلف :

ومن الطرفين المختلفين أفرادًا بين الحسية والعقلية، نجد ان شاعرنا قد أدلى بدلوه كما أثبت براعته فى التشبيهات السابقة، ومن ذلك قوله :

١- لو رام قلبى عن هواك تصبرا ... ما كان لى طول الحياة بصاحب

٢- سلب الهوى عقلى وقلبى عنوة ... لم يبقَ منى غير جسم شاحب

٣- إنى لأستر عبرتى بأناملى ... جهدى لتخفى والبكاء مغالبى

٤- الحب سم طعمه متلون ... بفنونه أفنى دواء طبائب[1]

فى البيت الرابع يشبه الشاعر عاطفة الحب وهى أسمى عاطفة فى الوجود بالسم لماذا ؟ لأنه يفنى جميع محاولات الأطباء فى خلطه بالأدوية الأخرى، والتشبيه فيه المشبه مفرد عقلى والمشبه به مفرد حسى. وقد وفق الشاعر فى سياق هذا التشبيه لأن أثر الحب إن كان معنويًا إلا أنه يفعل فعل السم تمامًا فى البدن المعافى.

وقد نلمح أثرًا لثقافة الشاعر، حيث إن الأطباء يستخدمون السم بقدر ضئيل فى خلط الأدوية به، وذلك بقصد علاج المرضى وليس الموت.

ومن بديع قول مسلم بن الوليد :

---

[1] شرح ديوان مسلم، ص١٨٥.

١- خَلٍّ المكارم قد كفاك مراسها "سعدانها" وسليله "يعقوب"[1]

٢- ذاك الرجاء المستجار بجوده من نائبات الدهر حين تنوب

٣- كالكهل مقتبل الشباب يزينه حلم التكهل والشباب أريب[2]

فى البيت الثالث يشبه الشاعر ممدوحه بأنه كالكهل وهو مايزال فى مقتبل العمر والشباب، يزينه العقل وحلم الشيوخ مع جمال الشباب، والمشبه مفرد حسى وهو الممدوح والمشبه به حلم الكهولة وهو مفرد عقلى، والشاعر قد وفق فى سياق هذا التشبيه عندما اختار كلمة الكهل وحلم التكهل ليبين صفة ممدوحه وهو مايزال فى مقتبل العمر والشباب، وقد تمتع بصفة الحلم التى يتمتع بها الشيوخ فقد أكد هذه النظرة عندما أتى بقوله "مقتبل الشباب يزينه"، وقوله "والشباب أريب" دليل على أنه لا يقصد أن يصف ممدوحه بأنه شيخ عجوز وإنما أراد أن يصفه بالحلم والعقل المعهود لدى الشيوخ.

ومن بديع قول مسلم بن الوليد :

١- قد كنت قبلك خلوًا فابتليت بمن لا أحمد الدهر لى فى حبها حالا

٢- مثالها زهرة الدنيا مصورة فى أحسن الناس إدبارًا وإقبالاً[3]

فى البيت الثانى يشبه الشاعر محبوبته بأجمل شىء فى الدنيا، وهو زهرتها، أى بهجة الدنيا وجمالها، والمشبه مفرد حسى والمشبه به مفرد عقلى، والشاعر موفق فى سياق هذا التشبيه لاختياره أجمل شىء فى الحياة وهو حسن تصوير الدنيا وإقبال الناس عليها.

وكما أبدع مسلم بن الوليد فى التشبيهات المفردة المطلقة أبدع أيضًا فى التشبيهات المفردة المقيدة سواء أكان منها الحسى أم العقلى أم المختلف.

ومن بديع تشبيهات مسلم بن الوليد قوله :

---

(1) شرح ديوان مسلم، ص١١٤.

(2) شرح ديوان مسلم، ص١١٥.

(3) شرح ديوان مسلم، ص٢٧٨.

١- وقد قالت لبيض آنسات يصدن قلوب شباب وشيب

٢- أنا الشمس المضيئة حين تبدو ولكن لست أعرف بالمغيب

٣- براني اللّه ربي إذا براني مبرأة سلمت من العيوب

٤- فلو كلمت إنساناً مريضًا لَما احتاج المريض إلى الطبيب [(١)]

في البيت الثاني يشبه الشاعر محبوبته والكلام على لسانها بأنها كالشمس المضيئة ولكن متى "حين تبدو" كما أنها لا تعرف بالمغيب، وهذا التشبيه ليس جديدًا، والذى أجاد الشاعر فيه هو قوله "ولكنى لست أعرف بالمغيب"، وهو احتراس جيد وكأنه يعترف ضمنًا أن محبوبته أجمل من الشمس، حيث إن الشمس الحقيقية تغيب فى وقت وتظهر فى وقت آخر، وشمسه هو لا تغيب، ثم جعل القيد فى المشبه به حيث نبه إلى عدم غياب هذه الشمس، فنجد أن المشبه مفرد حسى والمشبه به مفرد حسى مقيد، وقد زاد هذا القيد من جمال التشبيه كما أنه جاء موفقًا فى السياق، حيث اختار المشبه به وهو الشمس ليعطينا دلالة على أن هذه المجموعة من الجمال والإشراق بحيث لا يشبهها فى هذا الجمال إلا الشمس. كما أنه جاء بهذا التشبيه ليبين بدقة أن المشبه هو عين المشبه به.

ومن بديع تشبيهات مسلم فى وصف السيف قوله :

١- غنائمه فى كل يوم جماجم زمائلها أبناؤها والحلائل

٢- وبيض مصونات الجلاء كأنها جباه العذارى قرطتها الوذائل[(٢)]

المفرد الحسى المقيد :

ويبدع مسلم بن الوليد فى هذا النوع، فيقول :

١- متنكرات زرنني من بعد ما هدت العيون ونام كل مراقب

٢- لقبنني أسماء منها سيدى وأخى وسالب من أحب وسالبى

---

(١) شرح ديوان مسلم، ص١٩١.

(٢) شرح ديوان مسلم، ص٢٨٣.

٣- وسفرن عن غرر الوجوه كأنها   بالليل مصباح ببيعة راهب

٤- حور أوانس يقتنصن بأسهم   من طرفهن إذا نظرن صوائب[(١)]

فى البيت الثالث يقول الشاعر : وكشفت النسوة عن غرر الوجوه، والغرة هى بياض فى جبهة الفرس نقلها الشاعر إلى جباه هؤلاء النسوة ليدلل بذلك على أنهن ذوات وجوه بيضاء جميلة مضيئة كأنها مصباح فى مكان عبادة الراهب.

والمشبه وهو "غرر الوجوه" مفرد حسى، أما المشبه به فهو مفرد حسى مقيد "بالليل مصباح ببيعة راهب" وهذا القيد أتى بالمعنى المراد حيث إنه من عادة الرهبان أن يعتنوا بمصابيحهم فتظل متوهجة طوال الليل من أجل العبادة.

كما أنه وفق فى سياق هذا التشبيه الذى وضح فيه الدلالة بين المشبه وهو "غرر الوجوه" والمشبه به وهو "المصباح المضاء ليلاً فى بيعة الراهب"، ليبرز جمال هؤلاء الفتيات لأن أقل ضوء يظهر لشدة الظلمة ليلاً.

٣- إذا خطبتها الحرب كان مهورها   صبابة ما ضم الطلا والمفاصل[(٢)]

الجلاء : الصقل، الوذائل : الفضة.

فى البيت الثانى يشبه الشاعر السيوف المستورة المصونة بجباه العذارى اللاتى يرتدين أقراط الفضة الخالصة فى أذانهن والشاعر وفق فى تشبيهه حيث لاحظ السياق بين بياض السيف وصونه وجباه العذارى لأنها أبرز مكان فى الوجه وأكبر مساحة يعرف منها معالم الشخص ثم زاد من جمال التشبيه عندما أضاف إلى هذا وقال : "قرطتها الوذائل" أى يرتدين الفضة الخالصة فى آذانهن، والمشبه مفرد حسى وهى السيوف المصونة، أما المشبه به فهو مفرد حسى مقيد، والقيد فى قوله "قرطتها الوذائل".

٥ـ طرفا التشبيه المركبان الحسيان :

فإذا بدأنا فى البحث عن التشبيهات المركبة الحسية نجد أن للشاعر مسلم ابن الوليد لمسات فنية رائعة فى هذا النوع خصوصًا وانه تأنق فى استخدام الألوان والأشكال

---

(١) شرح ديوان مسلم، ص١٨٦.

(٢) شرح ديوان مسلم، ص٢٨٣.

والروائح العطرية كما أنه لم ينسَ أنه فى بيئة عباسية متفننة، فوصف لنا الذهب واللؤلؤ والدر المتحدر على سلك من ذهب وكأنه صانع ماهر لهذه الجواهر التى نظمها لنا فى شعره الرائق، وكأنها أبدعت بريشة فنان أجاد رسمها وتصويرها.

ومن رائع تشبيهات مسلم بن الوليد قوله فى وصف المرأة :

١- مللت من العذال فيها فأطرقت — لهم أذن قد صم منها المسامع

٢- وما زينتها العين لى عن لجاجة — ولكن جرى فيها الهوى وهو طائع

٣- فأقسمت أنس الداعيات إلى الصبا — وقد فاجأتها العين والستر واقع

٤- فغطت بأيديها ثمار نحورها — كأيدى الأسارى أثقلتها الجوامع[١]

فى البيت الرابع يشبه الشاعر هيئة أيدى الفتاة وهى تغطى صدرها من الحياء والخجل بأيدى الأسارى مكبلة بالأغلال، وهذا التشبيه جاء فيه المشبه مركب حسى وهو هيئة الأيدى التى تغطى صدر الفتاة والمشبه به مركب حسى أيضًا، وهو هيئة أيدى الأسارى المكبلة بالأغلال وهو جرم يعلوه جرم آخر بشكل مخصوص.

وقد وفق الشاعر فى اختيار سياق تشبيهه، حيث اختار هذه الهيئة وهى هيئة الإنسان المكبل بالأغلال ولا يستطيع الحركة ليبين صفة وهيئة حياء هذه الفتاة وخجلها، وهو وصف دقيق نقله الشاعر بصدق فنى.

ويقول ابن رشيق[٢] عن هذا التشبيه إنه مصيب جدًا وإنه لم يقع لأحد مثله.

ويقول [illegible] وصف الخمر :

١- أماتت نفوسًا من حياة قريبة — وفاتت فلم تطلب بتبل ولا ذحل

٢- شققنا لها فى الدن عينًا فأسبلت — كما أسبلت عين الخريد بلا كحل[٣]

٣- كأن حباب الماء حين يشجها — لآلئ عقد فى دماليج أو حجل

٤- كأن فنيقًا بازلاً شك نحره — إذا ما استدرت كالشعاع على البزل

---

[١] شرح ديوان مسلم، ص ٢٧٣.

[٢] العمدة لابن رشيق القيروانى، ج١، [illegible]

[٣] شرح ديوان مسلم، ص٢٨.

٥- كـأن ظباء عكفـا في رياضهـا أباريقها أوجسـن قـعقـعة النبل[1]

في البيت الثانى تشبيه "مركب الطرفين" حسى : يقول الشاعر : "شققنا لها فى الدن عينًا" أى ثقبًا "فأسبلت" أى ففاضت كما فاضت "عين الخريد" بدمعها بلا كحل، قال أبو عمرو بن العلاء[2]، يقال امرأة خريد وخريدة وهى الحيية أى المحتشمة. فقد شبه الشاعر هيئة نزول الخمر فى تتابعها وفيضانها من فتحة فوهة الدن بهيئة نزول الدموع المتتابعة من عين الفتاة الجميلة.

وهذا التشبيه من التشبيهات المركبة الحسية الدقيقة عند الشاعر لأنه استثنى بكلمة "بلا كحل" ليحافظ على اللون المطلوب مع الصفاء المطلوب فى الخمر كما فعل امرؤ القيس فى تشبيهاته المعروفة فى قوله :

حملت ردينيا كأن سنانه سنا لهب لم يتصل بدخان[3]

ففصل السنا عن الدخان وأثبته مفردًا.

وقوله أيضًا :

كأن عيون الوحشي حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب[4]

وقد حدد امرؤ القيس فى هذا البيت الجزع السليم "الذى لم يثقب" ليحافظ على الشكل المطلوب فى العين واستدارتها.

وقد وفق مسلم بن الوليد فى اختيار تشبيهه حيث التشابه بين فتحة فوهة الدن وفتحة عين الخريد، ثم التشابه أيضًا بين لون الكحل وهو اللون الأسود المعروف ولون الزفت الذى يكون حول ثقب الخابية محدقًا لها كإحداق الكحل بالمقلة، ثم نراه يصف تتابع نزول الخمر الرائق ليشبهه بفيضان الدموع الرقراقة الصافية، ويظهر ذلك فى قوله "بلا كحل" ليثبت كمال صفائها ونقائها من أى شائبة تشوبها.

---

[1] شرح ديوان مسلم، ص٣٩.
[2] شرح ديوان مسلم، ص٣٨.
[3] بغية الإيضاح لعبد المتعال الصعيدى، ج٣، ص٦٥.
[4] ديوان امرئ القيس، تحقيق كرم البستانى.

وهذا التشبيه من التشبيهات الجيدة الموفقة التى لاحظ فيها مسلم السياق بدقة ومهارة.

وقوله فى البيت التالى يصف خلط الخمر بالماء فيشبهها فى تركيب حسى رائع بأن قطرات الماء حين تختلط بالخمر وهى تمر وسطها كأنها لآلئ عقد تزينها، وخص بالذكر فى قوله "دماليج" وهو إسورة تحبس فى الأعضاء واحدها دملج، و"دملوج" أيضًا، "أو حجل" هو خلخال، والجمع حجول، و"الشج" الجرح فى الرأس خاصة. ولذلك قيل شجت الخمر لوقوع الماء عليها أى على رأسها، وهو أعلاها فى الإناء. والتركيب الحسى يقع فى المشبه بين حبات الماء والخمر فى المشبه به فى اللآلئ المنظومة فى عقد أو إسورة أو خلخال.

وقد وفق الشاعر فى سياق هذا البيت، حيث لاحظ الشبه بين الزبد فى الخمر المخلوطة واللؤلؤ، مراعيًا اللون والشكل الكرى واللمعان، وهو تشبيه جيد يتضح من رفاهية العصر الذى عاش فيه الشاعر، وفى البيت التالى يقول مسلم بن الوليد واصفًا أباريق الخمر :

١- كأن ظباء عكفا فى رياضها   أباريقها أوجسن قعقعة النبل[1]

يشبه الشاعر هيئة أعناق الظباء العاكفة فى رياضها الخائفة من قعقعة النبل وكأنها أحست بحركة رامٍ، فرفعت رؤوسها وتشوفت خوفًا منه بهيئة أباريق الخمر المصفوفة المملوءة بالشراب، و"القعقعة" صوت يحدث من اصطكاك عودين أو حجرين وما أشبهه، وأراد اصطكاك النبل فى جعبتها إذا حركها الرامى ليخرج منها شيئًا، وقد وفق الشاعر فى اختيار تشبيهه، حيث لاحظ السياق بين أعناق الظباء والحركة المخصوصة التى كانت عليها متشوفة خائفة ناصبة أعناقها فى حركة مخصوصة بهيئة انتصاب أباريق الخمر المصفوفة بشكل مخصوص أيضًا، وهو تشبيه من التشبيهات الجيدة الحسية المركبة استعمل فيها الشاعر حاسته وخياله، ونقل لنا مشهدًا من مشاهد الطبيعة.

ونكتفى بهذا القدر من تشبيهات الشاعر المركبة الحسية لنبحث فى تشبيهاته المركبة العقلية، وكيف عالجها [illegible] فى عطائه.

---

[1] شرح ديوان مسلم بن الوليد، ص [illegible]

٦- طرفا التشبيه المركبان العقليان :

وقد ظهرت تشبيهات مسلم بن الوليد المركبة الطرفين "العقلية" بصورة أقل من تشبيهاته الحسية المركبة الطرفين.

ولنسمع له فى قوله :

١- كأن قلبى وشاحـهـا إذا خطرت   وقلبها قلبها فـى الصمت والخـرس

٢- تجرى محبتها فى قلب عاشقهـا   جرى السلامة فى أعضاء منتكس[1]

يشبه الشاعر سريان حب المحبوبة فى قلب عاشقها بسريان السلامة فـى أعضـاء جسم المنتكس من مرض. والمشبه مركب عقلى، وهـو سـريان الحـب فـى الدمـاء التـى تصل للقلب، والمشبه به مركب عقلى وهو سريان السلامة والصحـة فـى أعضـاء جسـم المريض. وقد وفق مسلم حيث لاحظ السياق التشبيهى لأن الحب مـن الأشـياء المعنويـة التى لا يمكن للإنسان أن يحدد مسارها فـى الجسـم، كذلـك السـلامة فـى سـريانها فـى جسم المريض.

٧- طرفا التشبيه المركب المختلف بين الحسية والعقلية :

وكما وجدنا فى عطاء الشاعر مسلم بن الوليد تشبيهات مركبة حسية ومركبة عقلية بين الطرفين، وجدنا أيضًا تشبيهات مركبة مختلفة بين الطرفين، منها الحسى ومنهـا العقلى، مما يدل على أن الشاعر له مقـدرة فائقـة فـى هـذا الفـن، ومـن أروع تشبيهات مسلم بن الوليد قوله :

١- يقـرى المنيـة أرواح الكمـاة كمـا   يقرى الضيوف شحوم الكوم والـبزل

٢- يكسو السيوف دماء الناكثين بـه   ويجعـل الهـام تيجـان القنـا الذبـل

٣- يغـدو فتغـدو المنايـا فـى أسـنته   شـوارعًا تتحـدى النـاس بـالأجل

٤- إذا طغت فـئة عن غـب طاعتهـا   عبا لها الموت بين البيض والأسل[2]

---

[1] شرح ديوان مسلم، ص ٣٢٥.

[2] شرح ديوان مسلم، ص١١.

فى البيت الأول يقول الشاعر إن ممدوحه يقدم للمنية أرواح الكماة من أعدائه كما يقدم للأضياف لحوم إبله، و"الكوم" العظام الأسنمة، واحدتها كوماء، و"البزل" جمع بازل وهو البعير الذى أنهى تسعة أعوام. فقد شبه هيئة تقديم أرواح الفرسان من أعدائه للموت بفعل شجاعة ممدوحه وقوته بهيئة تقديم لحوم وشحوم الإبل للأضياف. والمشبه فى هذه الصورة مركب عقلى، والمشبه به مركب حسى، وقد وفق الشاعر حيث لاحظ السياق فى الهيئة المركبة من أشياء معنوية فى المشبه حاول أن يقربها إلى أذهاننا بأشياء مركبة حسية هى هيئة تقديم اللحوم والشحوم للضيفان، كما أننى ألمح الكرم الزائد فى كل من المشبه والمشبه به بدلالة قول الشاعر "يقرى" التى وقعت فى الشطرين الأول والثانى. وقوله أيضًا فى الشطر الأول "أرواح الكماة" بالجمع، وهى دليل الكرم، ولم يقل بالمفرد "روح" دلالة على أن قتلاه من الأعداد الكبيرة، كما أن الكلمة "الكماة" مفردها "كمى" وهو الشجاع دلالة أخرى وهى أن هذه الأرواح لم تكن أرواح أناس مغمورين وإنما كانت لفرسان أقوياء شجعان.

وفى الشطر الثانى من البيت يدلل الشاعر على أن ممدوحه كان كريمًا إلى حد الكرم الزائد فى قوله "شحوم الكوم والبزل"، معنى ذلك أنه كان لا يذبح كوماء واحدة أو بعيرًا واحدًا، وإنما كان يذبح أعدادًا كبيرة.

ومن بديع تشبيهات مسلم قوله :

١- وكأنما ذرفت عليك بجوده ديم ترنم تحتها شؤبب

٢ - [illegible] ..وطر الجموح إلى الخنى يرمى الضمير بظنه فيشيب

٣- [illegible] ..ن سعدان" الذين بجدهم نيل الحفاظ وأحكم التأديب[1]

فى البيت الأول يقول : "وكأنما ذرفت عليك" أى انسكبت عليك بجوده ديم ترنم تحتها شؤبوب. والديم جمع ديمة وهى مطر يدوم خمسة أيام أو أكثر من ذلك فى لين. و"الشؤبوب" المطر الغليظ القطر، و"القطر" النقط، والجمع شآبيب. وقوله "ترنم تحتها" أى صوت. يشبه الشا[illegible] [illegible]ة تتابع كرم وعطايا الممدوح وهى تصل للمحتاجين

---

(١) شرح ديوان مسلم، ص١١٩

بهيئة المطر الغزير المتتابع المتساقط فى لين وسهولة ففى هذه الصورة نجد أن المشبة مركب عقلى والمشبه به مركب حسى، وقد وفق الشاعر فى اختيار السياق التشبيهى لهذه الصورة حيث جمع بين تتابع عطايا الممدوح وتتابع عطايا السماء من المطر الذى يحتاج إليه الناس فى حياتهم، ثم زاد من جمال هذه الصورة أن بين أثره فى الصوت الذى يصدر من هذا المطر فى قوله "ترنم تحتها شؤبوب" والترنم هو الصوت الذى له إيقاع منتظم. لذا أجد أن الشاعر قد نجح فى إيجاد علاقة تشبيهية جيدة بين المشبه والمشبه به.

٨- طرفا التشبيه المختلف بين الإفراد والتركيب :

وكما أتى مسلم بن الوليد بتشبيهات مفردة الطرفين سواء أكانت حسية أم عقلية مركبة أم مختلفة أم متعددة فللشاعر لمسات فنية رائعة فى التشبيهات المختلفة الطرفين بين الإفراد والتركيب.

وأذكر مثالاً لمسلم قوله فى المفرد العقلى بالمركب الحسى :

١- وحـــديث سحار الحديث كأنه   در تحــــدر من نظام الثاقـــب[1]

فهو يشبه سحر حديث محبوبته بالدر المنتظم فى عقد جميل متناسق، فنجد أن المشبه، وهو سحر الحديث "مفرد عقلى"، أما المشبه به فهو مركب حسى من حيث أن كل جزء موضوع فى وضع خاص، وقد وفق مسلم فى سياق هذا التشبيه حيث لاحظ علاقة المشابهة بين المشبه والمشبه به وكأن سحر حديثها در منظوم فى عقد رائع من الدر وجمال الاستواء.

ومن بديع تشبيهات مسلم بن الوليد قوله فى المفرد العقلى بالمركب الحسى :

١- لقد تـرك الوجـد نفسـى بهـا   تمـوت مـرارًا وتحيـا مـرار

٢- كلانـا محـب ولكننـى   علـى الهجـر منهـا أقـل اصطبـارا

٣- إذا قلـت : أسلو دعـانى الهـوى   فـالتهب فـى القلـب للشـوق نـارا

٤- وأحــور وَسْـنَان ذى غنـه   كـأنَّ بوجنتـه الجلَّنَـارا

٥- كسانى من الحُب ثوب الجـوى   فصار الشعار وصـار الدثـارا[2]

---

[1] شرح ديوان مسلم، ص١٨٧.

[2] شرح ديوان مسلم، ص١٨٩.

في البيت الخامس "الشعار" الثوب الذى يلى البدن، و"الدثار" ما فوقه : فقد شبه الشاعر لوعة الشوق وناره بالشعار، وهو الثوب الذى يلبس وفوقه الدثار، وهو أيضًا ثوب يلبس فوق الشعار، وكأنه يريد أن يقول إنه كسى من الحب ثوبين متتاليين: الأول الشعار والثانى الدثار، فالمشبه مفرد عقلى وهو ثوب الجوى، والمشبه به مركب حسي وهو الشعار والدثار.

وقد نجح الشاعر حينما جسد نار الحب والشوق بالثوب الذى يرتديه الإنسان، وقد جعله ثوب الجوى على سبيل الاستعارة حتى لا ينسى ما هو فيه، ويكون باستمرر على ذكر منه ليجدد ألم الشوق وأحزان الفراق، ملاحظًا بذلك السياق التشبيهى، وقد أظهر المعنويات فى صورة المحسوسات، كما أنه اقتبس هذا المعنى من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله يوم فتح مكة : «أنتم الشعار والناس الدثار».

وقوله أيضًا فى المفرد الحسى بالمركب الحسي :

١- وريقـى مـاء غاديـة بشـهد ... فما أشهى من الشهد المشـوب

٢- فقلن لها : صدقت فهل عطفتم ... على رجل يهيم بكم كئيب

٣- غريب قد أتاك فأطلقيه ... فإن الأجر يطلب فى الغريب[1]

فى البيت الأول "الشهد" بالفتح والضم : العسل مادام لم يعصر من شمعه، جمعه شهاد. "الغادية" : السحابة تأتى فى الغداء. يشبه الشاعر ريق محبوبته فى وقت الغداء بأنه ماء الشهد، أى ماء العسل بعد عصره واستخراج الشوائب منه والشمع، فما ألذ و[illegible] من الشهد المخلوط بالماء.. هكذا وصف ريق محبوبته.

وقد لاحظ الشاعر السياق واختار الشهد المخلوط ليكون وصفًا لريق محبوبته، المشبه مفرد حسى وهو الريق، والمشبه به مركب حسى وهو الشهد المخلوط بماء الغادية.

٩ ـ التشبيه الملفوف والمفروق :

ينقسم التشبيه [illegible] الطرفين أيضًا إلى أربعة أقسام :

---

(١) شرح ديوان مسلم، ص [illegible]

الأول : التشبيه الملفوف[1] :

وهو أن يؤتى بالمشبهات أولاً عن طريق العطف أو غيره، ثـم يؤتـى بالمشـبهات بها، وهذا القسم لم يرد فى شعر مسلم.

الثانى : التشبيه المفروق[2] :

وهو أن يؤتى بمشبه ومشبه به ثم بآخر وآخر.

ومن تشبيهات مسلم بن الوليد فى هذا النوع قوله :

١- غراء فـى فرعهـا ليـل علـى قمـر   علي قضيب على دعس النقا الدهـش

٢- أزكى من المسك أنفاسًا وبهجتهـا   أرق ديباجة مـن رقـة النفـس[3]

فى البيت الثانى يشبه الشاعر أنفاس محبوبته بالمسـك، ويقـول إنهـا أزكـى مـن المسك، ثم يشبه بهجتها ويقول إنها أرق من رقة النفس. وقد وفق الشاعر حيث لاحظ السياق التشبيهى باستعمال أفعل التفضيل أداة للتشبيه فى قوله "أزكى" و"أرق"، كذلك استخدامه لكلمة المسك وهى الأصل فى طيب الرائحة، واستخدامه لكلمة بهجتها ورقة النفس كل ذلك ليخلع هذه الصفات على محبوبته.

ويعتبر هذا التشبيه من التشبيهات المفروقة، حيث أتى بالمشبه ثم بالمشبه به على التوالى، ثم أتى بمشبه آخر، ومشبه به آخر على الترتيب.

ومن هذا النوع قول مسلم بن الوليد فى وصف السفينة :

١- كشفت أهاويل الدجى عن مهولـه   بجاريـة محمولـة حـامل بكـر

٢- لطمت بخديها الحباب فأصبحت   موقفـة الدايـات مرثومـة النحـر

٣- إذا أقبلت راعـت بقنة قرهـب   وإن أدبرت راقت بقادمتى نسـر[4]

فى البيت الثالث يقول مسلم : إذا أقبلت إليك السفينة "راعتـك" أى أفزعتـك "بقنة قرهب" أى بشكل ضخم وكأنه رأس ثور وحشى مسـن، فقـد شبهها فـى إقبالها

---

[1] نظرات فى البيان، د. محمد عبد الرحمن الكردى، ص٥٧، مطبعة السعادة.

[2] المصدر السابق، ص٥٧.

[3] شرح ديوان مسلم، ص٣٢٥.

[4] شرح ديوان مسلم، ص١٠٧. "قنة الرهب" : رأس ثور وحشى مسن.

وكأن السلوقية التى يقعد عليها الرائد فى صدر المركب رأس ثور وحشى مسن. وقد شبهها فى حالة إدبارها "بقادمتى نسر" بمقاذف كأنها جناحا نسر. وهو يريد بذلك أن يصف لنا سرعتها عند إدبارها. وقد لاحظ مسلم السياق التشبيهى باختيار "قنة القرهب" ليبرز ضخامة رأس هذه السفينة، كما اختار كلمة "راعتك" التى تدل على الدهشة والانبهار، وباختياره "قادمتى نسر" لحالة الإدبار كان موفقًا أيضًا ليبرز سرعة هذه السفينة، واختياره لكلمة "راقت". وهذا التشبيه من التشبيه المفروق حيث أتى بالمشبه ثم بالمشبه به على الترتيب، كذلك أتى بالمشبه والمشبه به الآخر على الترتيب أيضًا.

٣- تشبيه التسوية : هو أن يتعدد طرفه الأول، أعنى المشبه. وفى ذلك يقول مسلم بن الوليد :

١- للّهِ من "هاشم" فى أرضه جبل	**وأنت وابنك ركنا ذلك الجبل**
٢- قد أعظموك فما تدعى لهينة	**إلا لمعضلة تستن بالعضل**
٣- يا رب مكرمة أصبحت واحدها	**أعطيت صناديد راموها فلم تنل**
٤- تشاغل الناس بالدنيا وزخرفها	**وأنت من بذلك المعروف فى شغل**[1]

فى البيت الأول يقول الشاعر واصفًا ممدوحه "من هاشم" أى من بنى هاشم، "جبل" يعنى الخليفة، وأنت وابنك قائدان لذلك الخليفة، تقومان له مقام الركنين. فقد شبه هذين القائدين العظيمين بركنى الجبل الذى يعتمد الخليفة عليهما فى كل الأمور، وقد لاحظ الشاعر السياق التشبيهى حيث أنه اختار الجبل، وهو دليل القوة والشموخ ليجعله مشبهًا به، وهذا التشبيه من تشبيهات التسوية، حيث عدد المشبه وهو الطرف الأول فى التشبيه.

٤- تشبيه الجمع : هو أن يتعدد طرفه الثانى، أعنى المشبه به، دون الأول. ومن ذلك قول مسلم بن الوليد :

---

[1] شرح ديوان مسلم، ص٢٢.

١- بـه تعـارفت الأحيـاء وائتلفـت إذا ألفتهـم إلى معرفـة السـبل
٢- كأنـه قمـر أو ضيغـم هصـر أو حيـة ذكـر أو عـارض هطـل
٣- لا يضحك الدهر إلا حـين تسأله وليـس يعبـس إلا حـين لا يسـل
٤-أعطى المقادة أهل الشام حين غشوا من "جعفر" بهنات ما لها حـول[1]

فى البيت الثانى يشبه الشاعر ممدوحه بعدة صفات، فيقول إنه كالقمر أو الضيغم الهصر أو الحية الذكر أو السحاب الهاطل.

نرى أن الشاعر يعدد لممدوحه صفات كثيرة، منها الجمال والشجاعة والقوة مع لين الجانب.

وهذا التشبيه من تشبيهات الجمع، حيث عدد الصفات فى المشبه به. وفى مثال آخر نراه يقول :

١- كانت ذخـيرة دهقـان يضـن بهـا مكسوبة من حـلال غـير مكتسـب[2]
٢- كأنمـا ضمنـت مسـكًا يفـوح بـه أو عنبر الهند أو طيبًا مـن السخب
٣- يكـاد أن تتلاشـى كلمـا مزجـت فى الكأس لولا بقايا الريح والحبـب
٤- مميتـة لهمـوم القلـب محييـة للبشر نافية للفكـر والوصـب[3]

السخب : حب القرنفل.

فى البيت الثانى يعدد الشاعر صفات كثيرة للخمر، فيصفها بأنها يفوح منها مسك طيب الرائحة أو عنبر الهند المعروف بطيبه الرائع النفاذ أو رائحة القرنفل الطيبة.

وهذا التشبيه من تشبيهات الجمع لأن طرفه الثانى أى المشبه به هو المتعدد.

والشاعر كما نرى أعطانا صورًا من التشبيه المتعدد الطرفين، وهم على الترتيب المفروق - والتسوية - والجمع. أما التشبيه الملفوف فلم أجد أمثلة له فى ديوان الشاعر.

---

[1] شرح ديوان مسلم، ص٢٥٠.

[2] شرح ديوان مسلم، ص٢٠٩. "دهقان" : عظيم من العجم.

[3] شرح ديوان مسلم، ص٢١٠.

التشبيه المقلوب :

وكما هو معروف أن التشبيه الجارى على السنن المألوف، لا يخلو من المبالغة؛ ولكن المتفننين[1] فى طرق الأداء من أرباب الصناعة البيانية لم يقفوا عند التشبيه العادى لأنهم يرون أن هذه المبالغة المعتدلة أقل من أن تشبع رغبتهم فيما يتوخونه من أغراض الكلام، سواء أكان ذلك فى الغزل أم فى المديح أم فى الرثاء أم فى الوصف وما إليها، فكان أن سلكوا لذلك طريق القلب فى التشبيه توصلاً لهذه الغاية المنشودة على أنه من الحق أن نصرح أن التشبيه من حيث هو لم يُرضِ نزعة بعض الشعراء المحبين للإغراق كذلك المادحين. وسأعرض لبعض آراء البلاغيين فى التشبيه المقلوب وقيمته البلاغية.

إن البيانيين سموا هذا النوع من التشبيه[2] التشبيه المقلوب أو المعكوس.

وسماه ابن جنى فى "الخصائص" وابن الأثير فى "كنز البلاغة" غلبة الفروع على الأصول[3].

وقال عنه عبد القاهر الجرجانى[4] فى "أسرار البلاغة" جعل الفرع أصلاً والأصل فرعًا، وهو فى اصطلاح البيان أن يقصد الشاعر على عادة التخييل أن يوهم فى الشيء القاصر عن نظيره فى الصفة أنه زائد عليه فى استحقاقها واستيجاب أن يجعل أصلاً فيها فيصح على موجب دعواه وشوقه إلى أن يجعل الفرع أصلاً.

وحينئذ يجعل الفرع أصلاً ويشبه الزائد بالناقص، ويكون الغرض فى الحقيقة إعلاء شأن ذلك الناقص، أى هو بالغ إلى حيث صار أصلاً للشيء الكامل فى ذلك. وسماه ابن الأثير فى "المثل السائر"[5] الطرد والعكس،وعده من مواضع علم البيان الحسنة الموقع اللطيفة المأخذ.

ومن بديع قول مسلم بن الوليد :

---

(1) فن التشبيه لعلى الجندى، ج١، ص٢٨٢، الطبعة الثانية، الأنجلو.

(2) فن التشبيه لعلى الجندى، ج١، ص٢٩٢، الطبعة الثانية، الأنجلو.

(3) الخصائص لابن جنى، ج١. ص٣٠٠، تحقيق محمد على النجار، طبع دار الهدى.

(4) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجانى، تحقيق رشيد رضا، ص

(5) المثل السائر لابن الأثير، ج٢، ص١٦٤، تحقيق أحمد الحوفى [illegible] طبانة.

١- كم من يد "لأمين الله" لو شكرت ... لقصر النفس عن أدنى أدانيها

٢- فتى تهين رقاب المال راحته ... إذا أتاها مريد المال يبغيها

٣- يمنى يديك لنا جدوى مطبقة ... هذا السحاب بأعلى الأفق يحكيها[1]

فى البيت الثالث : يشبه الشاعر كرم ممدوحه بالسحاب حتى إنه بالغ وقلب التشبيه حينما قال : "هذا السحاب بأعلى الأفق يحكيها" أى يشبهها. وقد لاحظ مسلم ابن الوليد السياق عندما اختار "السحاب بأعلى الأفق يحكيها"، لأنه لا يوجد أعلى ولا أفضل من السحاب فى العطاء، ويعتبر هذا التشبيه من التشبيهات المقلوبة.

التشبيه الضمنى :

التشبيه الضمنى هو الذى لم يوضع على الصورة المعهودة للتشبيه من وضع المشبه والمشبه به وإنما هو يأتى على صورة دعوى ودليل لها[2] ويلمح التشبيه من التركيب مع خلوه من الأداء لفظًا أو تقديرًا.

وهذا التشبيه لا تبنى عليه الاستعارة، ولذلك نجد علماء البيان لا يذكرونه فى التشبيه إلا استطرادًا عند التمثيل لغرض من أغراض التشبيه.

وقد ذكرت كتب البلاغة أمثلة لهذا النوع، نذكر منها ما قاله أبو تمام فى فضل الحاسد على المحسود :

١- وإذا أراد اللّه نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود

٢- لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عرف العود[3]

فأبو تمام يقول : إن الفضائل تظل مطوية حتى يقيض الله حاسدًا فيتكلم فى المحسود وينقض محاسنه فيذيع ذكرها، وقد ساق الدليل على هذه الدعوى بأن اشتعال النار المحرقة للعود سبب فى معرفة الإنسان لطيبه ولاهتمامه به[4] .

---

[1] شرح ديوان مسلم، ص٩٧.

[2] نظرات فى البيان، د. عبد الرحمن الكردى، ص٣٤.

[3] ديوان أبى تمام، ج١، ص ٣٩٧، تحقيق محمد عبده عزام، شرح الخطيب التبريزى، نشر دار المعارف، الطبعة الثانية.

[4] نظرات فى البيان، ص٣٩، ٤٠.

أما شاعرنا فقد أدلى بدلوه فى هذا النوع، ومن ذلك قوله :

١- أخذت لطرف العين منها نصيبه وأحليت من كفى مكان المخلخل

٢- سقتنى بعينيها الهوى وسقيتها فدب دبيب الراح فى كل مفصل[١]

فى البيت الثانى يقول مسلم بأنها سقتنى بعينيها الهوى وسقيتها، وكأنه يريد أن يشبه سريان نظرته لها ونظرتها له بالخمر الذى يسرى ويدب فى كل مفصل من أنحاء جسمه.

وكأن الشاعر أراد أن ينقل لنا المعقولات ويحولها إلى حسيات فشبه تعاطيه الحب بتعاطيه الخمر وأن الأثر الناتج عنهما واحد وهو سريانه فى الدم والعروق.

والشاعر موفق فى هذه الصورة، حيث لاحظ السياق التشبيهى كما أنه لم ينسَ أن يجعل هذا الفعل منها ومنه على سبيل المشاركة والمبادلة.

وأذكر مثالاً لمسلم بن الوليد قوله :

١- وقلت حين أدار الكأس لى قمر الآن حين تعاطى القوس باريها[٢]

٢- يا أملح الناس كفا حين يمزجها وحين يأخذها صرفًا ويعطيها

٣- قد قمت منها على حد يلائمها فهكذا فأدرها بيننا ايها

٤- إن كانت الخمر للألباب سالبة فإن عينيك تجرى فى مجاريها

٥- سيان كأس من الصهباء أشربها ونظرة منك عندى حين تصبيها[٣]

فى البيت الرابع يشبه الشاعر فعل الخمر فى الألباب بفعل نظرة محبوبته له على سبيل التشبيه الضمنى.

---

[١] شرح ديوان مسلم، ص١٤٢.

[٢] شرح ديوان مسلم، ص٢١٦

[٣] شرح ديوان مسلم، ص[illegible]

مبحث الأداة

أدوات التشبيه

من أركان التشبيه : الأداة، مذكورة كانت أو مقدرة، وهى :

أ ـ حرفان : الكاف وكأن :

١- الكاف :

والأصل فيها أن تدخل على المشبه به، وقد ورد فى ديوان مسلم بن الوليد تشبيهات بالكاف، منها قوله :

١- خلوت بها والليل يقظان قائم   على قدم كالراهب المتبتل

٢- فلما استمرت من دجا الليل دولة   وكاد عمود الصبح بالصبح ينجلى[١]

فى البيت الأول يقول الشاعر "خلوت بها" أى سامرت هذه الجارية كما يسمر الراهب الذى لا يرقد ليله، و"الليل يقظان على قدم" فقد شبه سهره ومسامرته مع الجارية طوال الليل براهب متعبد قضى ليله فى العبادة أيضًا، ولكننا نجده قيد المشبه به بكلمة "المتبتل" ليؤكد دوام يقظته وسهره، وكان من الممكن أن ينتهى عند كلمة "كالراهب" ولكنه قيد المشبه به لبيان حاله. والشاعر قد وفق فى إيجاد العلاقة بين المشبه والمشبه به، حيث لاحظ السياق باختياره للمشبه به، وهو الراهب، دليل على حسن عنايته بالسهر والعبادة أثناء الليل، وكأن الشاعر يريد أن يوهمنا بأنه هو الآخر كان فى سهره هذا أشبه بالعابد.

ومن تشبيهات مسلم التى استعمل فيها الكاف قوله :

١- وقمت بالدين يوم الرس فاعتدلت   منه قوائم قد أوفت على ميل

٢- ما كان جمعهم لما لقيتهم   إلا كمثل نعام ريع منجفل[٢]

---

[١] شرح ديوان مسلم، ص١٤٤.

[٢] شرح ديوان مسلم، ص٢٠.

يقول : مكان جمعهم يعنى جمع العدو حينما التقيت بهم فى المعركة إلا كمثل النعام فزع فأسرع بالهرب. ويقول : إنه ليس شىء أنفر من النعام.

وذكر عبيد بن أيوب[1] أنه أمعن فى بعض الفلوات لذنب كان جناه فطلبه السلطان، وأنه أنس إليه كل الوحوش إلا النعام، فإنه لم يأنس إليه قط، وإنما أنس إليه غير النعام إذ لا عهد لها بابن آدم لبعدها منهم. فقد شبه تفرق جمع العدو بتفرق شتات سرب النعام الخائف الذى يسير على غير هدى هنا وهناك إذا أحس بالخطر يقترب منه، وذلك بفعل قوته وشجاعته، فجعلتهم متفرقين ما بين خائف يجرى وآخر يستعد للهرب وهكذا.

وقد وفق الشاعر فى السياق التشبيهى، حيث إنه اختار النعام وهو المعروف بالجبن والخوف ليزيد الصورة إيضاحًا للذهن، كما أنه برع فى رسم لوحة رائعة عندما جاء بهذا التشبيه محاكيًا لوحة طبيعية من سرب النعام.

٢- كأن :

فقد وردت هذه الأداة بصورة كبيرة وبشكل واضح فى معظم تشبيهات مسلم. ورأى الجمهور أنها للتشبيه، وقيل إن خبرها إن كان جامدًا فهى للتشبيه وإن كان مشتقًا فهى للشك، على معنى أنك تشك فى قيام الخبر بالمبتدأ فى نحو قولنا : كأن أخاك قادم، ولا معنى لتشبيه الشىء بنفسه وهذا رأى الزجاج والكوفيين وابن الطراوة[2] وقد توسط سعد الدين التفتازانى فقال : والحق أنه قد تستعمل عند الظن بثبوت الخبر من غير قصد إلى التشبيه، سواء أكان الخبر جامدًا أو مشتقًا نحو : كأن زيدًا أخوك، وكأنه فعل، وهذا كثير فى كلام المولدين[3].

والجمهور يرى أن معنى التشبيه فيها لا ينعدم سواء كان الخبر جامدًا أو مشتقًا ويؤول دائمًا لإيضاحه[4].

---

[1] شرح محقق الديوان بالهامش ٢٠ ديوان مسلم بن الوليد.

[2] المطول للسعد التفتازانى، ص ٣٦، مطبعة أحمد كامل، سنة ١٣٣٠هـ وانظر نظرات فى البيان، ص٦١، د. عبد الرحمن الكردى.

[3] نظرات لسعد الدين التفتازانى ...

[4] نظرات فى البيان، ص٦٢.

وقد تدخل أداة التشبيه "كأن" على الفعل كما فى شعر كثير من الشعراء، يقول كثير عزة :

كأنى أنادى صخرة حين أعرضت   من الصم لو تمشى بها العصم زلت[1]

فقد شبه نداءه إياها وإعراضها عنه بندائه الصخرة، هكذا يخرج الجمهور كل ما دخلت عليه كأن على التشبيه[2] لا فرق فى استعمالها مشددة النون أو مخففة، وسواء اتصلت بها "ما" أو لم تتصل فى إفادتها للتشبيه.

ونعرض لعطاء الشاعر فى تناوله أداة التشبيه "كأن"

فنراه يقول :

١- كأن مجال العين منه وقلبه   وغرته نصل حماه الصدى الصقل

٢- أناف به العلياء "يحيى" و"جعفر"   فليس له مثل ولا لهما مثل[3]

يشبه الشاعر ممدوحه فى زينة قلبه والنظر إليه وغرته بالنصل المصقول وقد حماه من الصدى.

فنجد أن الشاعر استعمل أداة التشبيه "كأن" التى توحى بأن المشبه هو عين المشبه به مما زاد من جمال التشبيه.

الفرق بين الكاف وكأن :

١-الكاف يليها فى الغالب المشبه به[4].

٢-كأن يليها فى الغالب المشبه.

٣-كأن أقوى وأبلغ من الكاف فى الدلالة على إلحاق المشبه بالمشبه به، ولذلك فهى تستعمل حيث يقوى الشبه حتى يكاد الرائى يشك فى أن المشبه هو المشبه به أو غيره، ولذلك حكى القرآن الكريم لنا قول بلقيس فى قوله تعالى : ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا

---

[1] ديوان كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعى، ص

[2] نظرات فى البيان، ص٦٣.

[3] شرح ديوان مسلم، ص٢٦٤.

[4] نظرات فى البيان، ص٧٢.

عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾[1]، وقد كان هو فعلاً. ولبيان شدة الشبه فى نظرها استعملت "كأن".

ب ـ الأسماء :

وتجيء أدوات التشبيه أسماء وهى[2] : مثل ومثيل وشبه وشبيه ونحوه. ذكره جماعة، منهم ابن النحاس النحوى الحلبى وقل من صرح به من أهل اللغة، وإن كان مشهورًا فى الاستعمال. ومثيل وضريب وشكل ومضاه ومساو ومحاك وأخ ونظير وعدل وعديل وكفء ومشاكل وموازن وموازٍ ومضارع وند وصنو، وما كان بمعناها أو كان مشتقًا منها من فعل أو اسم، وأشار الطيبى إلى أن من أدوات التشبيه أفعل التفضيل مثل زيد أفضل من عمرو.

جـ ـ أفعال :

وهى على نوعين :

١-أفعال تفيد التشبيه صراحة، وهى كل فعل اشتق من مادة التشبيه وما أشبهها نحو حاكى وشابه ويماثل ويضاهى أفعال تجيء بعد تحقيق التشبيه، وهى تدل على قرب التشبيه أو بعده.

٢-فقرب التشبيه نحو علمت زيدًا أسدًا، الذى حصل من علمت هو قرب التشبيه وتقويته لكونه مضمون الجملة المذكورة بعد علمت[3] .

وفى حسبت زيدًا أسدًا بعد الوجه عن التحقق لأن الحسبان ليس فيه إلا الرجحان والإد[illegible] وجه الاحتمال[4] .

ومن الأ[illegible]ات التى استعملها شاعرنا بعد الكاف وكأن : مثل وشبه وشبيه ويشابه ويحاكى وكأنى وفاق وحسب وأفعل التفضيل، وكان أكثر استعماله لأداة التشبيه كأن بشكل ظاهر فى شعره.

---

[1] سورة النمل آية ٤١ وجزء من الآية ٤٢.

[2] عروس الأفراح، ج٣، ص٣٩٢، ضمن شروح التلخيص، طبع الحلبى.

[3] عروس الأفراح، ج٣، ص٢٩٠.

[4] مواهب الفتاح، ج٣، ص٣٨٩.

وينقسم التشبيه باعتبار أداته إلى مرسل ومؤكد :

١- التشبيه المرسل : هو ما ذكرت فيه الأداة وقد استعمله الشاعر كثيرًا، فنراه يقول في وصف ممدوحه :

١- يبر بالجود يحميه ويكلؤه كأنه والد يحنو على ولد[1]

يقول الشاعر إنه يفي بوعده وبجوده ويظل على رعايته وحمايته لهما كأنه والد حنون يحنو على ولده. فقد مدح الشاعر ممدوحه بأجمل الصفات حتى إنه جسد البر والجود وكأنهما إنسان يحتاج إلى الرعاية والعطف والحماية من أن يضيمه بالبخل والشح، وقد استخدم الشاعر أداة التشبيه "كأن" التى تفيد اتحاد الطرفين وكأنهما شىء واحد.

٢- التشبيه المؤكد :

وهو ما حذفت أداته -كقول مسلم بن الوليد فى وصف ممدوحه :

١-هو البحر يغشى سرة الأرض سيبه وتدرك أطراف البلاد سواحله[2]

السيب : العطاء.

يشبه الشاعر ممدوحه بالبحر فى عطائه الذى يعم البلاد بفيضه الوافر كما تدرك سواحله أطراف البلاد، وقد جاء هذا التشبيه بدون الأداة ليؤكد لنا أن المشبه هو عين المشبه به، تحقيقًا للمبالغة التى ينشدها الشاعر.

وقد وفق الشاعر فى هذا التشبيه وسياقه، حيث لاحظه وجعل الممدوح والبحر سواء وكأنهما شىء واحد.

قيمة التشبيه المؤكد :

التشبيه المؤكد أوجز وأشد وقعًا فى النفس، أما أنه أوجز فلحذف أداته، وأما أنه أشد وقعًا فى النفس فلإيهامه أن المشبه عين المشبه به، وإن كانت الأداة مقدرة وأظهرنا أداة التشبيه فات هذا الإيهام[3] . وعلى أية حال، فالتشبيهات مرتبطة بالمقام، فأحيانًا يقتضى المقام التشبيه المرسل فيكون أبلغ فى مكانه وأحيانًا يقتضى المؤكد فيكون أبلغ فى موقعه.

---

[1] شرح ديوان مسلم، ص٨٦.

[2] شرح ديوان مسلم، ص١٤٦.

[3] نظرات فى البيان، د. عبد الرحمن الكردى، ص٦٨.

مباحث فى وجه الشبه

هو أحد أركان التشبيه الأربعة : وجه الشبه، هو المعنى الذى يشترك فيه الطرفان تحقيقًا أو تخييلاً.

١ـ تقسيم وجه الشبه إلى تحقيقى وتخييلى :

أ – وجه الشبه التحقيقى : هو ما كان الوجه قائمًا بالطرفين حقيقة، مثل تشبيه الشعر بالليل، ووجه الشبه السواد، وهو كثير فى شعر مسلم بن الوليد وأذكر له مثالاً يقول فيه:

١– إذا ما اشتهينا الأقحوان تبسمت لنا عن ثنايا لا قصار ولا ثعل[1]

يقول : إذا ما اشتهينا الأقحوان : وهو نوار أبيض نظرنا إلى ثناياها عند تبسمها وأغنانا ذلك عن الأقحوان فى البياض واللطافة وهى "لا قصار ولا ثعل"، و"الثعل" التى يداخلها اعوجاج فى منابتها وتخالف.

فقد شبه أسنان هذه الفتاة بالأقحوان وهو النوار الأبيض المتناسق فى نظام رائع، وقد خص هذا المشهد الجميل بالبيان والوضوح واللون الأبيض الناصع عند تبسم هذه الفتاة، وقد زاد من جمال التشبيه عندما احترز بقوله "ثنايا لا قصار ولا ثعل".

وقد وفق الشاعر فى السياق التشبيهى لهذا التشبيه عندما ذكر الأقحوان وهو نوار أبيض له شكل معين ورائحة طيبة وكأنه أراد أن يضفى على أسنان محبوبته كل هذه الصفات التى لا تظهر إلا فى نوار الأقحوان الأبيض.

وأذكر مثالاً آخر لمسلم بن الوليد قوله :

١– حمى الخلافة والإسلام فامتنعا كالليث يحمى مع الأشبال آجاما[2]

يقول إن ممدوحه حمى الخلافة والإسلام ممن رامهما بسوء من أهل الزيغ كما يحمى الليث أشباله وآجامه، وذلك بفعل شجاعته. فوجه الشبه هنا متحقق فى الطرفين وهو الشجاعة.

---

[1] شرح ديوان مسلم بن الوليد، ص٤١.

[2] شرح ديوان مسلم، ص٦٣.

ب – **وجه الشبه التخييلي**[1] : هو ما لا يكون الوجه فيه قائمًا بالطرفين أو بأحدهما إلا على طريق التخييل إذ لا وجود له في الحقيقة وإنما تخيل ما ليس بالواقع في نفس الأمر واقعًا لسبب من الأسباب، كقولهم "ألفاظه كالنسيم رقة وكالماء سلاسة وكالعسل حلاوة"، فكل من الرقة والسلاسة والحلاوة وجه الشبه وهو متحقق في المشبه به متخيل في المشبه. وأذكر مثالاً لمسلم بن الوليد في التشبيه التخييلي قوله :

١– الجود شيمته كالبدر سنته يكاد أن يهتدي في نوره الساري[2]

يشبه الشاعر سنة الممدوح في جوده وهو شيء عقلي، بالبدر وهو شيء حسي، ووجه الشبه الوضوح وهو موجود حقيقة في المشبه به ومتخيل في المشبه.

وأذكر مثالاً آخر لمسلم قوله :

١– إذا مسها الساقي أعارت بنانه جلابيب كالجادي من لونها صفرا[3]

يقول الشاعر : إذا أخذ بيده كأسها "أعارت بنانه جلابيب" أي ثيابًا "كالجادي من لونها صفرا" يريد أن لها صفرا : أي شعاعًا يخرج على اليد فيتخيل للعين أنها صفر كلون صبغ الزعفران، فقد شبه الشعاع الأصفر الذي يظهر من الكأس وقد لون بنان الساق بلون يشبه الزعفران في صفرته. وهذا التشبيه من التشبيه التخييلي، لأن وجه الشبه وهي الصفرة متحققة في المشبه به متخيلة في المشبه.

تقسيم وجه الشبه إلى مفرد أو مركب أو متعدد وإلى حسي أو عقلي:

١– **وجه الشبه المفرد الحسي** : ولا يكون طرفاه إلا حسيين لامتناع أن يدرك بالحسي من غير الحسي شيء..

---

[1] نظرات في البيان، ص٧٣.

[2] شرح ديوان مسلم، ص٢٢٨.

[3] شرح ديوان مسلم، ص٤٩. "الجادي" : هو الزعفران، مادة جدى، أساس البلاغة، ص١١٢، طبعة دار الشعب.

واذكر مثالاً لمسلم فى وصف المرأة يقول فيه :

١- وغادة كالبدر ممكورة   خالطنى من حبها مس[1]

الممكورة : المطوية الخلق من النساء، وقيل المستديرة الساقين[2] يقول إن هذه الفتاة الجميلة مشرقة كالبدر ولشدة جمالها وحسنها أصابنى من نظرتى إليها مس. فنجد أن المشبه مفرد حسى "الغادة"، والمشبه به مفرد حسى "البدر"، أما وجه الشبه فهو مفرد حسى وهو حسن الطلعة.

والشاعر وفق فى هذا التشبيه حيث لاحظ السياق خصوصًا فى الأثر الناتج فى وجه الشبه.

٢- وجه الشبه المفرد العقلى : ويكون طرفاه حسيين أو عقليين أو مختلفين لجواز أن يدرك بالعقل من الحسى شىء ولذلك يقال : التشبيه بالوجه العقلى أعم من التشبيه بالوجه الحسى، على أن السكاكى يأبى أن يكون وجه الشبه غير عقلى، يقول : إنه متى كان وجه الشبه حسيًا وقد عرفت أنه يجب أن يكون موجودًا فى الطرفين، وكل موجود فله تعين، ووجه الشبه مع المشبه متعين، فيمتنع أن يكون بعينه موجودًا مع المشبه به بل يكون مثله مع المشبه به.

وبما أن المثلين لا يكونان شيئًا واحدًا، ووجه الشبه بين الطرفين لابد أن يكون شيئًا واحدًا، فيلزم أن يكون أمرًا كليًا مأخوذًا من المثلين أى المشبه والمشبه به بتجريدهما عن التعين، ومادام أن وجه الشبه اقتضت الضرورة أن يكون كليًا والأمر الكلى يدرك بالعقل، فوجه الشبه لا يكون إلا عقليًا. ويمكن أن يقال إن المراد بكونه حسيًا أن تكون أفراده مدركة بالحس، كالسواد، فإن أفراده مدركة بالبصر، وإن كان هو فى نفسه غير مدرك به، ولا بغيره من الحواس[3].

٣- مثال لوجه الشبه المفرد العقلى والطرفان حسيان : قول مسلم :

كالليث إن هجته فالموت راحته   لا يستريح إلى الأيام والدول

---

[1] شرح ديوان مسلم، ص٢٧٩.

[2] شرح ديوان مسلم، ص٢٧٩، أسفل الصفحة.

[3] بغية الإيضاح لعبد المتعال الصعيدى، ج٣، طبع الآداب والمؤيد ص٢٣-٢٤

نجد أن الشاعر يشبه ممدوحه بالليث ساعة الحرب وساعة الشدة، إلا إذا أنفذ غرضه، وكما هو واضح أن المشبه والمشبه به مفردان حسيان، أما وجه الشبه فهو مفرد عقلى "الشجاعة"، أو "القوة".

٤ - مثال لوجه الشبه المفرد العقلى والطرفان عقليان : قول مسلم :

ألسنة الشرب إذا ما جرت كأنها ألسنة خرس[١]

يشبه الشاعر منطق الشاربين للخمر فى محاولتهم للكلام وعدم القدرة عليه كأنها لغة خرس. فالطرفان مفردان عقليان ووجه الشبه مفرد عقلى، وهو عدم البيان والإفصاح.

وقد وفق الشاعر حيث لاحظ السياق التشبيهى.

٥ - ومثال لوجه الشبه المفرد العقلى والطرفان مختلفان قول مسلم :

إذا ضيع الرأى استشف كأنه شواهق "رضوى" ليس فى خلقه دخل[٢]

"رضوى" جبل بالمدينة كما فى معجم البلدان لياقوت الحموى[٣].

الدخل : العيب، وقيل الداء أو الريبة.

يقول الشاعر إنه رأى ممدوحه بالجبل العالى فى الرزانة والثبات والوضوح، فالمشبه مفرد عقلى، وهو رأى الممدوح، والمشبه به مفرد حسى، وهو شواهق رضوى، ووجه الشبه هو الوضوح والرزانة، وهو مفرد عقلى.

وجه الشبه المركب :

وهو ما كان الوجه مكونًا من أجزاء انتزعت من أشياء عدة تضامت وتلاصقت وتكونت منها هيئة تشبه أن تكون شيئًا واحدًا بحيث لو سقط واحد من هذه الأجزاء اختل التشبيه، وينقسم وجه الشبه المركب إلى مركب حسى ومركب عقلى.

---

(١) شرح ديوان مسلم، ص٢٧٩.

(٢) شرح ديوان مسلم، ص٢٦٧.

(٣) معجم البلدان لياقوت الحموى، ج٢، ص٧٩٠.

١- وجه الشبه المركب الحسى :

إما أن يكون طرفان مفردين أو مركبين أو أحدهما مركبًا والآخر مفردًا.

٢- وجه الشبه المركب الحسى والطرفان مركبان حسيان، واذكر مثالاً لمسلم بن الوليد قوله :

كأنها وسنان الماء يقتلها عقيقة ضحكت فى عارض برد[١]

يصور الشاعر الخمر عندما تخلط وتمزج بالماء فيقول : كأن الخمر عند مزجها عقيقة ضحكت فى وجه فتاة بيضاء، والعقيقة هى نوع من الأحجار الكريمة، لونها أحمر. العارض البرد أى السحاب المعترض فى الهواء ذى برد، وكذلك جعل للماء سنانًا على سبيل الاستعارة والسنان حديد الرمح التى يطعن بها والجمع أسنة.

والشاعر كان مغرمًا بتداخل الصور البيانية كما كان مغرمًا بألوان البديع وتباين الألوان والأشكال، وكما أن الماء يقتل حدة حرارة الخمر أيضًا يقتل السنان من طعن به. والتشبيه مركب الطرفين من أشياء حسية وسمعية وبصرية، فقد تداخلت الحواس فى هذه الصورة لتزيد من روعة وجمال التشبيه، كما أن وجه الشبه مركب حسى أيضًا، وهو اختلاط اللونين مع بعضهما وهما الحمرة مع البياض.

ونذكر مثالاً آخر لمسلم قوله :

١- كأنها والماء يطلب حلمها لهب تلاطمه الصبا فى مقبس[٢]

وكما هو معروف أن للخمر حرارة خاصة تؤثر فيها وفى غيرها، فطلب الحلم من الخمر [illegible] بالماء [illegible] من حدة هذه الحرارة فهو يقول بأنها عندما تخلط بالماء يكون فى ذلك تهدأة ولطف لها، وكأنه أراد بتجسيد خمرته هذه واستعارته فى قوله "يطلب حلمها" كانها إنسانة يطلب منها الحلم والهدوء، فهو يشبهها فى هذه الحالة والثورة التى هى عليها باللهب المتلاطم بين عبث ريح آتية من الشمال، هى ريح الصبا، ومقبس النار الموقدة. واللهب هنا دلالة تأخذها من قول الشاعر "لهب تلاطمه الصبا فى مقبس"، وهل يقصد الشاعر باللهب الأثر الذى تتركه الخمر فى جوف شاربها، أو

---

[١] شرح ديوان مسلم، ص٨١.

[٢] الصبا: ريح باردة آتية من الشمال، ج٤، ص٣٥١؛ القاموس المحيط مادة صبو، ج٣، ص٤٠٣ مادة الشمال.

يقصد باللهب النار الحقيقية التى نراها موقدة ولها أثر خارجى ؟ أغلب الظن أنه يقصد الأثرين معًا الداخلى والخارجى.

وقد وفق الشاعر في إيجاد علاقة بين المشبه والمشبه به، وقد جاء كل منهما على هيئة تركيبية حسية، فالطرفان مركبان حسيان كذلك وجه الشبه جاء مركبًا حسيًا من اللون والحركة.

وقول مسلم بن الوليد أيضًا :

١- والعيس عاطفة الرؤوس كأنما   يختلن سر محدث فى الأحلس

٢- يخرجن من ليل كأن نجومه   أسيافنا يوم العجاج الأغبس[1]

فى البيت الثانى يقول الشاعر "يخرجن" يعنى النوق، تخرج بنا من ليل مظلم كأن نجومه أسيافنا اللامعة يوم عجاج الحرب.

فقد شبه هيئة ظلمة الليل ووجود أشياء متفرقة لامعة فيها هى النجوم بهيئة السيوف اللامعة يوم الحرب وظهور الغبار فيه.

فنجد أن الطرفين مركبان حسيان، أما وجه الشبه فهو مركب حسى من الهيئة الحاصلة من أجرام مستطيلة مشرقة متناسبة المقدار متفرقة فى جوانب شىء مظلم.

وقد وفق الشاعر فى اختيار المشبه به حيث لاحظ علاقة المشابهة بين ظلمة الليل ويوم العجاج والأغبس والنجوم والسيوف.

وجه الشبه المركب الحسى والطرفان مفردان :

واذكر مثالاً لمسلم بن الوليد قوله "

وبيض مصونات الجلاء كأنها   جباه العذارى قرطتها الوذائل[2]

الوذائل : الفضة.

يشبه الشاعر السيوف المصقولة بجباه العذارى، فنجد أن المشبه مفرد والمشبه به مفرد، أما وجه الشبه فهو مركب حسى من جرم لامع مستطيل يتصل به من أسفل نتوء أقل لمعانًا.

---

[1] شرح ديوان مسلم، ص١٣٤.

[2] شرح ديوان مسلم، ص٢٨٣.

وجه الشبه المركب الحسي والمشبه مركب والمشبه به مفرد :

واذكر مثالاً لمسلم قوله :

مزجت ولاوذها الحباب فحاكها فكأن حليتها جنى النرجس[1]

الجنى : الطرى.

يقول : مزجت أى تلك الخمر ولاوذها الحباب أى تتابعها، فحاكها أى نسجها فكأن حليتها جنى النرجس، فقد شبه الخمر عند مزجها وظهور الحباب المتفرق بالنرجس الطرى.

فتجد أن المشبه مركب أما المشبه به فهو مفرد، أما وجه الشبه فهو مركب حسى من اللون المخصوص ذو الرائحة الطيبة.

ويقول أيضًا :

وبلدة ذات غول لا سبيل بها إلا الظنون وإلا مسرح السيد

كأن أعلامها والآل يركبها بدن توافى بها نذر إلى عيد[2]

الأعلام : الجبال، الآل : السراب، البدن : النوق.

يقول الشاعر : كأن جبال تلك الفلاة وقد غطاها السراب إبل جلبت للنذر يوم العيد بمكة المكرمة، والمشبه مركب من هيئة الجبال الملتحفة بالسراب، أما المشبه به فهو مفرد الإبل، ووجه الشبه مركب حسى من أجرام ذات شكل مخصوص وقد التحفت فى الآل الأبيض.

وجه الشبه المركب العقلي :

ومن ذلك قول مسلم :

إنى واشرافى عليك بهمتى لكالمُبتغِى زبدًا من الماء بالمخض[3]

فقد شبه نفسه فى حال إشرافه وتوجيهه بهمة وجد بالإنسان الذى يبتغى أن يحصل على زبد من الماء بالمخض، وهو تحمل الجهد والمشقة بدون طائل.

---

[1] شرح ديوان مسلم، ص٢٨٣.

[2] شرح ديوان مسلم، ص١٥٥.

[3] شرح ديوان مسلم، ص٢٨٦.

فنجد أن وجه الشبه المشترك بين الطرفين وهو تحمل التعب والمشقة بدون نتيجة.

وجه الشبه المتعدد :

هو التشبيه الذى ذكر فيه عدد من أوجه الشبه[1] على وجه الاستقلال هذه الوجوه المذكورة فى التشبيه لم يتكون منها هيئة، فلو حذف بعضها دون بعض أو قدم بعضها على بعض ما اختل التشبيه.

واذكر مثالاً لمسلم قوله فى وجه الشبه المتعدد الحسى :

ولقد تكون بها أوانس كالدمى بيض الترائب ناعمات حور[2]

يقول : إن هؤلاء الفتيات يشبهن الدمى وهى العروس الجميلة فى بياض الترائب كما أنهن ناعمات حور. فوجه الشبه متعدد حسى وهو البياض والنعومة مع حسن الطلعة.

تقسيم آخر باعتباره وجه الشبه[3] :

وأما باعتبار وجه الشبه، فهو ثلاث تقسيمات : تمثيل وغير تمثيل ومجمل ومفصل وقريب وبعيد.

التمثيل : ما وجهه وصف منتزع من متعدد أمرين أو أمور، وقيده السكاكى بكونه غير حقيقى، ومثل بصور مثل بها غيره.

أما مذهب الخطيب والجمهور ما كان وجه الشبه فيه مركبًا، سواء أكان حسيًا أم عقليًا.

والتمثيل عند عبد القاهر ما كان وجه الشبه فيه عقليًا سواء أكان مفردًا أم مركبًا، وسوف أتبع فى بحثى مذهب الخطيب والجمهور، وقد ذكرت أمثلة لهذا النوع خلال هذا الفصل.

---

[1] نظرات فى البيان، ص٨٤.

[2] شرح ديوان مسلم، ص٢٢٠.

[3] بغية الإيضاح، ج٣، ص٥٧.

المجمل والمفصل :

تناول مسلم بن الوليد هذين النوعين بكثرة لكنه تناول المجمل أكثر من المفصل لكثرة دوران هذا التشبيه على ألسن الشعراء.

ومن ذلك قوله :

أتتك المطايا تهتدى بمطية ... عليها فتى كالنصل يؤنسه النصل[1]

يقول إن ممدوحه تأتيه المطايا، وهى عبارة عن قوافل الرحال الفوارس الذين يمتطون الجياد، وهذه الجياد يتقدمها فارس كالنصل فى القوة والمضاء والشجاعة يؤنسه نصل أو يحمل سيفًا.

فقد ظهر وجه الشبه بين الفتى والنصل فى القوة والمضاء والشجاعة، وهذا التشبيه من التشبيهات المجملة المحذوفة الوجه، والتى جاءت موفقة، وقد خلع المشبه به على المشبه صفة هى من أروع صفات الفرسان.

فوجه الشبه هنا محذوف "هو القوة والمضاء والشجاعة.

ونرى الشاعر يقول أيضًا :

سَلَّ الْمَنُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَنَاصِلِهِ ... مِثْلَ الْعَقِيقِ تَرامَى دُونَهُ الشُّعَلُ[2]

يقول إن ممدوحه كانت فى مناصله المنون، وهو الموت، عندما سلها أو شرعها على أعدائه فهو مثل العقيق، أى السيوف فى قوتها وسرعتها ومضائها العقيق[3] تقول : ما أدرى شمت عقيقة أم شمت عقيقة : أى سللت سيفًا أم نظرت إلى برق، وهى البرقة التى تستطيل فى عرض السحاب، ولقد أكثروا استعارتها للسيف حتى جعلوها من أسمائه، فقالوا : سلوا عقائق، كالعقائق، ونحوه.

فوجه الشبه محذوف، وهو القوة والسرعة والمضاء، وتظهر ثقافة الشاعر اللغوية عندما استعار كلمة العقيق للسيف، وهى كلمة من الاستعمالات النادرة فى هذا المقام.

والشاعر يصف ممدوحه فيقول :

---

(1) شرح الديوان، ص٢٦٣.

(2) الديوان، ص٢٥٢.

(3) أساس البلاغة للزمخشرى: ص٦٤٧، مادة ع ق ق.

مَــا قَـصَّرتْ بِكَ غَايَة عَـــنْ غَايَــةٍ		فاليَوْمَ مَجْدُكَ مِثْلُ مَجْدِكَ فِى غَـدِ[1]

يقول : إن غاية ممدوحه المجد والرفعة وعلـو الشـأن، و لم تقصـر بـه الغايـة عمـا يتمناه، ولذلك فمجده اليوم مثل مجده فى غد.

وقد وفق الشاعر فى استعارة الغاية بإسنادها إلى الفعل قصـرت، والتقصـير إنمـا هو من خصائص الإنسان، والتشبيه مجمل لأنه محذوف الوجه.

وفى وصف آخر يقول صريع الغوانى :

يَتَجَــنَّـبُ الْهَفَــوَاتِ فِى خَلَواتِــهِ		عَـفُّ السَّرِيـرَةِ غَيْبُهُ كَالْمَشْهَــدِ[2]

يقول إن ممدوحه يتجنب الهفوات والأخطاء لأنـه عفيـف ذو رفعـة فـى الشـأن حتى إن الناس تحسب له حساب فى غيبته وكأنه حاضر بينهم.

فوجه الشبه محذوف، وهو عدم الخطأ مع عفة ورفعة فى الشأن والتشبيه مجمل.

وللشاعر تشبيهات كثيرة مرت علينا حين تناولنا المبـاحث السـابقة، وإذا كـان التشبيه المجمل وهو المحذوف الوجه له من الروعة والجمال والقيمة العالية فى البلاغة.

فالتشبيه المفصل إذا جاء فى موقعه يكون قد أدى قيمة بلاغية عالية.

وباستقرائنا لتشبيهات الشاعر، وجدناها تظهر بصورة قليلة جدًا وتفوقها عـددًا التشبيهات المجملة.

ومن التشبيهات المفصلة قول مسلم بن الوليد :

وكأَنَّ لَيْـــثَ الغَابِ فِى إِقْـدَامِــهِ		يَـوْمًـا رَآكَ تُرِيــــدُهُ فَحَكاكَـا[3]

فقد شبه الأسد الضارى فى إقدامه على فريســته بأنـه الممـدوح، ونجـد أن هـذا التشبيه من التشبيهات المفصلة لوجود وجه الشبه مما جعل التشبيه فى غايـة الروعـة لأنـه اختار صفة محددة، "وهى فى إقدامه" ليخلعها على المشبه.

ومن هذا النوع يقول مسلم :

---

(1) الديوان، ص ٢٣٥.

(2) الديوان، ص٢٣٣.

(3) الديوان، ص٩٨.

كَالدَّهْـرِ لاَ يَنْثَنِى عَمَّـنْ يَهُـمُّ بِـهِ قَـدْ أَوْسَعَ النَّاسَ إنْعَامًا وَإِرْغَاما[1] .

فقد شبه الشاعر ممدوحه بالدهر فى عدم الانثناء فوجه الشبه موجود، وهو عدم الانثناء، ولذا فالتشبيه مفصل، وقد قمنا بتحليل هذا البيت فى أول الفصل.

وبهذا نجد أن مسلمًا بن الوليد قد برع فى تناوله للمجمل والمفصل على الرغم من أنه تناول المجمل أكثر من المفصل، حيث تناوله فى عدد كبير من تشبيهاته، أما المفصل فلم يتناوله إلا فى عدد قليل من تشبيهاته.

القريب والبعيد :

القريب[2] -المبتذل- وهو ما ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق نظر، لظهور وجهه فى بادئ الرأى، وسبب ظهوره أمران :

الأول : كون الشبه أمرًا جمليًا أى "لا تركيب فيه" فإن الجملة أسبق أبدًا إلى النفس من التفصيل، ألا ترى أن الرؤية لا تصل فى أول أمرها إلى الوصف على التفصيل، لكن على الجملة ثم على التفصيل، ولذلك قيل -النظرة الأولى حمقاء، وفلان لا ينعم النظر كذا سائر الحواس فإنه يدرك من تفاصيل الصوت والذوق فى المرة الثانية ما لم يدرك فى المرة الأولى.

أ - فمن يروم التفصيل كمن يبتغى الشىء من بين جملته يريد تمييزه مما اختلط به.

ب- ومن يروم[3] الإجمال كمن يريد أخذ الشىء جزافًا، وكذا حكم ما يدرك بالعقل، ترى الجمل أبدًا تسبق إلى الذهن، والتفاصيل مغمورة فيها لا تحضر إلا بعد إعمال الروية.

الثانى : كونه قليل التفصيل مع غلبة حضور المشبه به فى الذهن.

أ - إما عند حضور المشبه لقرب المناسبة بينهما، كتشبيه العنبة الكبيرة السوداء بالإجاصة، فى الشكل وفى المقدار، والجرة الصغيرة بالكوز كذلك.

---

[1] المصدر السابق، ص٦٣.

[2] أسرار البلاغة لعبد القاهر، ج٢، ص٩، طبعة الخفاجى، وانظر أيضًا : الإيضاح مع البغية لعبد المتعال الصعيدى، ج٣، ص٦٣.

[3] المصدر السابق، ج٣، ص٦٣، ٦٤.

ب- وإما مطلقًا لتكرره على الحس.

البعيد الغريب : والبعيد الغريب هو ما لا ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به إلا بعد فكر لخفاء وجهه في بادئ الرأي، وسبب خفائه أمران.

أحدهما : كونه كثير التفصيل.

والثاني : ندور حضور المشبه به في الذهن.

أ - إما عند حضور المشبه لبعد المناسبة بينهما[1] .

ب- وإما مطلقًا لكونه وهميًا أو مركبًا خياليًا أو مركبًا عقليًا.

جـ- أو لعلة تكرره على الحس كتشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل فإنه ربما يقضى دهره ولا يتفق له أن يرى مرآة فى يد الأشل، فالغرابة فى هذا التشبيه من وجهين هما كثرة التفصيل وندرة الحضور فى الذهن.

والمراد بالتفصيل أن ينظر فى أكثر من وصف واحد لشيء واحد أو أكثر، وذلك يقع على وجوه كثيرة والأغلب الأعرف منها وجهان :

أحدهما : أن تأخذ بعضًا وتدع بعضًا.

والثاني[2] : أن يعتبر الجميع، وكلما كان التركيب من أمور أكثر كان التشبيه أبعد وأبلغ.

تناول مسلم بن الوليد التشبيه بجميع أشكاله وأقسامه، ومن استقرائنا لشعره، وجدنا أنه أجاد فى كل فن من فنون التشبيه. وقد تناول التشبيه البعيد بصورة كبيرة فى شعره تفوق تناوله للتشبيه القريب وذلك لأن من سبب بعد التشبيه وغرابته التفصيل[3] .

ويقول الخطيب القزوينى فى إيضاحه[4] : التشبيه البعيد هو التشبيه البليغ، والبليغ من التشبيه ما كان من هذا النوع -أعنى البعيد- لغرابته ولأن الشيء إذا نيل بعد

---

[1] الإيضاح مع البغية، ج٣، ص٦٤.

[2] نفس المصدر السابق، ص٦٥.

[3] أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجانى، ج٢، ص٩.

[4] بغية الإيضاح، ج٣، ص٧٢.

الطلب له والاشتياق إليه كان نيله أحلى وموقعه من النفس ألطف وبالمسرة أولى، ولهذا ضرب المثل لكل ما لطف موقعه ببرد الماء على الظمأ.

ونرى مسلمًا يقول فى التشبيهات القريبة :

شَـقَقْنَا لَهَا فِي الدَّنِّ عَـيْنًا فَأَسْبَلَـتْ كَمَا أَسْبَلَتْ عَيْنُ الْخَرِيدِ بِلاَ كُحْلِ[1]

فقد وصف هيئة نزول الخمر فى تتابعها وفيضانها من فوهة الدن وسيولتها ولمعانها بهيئة نزول دموع عين الفتاة التى لم تكحل عينيها.

وهذا التشبيه من التشبيهات الدقيقة الرائعة فى الجمال خصوصًا وأنه اقتفى أثر امرئ القيس وهى المدرسة القديمة، واستثنى بكلمة "بلا كحل" ليحافظ على اللون المطلوب بدون خلط أو مزج فطرفى التشبيه مركبين حسيين وأيضًا وجه الشبه مركب حسى مكون أو مأخوذ من مجموع الصفتين المركبين فى المشبه والمشبه به من هيئة نزول وتتابع شيء لامع ينساب فى سيولة على شيء لامع أيضًا.

ومن التشبيهات الغريبة أيضًا فى شعر مسلم قوله :

١- مُوفٍ عَلَى مُهَجٍ فِي يَوْمِ ذى رَهَجٍ كَأَنَّهُ أَجَـلٌ يَسْـعَى إِلَى أَمَـلِ[2]

فالشاعر قد صور ممدوحه بأنه شجاع فى يوم الحرب، وهذا من التشبيهات العادية، أما الغريب فى هذا التشبيه تصوير الممدوح بأنه كالأجل الذى يسعى إلى الأمل، ويعتبر هذا التشبيه من التشبيهات النادرة الحضور فى الذهن، خصوصًا المشبه به، لأنه وقع فى أشياء عقلية.

وإذا نظرنا فى شعر مسلم نجده يوضح لنا بصورة أخرى تشبيهات غريبة وبعيدة، نختار منها قوله :

مَـا كَـانَ جَـمْعُهُـمُ لَمَّا لَقِيتَهُـمُ إلاَّ كَمِثْلِ نَعَـامٍ رِيـعَ مُنْجَفِـلِ[3]

يقول الشاعر إن جمع هؤلاء القوم حينما لقيتهم لم يكن جمعًا وإنما كانوا

---

[1] الديوان، ص٣٨.

[2] الديوان، ص٩.

[3] المصدر السابق، ص٢٠

كالنعام الخائف الذى يسير على غير هدى هنا وهناك، وذلك بفعل قوتى وشجاعتى جعلتهم شتات كشتات سرب النعام، إذا أحس بالخطر يقترب منه، وهو تشبيه كما نرى كثير التفصيل من حيث العدد والشكل والهيئة التى كانوا عليها ما بين خائف يجرى وآخر يستعد للهرب وهكذا. لذا يعتبر من التشبيهات البعيدة الغريبة كثيرة التفصيل.

ومن التشبيهات الغريبة أيضًا قول مسلم بن الوليد :

يَكْسُو السُّيُوفَ دِمَـاءَ النَّاكِثِينَ بِـهِ   وَيَجْعَلُ الْهَامَ تِيجانَ الْقَنَا الذُّبُلِ[1]

فإذا نظرنا فى الشطر الأول من البيت وجدناه حسيًا حقيقيًا ممكنًا لأن الشجاع كثيرًا ما يدخل الحرب ويكسى سيفه بدماء أعدائه الذين يتربصون به. أما أن يجعل رؤوس هؤلاء الأعداء كتيجان لسيفه فهذه هى الصورة الغريبة البعيدة فى هذا التشبيه والتى برع الشاعر فى إخراجها خصوصًا أنه استخدم الحس والخيال معًا.

ونكتفى بهذا القدر من هذه التشبيهات. لنقول إن الشاعر قد وفق عند تفصيلات كثيرة ولا نقول إنه سبق زمن التقنين البلاغى، ولكن الذى هو أولى بالقول إن البلاغيين اطلعوا وبحثوا فى دواوين الشعراء كانت هى نتاج القوانين البلاغية التى ظهرت فيما بعد عصر الشاعر وهو المتوفى سنة ٢٠٨هـ، ولعل من الواضح أن التقسيمات العقلية للتشبيه بين الإفراد والتركيب والتعدد، والحسية والعقلية، التى قال بها السكاكى وسار على نهجه كل من الخطيب القزوينى وشراح التلخيص، والذى سبقهم فيها الإمام عبد القاهر الجرجانى كانت نتيجة بحوثهم موافقة لما ظهر فى ديوان مسلم بن الوليد.

وينقسم التشبيه باعتبار أداته إلى : مرسل ومؤكد :

١- المرسل : هو الذى ذكرت فيه الأداة، وقد استعمله الشاعر كثيرًا يقول :

كَأَنَّمَا ضُمِنَـتْ مِسْكًا يَفُـوحُ بِـهِ   أَوْ عَنْبَرِ الْهِنْدِ أَوْ طِيبًا مِنْ السُّخَبِ[2]

وكما هو واضح أن أداة التشبيه موجودة، وهى "كأنما"، وهذه الأداة تعطى

---

[1] المصدر السابق، ص١١.

[2] الديوان، ص٢١٠.

المشابهة التامة بين المشبه والمشبه به، وكأنهما شيء واحد، فالتشبيه مرسل لوجود الأداة. وقد ظهر ذلك بشكل واضح فى شعره.

٢- **التشبيه المؤكد** : وهو ما حذفت أداته، كقول الشاعر :

إِذا مَا عَلَـتْ مِنَّا ذُؤَابَـةُ شَارِبٍ ... تَمَشَّتْ بِهِ مَشْيَ الْمُقَيدِ فِي الوَحلِ[1]

وأداة التشبيه محذوفة، فالتشبيه مؤكد. ووجه الشبه عدم القدرة على الحركة، وقد ظهر ذلك فى شعره بشكل أقل من المرسل.

وقد وفق الشاعر فى تشبيهاته.

أغراض التشبيه

الغرض من التشبيه يعود فى الأغلب إلى المشبه، وقد يعود إلى المشبه به، وهذه الأغراض التى تعود إلى المشبه على الترتيب هى :

١- بيان إمكان وجود المشبه.

٢- بيان حال المشبه.

٣- بيان مقدار حال المشبه.

٤- تقرير حال المشبه.

٥- تزيين المشبه.

٦- تشويه المشبه وتقبيحه.

٧- استطراف المشبه.

١- بيان إمكان وجود المشبه :

ويجيء الغرض من بيان إمكان وجود المشبه عندما يكون المعنى غريبًا، يتوقع أن يخالف فيه ويدعى امتناعه واستحالة وجوده، فيحتاج المتكلم لإثبات دعواه بدليل : هو أن هذا الذى ادعاه له أصل فى الوجود، فيبرئ ساحته المقدم من تهمة الكذب، ويباعد نفسه عن ساحة المقدم على غير بصيرة، فهو يقيم الدعوى ولا يتركها بدون دليل، بل يقيمه معها، فلا ترفض لوجوده[2] .

---

[1] ديوان مسلم بن الوليد، ص٤٢.

[2] نظرات فى البيان، د. عبد الرحمن الكردى، ص١٢٤.

ومن بيان إمكان وجود المشبه نذكر مثالاً لمسلم بن الوليد قوله :

فُقْتَ الْبَرِيَّةَ مِنْ كَهْلٍ وَمِنْ حَدَثٍ ... وَفَاقَ آبَاؤُكَ الْمَاضِينَ مَاضِيهَا[1]

يقول الشاعر إن ممدوحه فاق كل الناس من كهل ومن حدث، كما فاق آباؤه الماضين ماضى الناس أجمع، وهى كما نرى أنه فاق كل البرية من كهل ومن حدث، وهذه دعوى تحتاج إلى دليل، والغرض من هذا التشبيه بيان إمكان وجود المشبه.

٢ـ بيان حال المشبه :

وذلك حين تكون صفة المشبه مجهولة أو فى حكم المجهولة وتكون صفة المشبه به معلومة، فيؤتى بالتشبيه، ليتمكن الذهن من إدراك المشبه وتصوره[2].

فيطالعنا مسلم بن الوليد فى هذا الغرض بقوله :

إذَا مَا عَلَتْ مِنَّا ذُؤَابَةُ شَارِبٍ ... تَمَشَّت بِهِ مَشْىَ الْمُقَيَّدِ فِى الْوَحْلِ[3]

يشبه الشاعر حال الشارب الذى شرب حتى الثمالة وتأثيرها فى جسده وعدم قدرته على المشى بمشى الإنسان المقيد فى الوحل، وهذا التشبيه الغرض منه بيان حال المشبه.

وفى هذا الغرض يقول مسلم أيضًا :

وَبَقِيتُ كَالرَّجُلِ الْمُدَلَّهِ عَقْلُهُ ... أَشْكُو الزَّمَانَ وَأَضْرِبُ الأَمْثَالاَ[4]

يصف الشاعر نفسه والحال التى آل إليها بوصف عجيب، حيث أصبح رجلاً يهذى، حتى أنه يسير فى الطرقات يشكو الزمان ويضرب الأمثالا بعد أن فقد عقله وصوابه.

وكما هو واضح من هذا التشبيه الغرض منه بيان حال المشبه.

ويطالعنا مسلم فى هذا الغرض أيضًا بقوله :

---

[1] الديوان، ص٢١٨.

[2] نظرات فى البيان، د. عبد الرحمن الكردى، ص١١٨.

[3] الديوان، ص٤٢.

[4] المصدر السابق، ص٢٠٤.

أَصْبَحْتُ كَالثَّوْبِ اللَّبِيسِ قَدْ أَخْلَقَتْ   جِـدَّاتُـهُ مِنْـهُ فَعَـادَ مـذَالاً[1]

يبين الشاعر الحال التى وصل إليها من فقر وذل حتى إنه شبه نفسه بالثوب القديم البالى الذى ضاعت منه كل معالم الجمال فعاد مذالا، وكما هو واضح من هذا التشبيه الغرض منه بيان حال المشبه.

٣ـ بيان مقدار حال المشبه :

فى القوة والضعف والزيادة والنقصان.

وهذا الغرض لابد أن يكون المشبه معروف الصفة بوجه ما، ونذكر مثالاً فى هذا الغرض لشاعرنا قوله :

حَمْرَاء إنْ بَرَزَتْ صَفْرَاء إنْ مُزِجَـتْ   كَأَنَّ فِيها شِـرارُ النَّارِ تَلْتَهِـبُ[2]

يبين الشاعر مقدار الألوان المميزة للخمر قبل المزج وبيان المقدار يكون المشبه معروفًا والتشبيه يحدد قدره[3] .

٤ـ تقرير حال المشبه :

وهو نوع من بيان الحال، ولكنه بيان على وجه التمكين بتوضيح حال المشبه، فى ذهن السامع، وتقوية شأنها. والغالب فى هذا النوع أن يكون فى تشبيه المعنويات بالمحسوسات المشاهدة، وذلك لأن الجزم بالأمور الحسية، أتم من الجزم بالأمور العقلية، وحال المشبه وإن كان معلومًا هنا، إلا أن تمثيله بالمحسوسات يفيد زيادة قوة لأن الإلف بالمحسوسات أتم منه بالعقليات، وذلك لتقديم الحسيات فى الحصول عند النفس عن العقليات، والمثل الأعلى لهذا النوع فى تشبيهات القرآن[4] .

ويطالعنا مسلم بن الوليد فى هذا الغرض بقوله :

تَخُـطُّ كِتَابَهـا بِقَضِـيبِ رنْـدٍ   وَمِسْـكٍ كَالْمِدَادِ عَلَى القَضِيـبِ[5]

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٢٠٤.

(٢) الديوان، ص٢٢٧.

(٣) نظرات البيان، د. عبد الرحمن الكردى، ص١١٩.

(٤) نفس المصدر السابق، ص١٢١.

(٥) الديوان، ص١٩١.

يشبه الشاعر المسك بالمداد فى لونه، وهذا التشبيه يقرر حال المشبه.

٥ - تزيين المشبه :

تقع زينة المشبه وحسنه فى نفس السامع، عندما يقترن بصورة لها من الجمال والحسن فى نفسه ما يبهجه ويبعثه على الفرح به، والابتهاج عند سماعه، فتقوى الصورة الحسنة، مزينة عنده، وذلك ترغيبًا فى المشبه، أو تعظيمًا له، ولو لم يكن فى نفس الأمر كذلك لكن ذكر المشبه به الذى استقر فى النفس حسنه وألفته، هو الذى أكسب المشبه ذلك لأن الأشياء تحسن أو تقبح بحسب ما تنسب إليه، وتلحق به، وقد ركز فى الطباع أن المتماثلين حكمهما واحد، إذا ما جاز على أحد المثلين يجوز على الآخر[1] .

وهذا غرض عظيم من ناحية البيان، وللشعراء القدح المعلى على تحسين القبيح وتقبيح الحسن، وإن من البيان لسحرا.

وفى لوحة أخرى يبرز لنا الشاعر صورة رائعة لهذا الغرض :

مُزِجَتْ وَلاوَذهَا الْحَبابُ فَحَاكَهَا فَكَأَنَّ حِلْيَتَها جَنىُ النَرْجِسِ[2]

يشبه الشاعر مزج الخمر بالماء وظهور الحباب الذى يطفو على حافة الكأس بحبات النرجس الطرى الذى يظهر لأول مرة فى لونه ومقداره، ولذا كان الغرض تزيين المشبه.

وفى صورة أخرى رسمها الشاعر فنراه يقول :

حَبَوْتَ بِهَا "زَيْدًا" فَزَيَّنت ذِكْرَهُ كَمَا زَيَّنَ السِّلْكُ الْجُمَانُ الْمُنَظَّمُ[3]

حبوت : مادة "حبو" الأساس.

لها معان عدة : الأول بمعنى العطاء، والثانى بمعنى القرب، والثالث بمعنى الحبو وهو مشى الصبى الصغير، والمراد المعنى الأول والثانى هما القرب والعطاء.

يقول الشاعر بأن قرب زيد منها وغمره لها بالعطاء زين ذكرها كما زين السلك المصنوع من الذهب العقد المنظم من الجمان وهو نوع من أنواع الجوهرات

---

[1] نظرات فى البيان، د. عبد الرحمن الكردى، ص١٢٨.

[2] الديوان، ص١٣٢.

[3] المصدر السابق، ص١٨٢.

الغالية التى تلبس من أجل الزينة، فكأن الشاعر أراد أن يقول إن قرب زيد من هذه الفتاة كان بمثابة السلك المذهب المنظوم فيه حبات الجمان.

وكما هو واضح من التشبيه فالغرض تزين المشبه.

وفى صورة أخرى يقول مسلم بن الوليد فيها :

مُخَمَّرةٌ كَفُّ سَاقِيهَا بِحُمْرَتِهَا   كَأَنَّمَا هُوَ بِالْفِرْصَادِ مُخْتَضِبُ[1]

يقول الشاعر إن هذه الخمر أعطت هذا اللون الأحمر لكف ساقيها وكأنما خضبت يداه بالفرصاد، والفرصاد هو صبغ.

وفى لوحة أخرى يطالعنا مسلم فيها ويقول :

أَتَتْكَ الْمَطَايَا تَهْتَدِى بِمَطِيَّةٍ   عَلَيْهَا فَتًى كَالنَّصْلِ يُؤْنِسُهُ النَّصْلُ[2]

يشبه الشاعر ممدوحه بالسيف، فهو عندما يقول إن المطايا جاءت تتقدمها مطية عليها فتى كالنصل يؤنسه النصل، فكأنما يريد أن يثبت لممدوحه صفة الشجاعة لدرجة أنه استعمل أداة التشبيه "الكاف" التى تفيد المشابهة التامة بين المشبه والمشبه به، وكما هو واضح فالغرض تزيين المشبه.

٦ ـ تشويه المشبه وتقبيحه :

كما أن الشيء يشوه أو يحقر عند إلحاقه بمشبه به استقر فى النفوس قبحه أو احتقاره، فيتخيل السامع ذلك فينفر منه.

ومن صور تشويه وتقبيح المشبه نذكر قولاً لمسلم بن الوليد :

وَأَسْعَدَهَا الْمِزْمَارُ يَشْدُو كَأَنَّهُ   حَكَى نَائِحَاتٍ بِتْنَ يَبْكِينَ مِنْ ثُكْلِ[3]

يشبه الشاعر عزف هذه القينة على المزمار بأنه حكى نائحات يبكين على فقد عزيز لديهن. وهى صورة تدعو إلى تشويه المشبه.

وكما هو واضح، فالغرض من التشبيه هو تشويه أو تقبيح المشبه. ونذكر مثالاً آخر لشاعرنا فى هذا الغرض قوله :

---

(1) الديوان، ص٢٢٧.

(2) المصدر السابق، ص٢٦٣.

(3) الديوان، ص٤١.

تَرْمِي الْمَهامَـةَ والْقَطِـيعَ بِطَرْفِهَـا   شَـــزْرًا كَأَنَّ بِعَيْنِهَا تَحْوِيــلا[1]

"المهامة" : يعنى الفحوص الواسع القفر، و"القطيع" يعنى السوط. "بطرفها" : أى بلحظها. "تحويلاً" أى كأنها حولاء لقلبها مقلتها فى النظر إلى السوط، فقد شبه الناقة وهى تقطع القفار الواسعة وتنظر بلحظها شزرًا كأنها حولاء.

وكما هو واضح من التشبيه فالغرض منه تقبيح المشبه.

أما بالنسبة لاستطراف المشبه فلم أجد للشاعر مثالاً فى هذا الغرض.

ما يعود إلى المشبه به من أغراض التشبيه :

١- إيهام أن المشبه به أتم من المشبه فى وجه الشبه، وذلك فى التشبيه المقلوب[2] وهو أن يكون الأمر بالعكس بأن يجعل فيه المشبه مشبهًا به قصدًا إلى ادعاء أنه أكمل منه فى وجه الشبه كقول مسلم بن الوليد :

وَكَأَنَّ لَيْــثَ الغَــابِ فِي إِقْدَامِـــهِ   يَوْمًا رَآكَ تُرِيـــدُه فَحَكَاكَــا[3]

يشبه الشاعر ليث الغاب فى ضراوته وإقدامه بالممدوح، وهذا التشبيه قد جاء على سبيل إيهام المبالغة فى وجه الشبه لأنه قلب الأصل فجعله فرعًا، ويطالعنا مسلم بن الوليد فى صورة أخرى فيقول :

إِنَّ الرِّفَــاقَ أَتَـتْكَ تَلْتَمِــسُ الْغِنَى   وَالْبَحْرُ لَوْ يَجِـدُ السَّــبِيلَ أَتَاكَـا[4]

يبالغ الشاعر فى كرم الممدوح حتى يجعل البحر يأتى له إذا ضاقت به الدنيا أو جف ماؤه، وهذا يعتبر من التشبيه المقلوب الذى أوهمنا الشاعر به لزيادة المبالغة فى الكرم وأنه أتم فى وجه الشبه.

٢- قد يكون الغرض العائد إلى المشبه به بيان الاهتمام به كتشبيه الجائع وجهًا كالبدر فى الإشراق والاستدارة بالرغيف إظهارًا للاهتمام بشأن الرغيف[5] .

---

[1] المصدر السابق، ص٥٩.

[2] من بلاغة النظم العربى، د. عبد العزيز عبد المعطى عرفة، ج٣، ص١٢٠.

[3] الديوان، ص٩٨.

[4] الديوان، ص٩٨.

[5] بلاغة النظام العربى، د. عبد العزيز عرفة، ج٣، ص١٢١.

وتذكر مثالاً لمسلم بن الوليد قوله :

فَبِتُّ أُسِرُّ الْبَدْرَ طَـوْرًا حَدِيثَهَا ... وَطَوْرًا أُنَاجِي الْبَدْرَ أَحْسِبُهَا الْبَدْرَا[1]

يقول : إنه جلس معها ليلاً عند القمر، ووجهها كالقمر فى الحسن، فمرة كان يحدثها ويطوى الحديث عن القمر كأنه يستحى منه ويضن عليه بسره، وطورًا يغلط ويخاطب القمر وهو يظنه وجهها.

أقسام التشبيه باعتبار الغرض :

المقبول : وأما باعتبار الغرض فإما مقبول أو مردود.

المقبول : الوافى بإفادة الغرض، كأن يكون المشبه به أعرف شيء بوجه الشبه، إذا كان الغرض بيان حال المشبه من جهة أو بيان المقدار، ثم الطرفان فى الثانى إنْ تساويا فى وجه الشبه فالتشبيه كامل فى القبول، وإلا فكلما كان المشبه به أسلم من الزيادة والنقصان كان أقرب إلى الكمال، أو كأن يكون المشبه به أتم شيء فى وجه الشبه إذا قصد إلحاق الناقص بالكامل، أو كأن يكون المشبه به مسلم الحكم معروفه عند المخاطب فى وجه الشبه، إذا كان الغرض بيان إمكان الوجود، والأمثلة التى ذكرناها كلها من التشبيه المقبول.

أما التشبيه المردود، فهو ما لم يفِ بالغرض المطلوب منه، لعدم وجود وجه بين المشبه والمشبه به، أو مع وجوده لكنه بعيد.

ولم نعثر لمسلم بن الوليد على مثال يمثل هذا النوع.

وبعد هذه الدراسة الدقيقة فى صور الشاعر، أستطيع أن أقول بأنه وفق فى صور التشبيه ~ عها من إفراد وتركيب وتعدد بين الإطلاق والتقييد وما وقع فيها من صور حسية . ية، كما وجدنا له صورًا كثيرة فى أغراض التشبيه تدل على مقدرة فائقة وبراعة ندام؛ وإن كان الأمر لا يخلو من بعض تشبيهات لم يوفق فيها الشاعر.

---

[1] الديوان، ص٤٥.

الفصل الثانى

الأغراض التى ساق فيها مسلم تشبيهاته

إذا بحثنا الأغراض التى ساق فيها مسلم تشبيهاته وجدناها فى المدح والرثاء والهجاء والغزل والخمر والوصف.

وهذه الأغراض ليست جديدة وإنما طرقها الجاهليون عامة، وإن كان الشاعر منهم يبرز فى غرض معين ويشتهر به، فمثلاً اشتهر زهير بالمدح والنابغة بالاعتذار والأعشى بالطرب.

وكانت معانى مسلم بن الوليد التى طرقها فى هذه الأغراض سهلة واضحة، ليس فيها أى خفاء أو غموض. ولذلك لم نجد فى قراءة ديوانه جهدًا أو فى فهمه أى مشقة.

ولعل هذا يرجع لجودة مسلم الفنية والتى اشتهر بها، فصاحب العمدة[1] يقول عنه : إنه زهير المولدين : كان يبطئ فى صنعته ويجيدها.

لقد أكثر مسلم من المديح وعاش مرتزقًا من هذا اللون من الشعر فى صدر حياته، فمدح القائد "يزيد بن مزيد الشيبانى" بمدائح غنى بها الزمان وانصبت انصبابًا فى أسماع الدهور.

ومدح الرشيد والأمين والبرامكة، ومدح داوود بن يزيد المهلبى وزيد بن مسلم الحنفى وغيرهم، ومن خلال مدائحه التى جدد فيها كل التجديد وأتى فيها بمعانى جديدة طريفة وأشكال من الصياغة بديعة، زاعت شهرته كرائد من رواد البديع أو بالأحرى كرائد للبديع فى مستهل الفترة العباسية[2].

وابن المعتز يقول عنه إنه مداح محسن مجيد[3]، وإنه أول من لطف البديع وحشا به شعره.

ولعل من أسباب تفوق مسلم وامتلاكه ناصية الشعر الجيد[4] والإتيان بالمعانى المبتكرة والصيغ المعجبة، أنه راد نفسه على فنون القول جميعًا فنبه فيها شأنه وأصبح

---

[1] العمدة فى محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيروانى، ج١، ص١٣١، طبع دار الجيل بيروت.

[2] الشعر والشعراء فى العصر العباسى، د. مصطفى الشكعة، ص٢٢٩، ٢٣٠، طبع بيروت.

[3] طبقات الشعراء لابن المعتز، ص٢٣٥.

[4] الشعر والشعراء فى العصر العباسى، د. مصطفى الشكعة، ص٢٣٠، طبع بيروت.

يجمع إلى النبوغ فى الشعر إجادة الخطابة والبراعة فى الكتابة.

ولقد احتل مسلم بن الوليد بشعره هذا الجيد المبتكر مكانة عند العامة والخاصة، حتى إنه كان يجلس فى المسجد لكى يملى شعره والناس يكتبون، كما أن الذين ترجموا له من القدامى قد أوردوا له العديد من الأبيات التى اعتبروها شيئًا جديدًا.

فإذا تتبعنا شاعرنا فى معانيه الحسية والعقلية، نجد أن أبرزها كان فى المعانى الحسية بشكل واضح، إلا أنه لم يغفل المعانى الأخرى، شأنه فى ذلك شأن الشعراء الفحول، كما كان يعتنى بجزالة اللفظ كاحتفاله بالبديع متخذًا بذلك طريق الشعراء المحافظين المسكين بتلابيب اللفظ البدوى المخلوط بالألفاظ الحضارية التى كانت سمة للعصر العباسى.

وبهذا يتضح أن "مسلم بن الوليد" كان له مذهب خاص فى التشبيه، بتناوله الكثير من المعانى الحسية بجانب المعانى النفسية وإن كان يغلب عليه كما نرى وصف المرأة ووصف الخمر ووصف الحيوانات والصحراء والسفينة بجانب الغرض الرئيسى، وهو المديح الذى ذكرنا سابقًا أنه كان يتكسب به ويعيش عليه، كما ذكرت لنا كتب الأدب والتراجم.

وأبدع مسلم فى عرض معانيه، فقد تميز باستقصاء الوصف واستغراق التشبيهات المتعددة فى الوصف الواحد، لدرجة أنه يتناوله فى عدة أبيات متكاملة.

فمذهب مسلم يدل على تطور وتجديد ساير بهما الحضارة التى كانت موجودة فى الدولى العباسية الأولى.

وسنعرض لمعانى الشاعر لنرى كيف تفوق فيها ودقق، وكيف كان يلاحظ الفروق الدقيقة بين المعنى نفسه فى موضع دون آخر.

وسوف نبدأ بالمعانى العقلية عند الشاعر والتى جاءت فى سياق تشبيهاته.

١ـ المدح

أ - الكرم:

لقد ظهرت صفة الكرم بوضوح فى مدح مسلم بن الوليد لكل من يزيد ابن مزيد الشيبانى، والرشيد، والأمين، والبرامكة، ومدح داود بن يزيد المهلبى، وزيد ابن مسلم الحنفى وغيرهم، لينال عطاياهم لأنها كانت المصدر الوحيد لرزقه ومعيشته، ولا يعنى هذا أنه برع فى المدح فقط، ولكن كانت له قدم راسخة فى ألوان الغزل بنوعيه العذرى وغيره كما أحرز قصب السبق مع قرنائه فى مضمار الخمريات.

وفى صفة الكرم يقول مسلم :

١- هُوَ الْبَحْرُ يَغْشَى سُرَّةَ الأَرْضِ سَيْبُهُ وَتُدْرِكُ أَطْرَافَ الْبِلاَدِ سَوَاحِلُهُ[1]

٢- يُمْنَى يَدَيْكَ لَنَا جَدْوَى مُطَبِّقَةٍ هَذَا السَّحَاب بِأَعْلَى الأُفْقِ يَحْكِيها[2]

يقول الشاعر إن ممدوحه كالبحر يعم فيضه وخيره على أطراف البلاد كما يعم خيره وكرمه على سواحلها.

وفى البيت الثانى يقول الشاعر إن عطاء هذا الممدوح بيديه لا يفوقه عطاء حتى أن السحاب وهو مصدر نزول المطر والخير الوفير يتمنى أن يكون عطاؤه مثل عطاء هذا الممدوح والتشبيه فى هذا البيت مقلوبًا للمبالغة فى الصفة، وقد وفق الشاعر فى هذين التشبيهين.

ويطالعنا زهير فى هذه الصفة بقوله :

١- أَلَيْسَ بِفَيَّاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةُ ثِمَالِ اليَتَامَى فِي السِّنِين مُحَمَّدِ[3]

فالشاعر يصف عطاء الممدوح وفيضه بالغمامة وهى بشير المطر والخير، كما أنه يطعم اليتامى فى السنين الشداد.

---

[1] الديوان، ص١٤٦.

[2] المصدر السابق، ص٢١٨.

[3] ديوان زهير، ص٢٣٣، طبع الهية العامة للكتاب.

ويطالعنا الأعشى فى وصف الكرم بقوله :

كَالْغَيْثِ مَا اسْتَمْطَرُوهُ جَـادَ وابِلُـــهُ وَعِنْدَ ذِمَّتِهِ الْمُسْتَأْسِـدُ الضَّــارِى[1]

فالأعشى يصف ممدوحه بأنه الغيث إذا ما طلبوا منه العطاء جاد بالخير الوفير ولكنه الأسد الضارى إذا كانت له حاجة أو ثأر عند أحدهم.

ويطالعنا فى هذه الصفة أبو نواس، فيقول :

كَأَنَّ فَيْـضَ يَـدَيْـهِ، قَبْـلَ تَسْأَلَـــهُ بَابُ السَّمَاء، إذَا مَا بالْحَيا انْفَتَحَا[2]

فالشاعر يريد أن يقول إن فيض عطاء ممدوحه قبل سؤال هو باب السماء المفتوح إذا بدأت المطر.

أما إذا انتقلنا إلى الشاعر ابن المعتز، فنجده يقول :

وَقَـدْ حَـكَـتْ الأَمْطَارُ نَايلَ قَاسِـــمٍ وَيَا رُبَّمَا شَـمْسٌ وَلَيْسَ لَهُ شُـــحٌّ[3]

يقول الشاعر إن الأمطار تشبه عطاء قاسم، وهذا على سبيل التشبيه المقلوب. وكما نعلم أن الخليفة ابن المعتز كان لا يمدح للتكسب والارتزاق كما كان يفعل باقى الشعراء وإنما مدحه كان على سبيل المجاملة.

وفى صفة الكرم أيضًا يقول المتنبى :

فَتى كَالسَّحَابِ الْجُونِ يُرْجَـى وَيُتَّقَى يُرْجَى الْحَيَا مِنْهُ وتُخْشَى الصَّوَاعِقُ[4]

فالشاعر يقول إن ممدوحه يشبه السحاب الجون، وكلمة "الجون" فى اللغة تعطى لونين الأبيض وله دلالة الخير والأسود وله دلالة الشر. وهو بذلك يريد أن يثبت لممدوحه صفتين : صفة العطاء وصفة الغدر، خصوصًا فى قوله "يرجى ويتقى".

فإذا نظرنا إلى هؤلاء الشعراء وجدناهم جميعًا يدورون فى فلك واحد، كما أن

---

[1] ديوان الأعشى، ص٦٩، دار صادر بيروت.

[2] ديوان أبى نواس، ص١٧٠، دار صادر بيروت.

[3] ديوان ابن المعتز، ج١، ص٤٧، دار المعارف.

[4] ديوان المتنبى، ص٢٧، دار صادر بيروت.

المعانى لا تكاد تخرج عن كون الممدوح بحرًا أو سحابًا أو يداه غمامة، وكلها معانى استفاد منها شاعرنا وتأثر بها، كذلك ظهر أثره واضحًا عند ابن المعتز خاصة فى قلب التشبيه.

ب- الشجاعة :

وكما مدح الشاعر بالكرم، مدح أيضًا بالشجاعة، وهى صفة من الصفات التى يتغنى بها العرب، وفيها يقول مسلم :

١- كَاللَّيْثِ إنْ هِجْتَهُ فَالْمَوْتُ رَاحَتُهُ ۝ لاَ يَسْتَرِيحُ إِلَى الأَيَّامِ وَالدُّوَلِ[١]

٢- حَمَى الخِلافَةَ والإسْلاَمَ فَامْتَنَعَا ۝ كاللَّيْثِ يَحْمِى مَعَ الأَشْبَالِ آجَامَا[٢]

٣- أَتَتْكَ الْمَطَايَا تَهْتَدِى بِمَطِيَّةٍ ۝ عَلَيْهَا فَتًى كَالنَّصْلِ يُؤْنِسُهُ النَّصْلُ[٣]

يقول الشاعر فى البيت الأول يشبه الأسد الذى تكون راحته فى القتال والموت لأعدائه ويـ[illegible]ـل فى البيت الثانى إلى وصف ممدوحه فى حماية الخلافة والإسلام من أى زيغ أو كفر بالأسد الذى يحمى مع أشباله الصغار المكان والأشجار التى يعيش فيها، وفى البيت الثالث يشبه ممدوحه بأنه كالسيف الذى يؤنسه النصل الحاد.

وفى ضوء هذه المعانى نرى زهيرًا يقول :

كَالْهُنْدُوَانِىِّ لا يُخْزِيكَ مَشْهَدُهُ ۝ وَسْطَ السُّيُوفِ إذَا مَا تُضْرَبُ الْبُهَمُ[٤]

وقوله :

كَلَيْثٍ أَبِى شِبْلَيْنِ يَحْمِى عَرِينَهُ ۝ إذا هُوَ لاَقَى نَجْدَةً لَمْ يُعَرِّدِ[٥]

الشبلان : جروا الأسد. عرينه : أجمته. نجدة : قتال. لم يعرد : لم يفر.

فالشاعر يشبه ممدوحه فى البيت الأول بالسيف الهندوانى المنسوب إلى الهند، وهو أجود أنواع السيوف وأمضاها حدة وسنانًا لا يخزيك وسط السيوف والمقصود بهم

---

[١] الديوان، ص١٤.

[٢] المصدر السابق، ص٦٣.

[٣] المصدر السابق، ص٢٦٣.

[٤] ديوان زهير، ص٢٣٢.

[٥] ديوان زهير، ص١٦٢، طبع الهيئة العامة للكتاب، بيروت.

الفرسان الممسكون بالسيوف فى المعركة وقيده بقوله إذا ما تضرب البهم.

والبهم معناها الأبطال ذوو الهامات والقوة.

أما إذا انتقلنا إلى البيت الثانى وجدنا الشاعر يشبه ممدوحه بالأسد الذى يعول صغاره ويحمى عرينه و لم يفر إذا لاقى القتال أو جابه المعارك على الرغم من مسئولياته.

أما إذا انتقلنا إلى النابغة الذبيانى فى هذا الوصف نجده يقول :

قَدْ خَلَّتِ الْحَرْبُ عَنْهُ فَهوَ يُسْعِرُهَا   كَالْهُنْدُوانِيِّ حَلَّى حَسدَّهُ الأَدَمُ[1]

يقول الشاعر إن ممدوحه يشعر الحرب كأنه سيف فى حده ومضائه.

يسعرها : يوقدها. والأدم : يريد خلط السيف بالدم.

وفى هذه الصفة نرى أبا نواس يقول فيها :

فِى فِتْيَةٍ كَالسُّيُوفِ، هَزَّهُمْ   شَرْخُ شَبَابٍ، وَزَانَهُمْ أَدَبُ[2]

فى هذا البيت يشبه الشاعر الفتية بالسيوف فى مضائهم وعنفوان شبابهم، كما يزيد صفة الأدب والعفة لهؤلاء الشباب.

وفى هذه الصفة يطالعنا ابن المعتز بقوله :

وكَأَنَّمَا يَهْتَزُّ بَيْنَ ثِيَابِهِ   نَصْلٌ تَلُوحُ بِصَفْحَتَيْهِ أُثُرُهْ[3]

وَكَاللَيْثِ شُدَّ عَلَى قِرْنِهِ   وَكَالغَيْثِ جَاءَ وَكَالْبَدرِ لاحَا

فى البيت الأول يقول الشاعر إن ممدوحه شجاع كأنما يهتز السيف بين ثيابه وتلوح علاماته.

وأما فى البيت الثانى فيقول فيه إن ممدوحه كالأسد إذا دخل المعركة، وكالغيث إذا أتى وكالبدر إذا لاح.

فهو بذلك يريد أن يثبت لممدوحه ثلاث صفات تجتمع فى بيت واحد، وقد وفق ابن المعتز فى هذا إلا أن مسلمًا قد سبقه فيها.

---

(1) ديوان النابغة الذبيانى، ص١٩٦، طبع دار المعارف.

(2) ديوان أبى نواس، ص ١١١، دار صادر بيروت.

(3) ديوان ابن المعتز، ج١، ص٤٨١، دار المعارف، تحقيق محمد بديع شريف.

وأقول إن الشعراء جميعًا قد وصفوا ممدوحيهم بالأسد وبالسيف والهندوان و لم يكن لأحدهم فضل على الآخر لأن اللاحقين ومنهم شاعرنا أفادوا من السابقين لاطلاعهم على هذا النبع الصافي الذى أخذ منه كل الشعراء بعدهم.

٢ـ الرثاء

فن الرثاء من بين فنون الشعر هو البكاء على الميت وإظهار اللوعة والأسى لفقدانه، وتعديد محاسنه.

والنقاد ترى[1] أنه لا فرق بين الرثاء والمدح، ولا فصل بين المدحة والمرثية، إلا أن يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت، مثل كان أو عدمنا به كيت وكيت، أو ما يشاكل هذا ليعلم أنه ميت.

وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع بين الحسرة، مخلوطًا بالتلهف والأسف والاستعظام، إن كان الميت ملكًا أو رئيسًا كبيرًا، وهذا الفن قديم قدم الإنسانية لأنه يعبر عن حزن الإنسان وألمه على فقد عزيز لديه.

ولعل الشاعرة الخنساء ومراثيها فى أخيها صخر قد ملأت أسماعنا وأسماع الدنيا، كما نعلم أيضًا من رثاء جليلة بنت مرة لزوجها كليبًا حين قتله أخوها جساس، ما أشجى لفظها، وأظهر الفجيعة فيه !!

وكيف يثير كوامن الأشجان ويقدح شرر النيران. ولنسمع لها وهى تقول :

يَا ابْنَةَ الأَقْوَامِ إنْ لُمْتِ فَلاَ ... تَعْجَلِي بِاللَّوْمِ حَتَّى تَسْأَلِي[2]

إلى أن نصل إلى قولها :

فِعْلُ جَسَّاس عَلَى ضَنٍّى بِهِ ... قَاطِعُ ظَهْرِى وَمُدْنٍ أَجَلِى

يَا قَتِيلاً قَوَّضَ الدهر بِه ... سَقْفَ بَيْتِيَ جَمِيعًا مِنْ عَلِ

هَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِى اسْتَحْدَثْتُهُ ... وَسَعَى فِى هَدْمِ بَيْتِى الأَوَّلِ[3]

---

[1] العمدة لابن رشيق القيروانى، ج٢، ص١٤٧، طبع دار الجيل، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، وانظر أيضًا أسس النقد الأدبى عند العرب، د. أحمد بدوى، ص٢٢٤.

[2] العمدة، ج٢، ص١٥٣.

[3] العمدة لابن رشيق، ج٢، ص١٥٤.

وكما رأينا فإن النساء أشجى الناس قلوبًا عند المصيبة وأشدهم جزعًا على هالك، لما ركب الله عز وجل فى طبعهن من الخور وضعف الهزيمة.

قالوا[1] : ومن أشد الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثى طفلاً أو امرأة، لضيق الكلام عليه فيهما، وقلة الصفات. كما أنه من الصعب أيضًا جمع تعزية وتهنئة فى موضع واحد.

وشاعرنا مجيد فى الرثاء إجادته فى المديح، فكما نعلم أن الرثاء هو مديح للميت بعد وفاته كمديحه حين حياته يعدد فيه مآثره وأياديه، فقد رثى شاعرنا "يزيد بن مزيد" كما مدحه، كما رثى "حماد بن سيار" فبكاه بدمع مدرار، وهو القائل فيه :

دَفَّـاعُ مُعْضِلَةٍ حَمَّـالُ مُثْقِلَـةٍ ... دَرَّاكُ وتْـرٍ وَدفَّاعُ لأَوْتَـارِ[2]

وهذا أسلوب جاهلى عرفناه فى شعر الخنساء، وسمعنا صيغه عندها، فلم نستغرب لأن مسلمًا لم يبتعد عن عمود الشعر العربى فى مدائحه ومراثيه، وإنما كان يترسم الخطى للصور العربية الجميلة النقية، وكان يصور من يبكيه فى ثياب المثل العليا عند العرب فيتغنى بها فى شعره ويرددها أبدًا.

ويرثى شاعرنا أحد أبناء البرامكة واسمه إسماعيل، وكانت بينهما مودة وتعاطف فرثاه بقصديته اللامية المشهورة التى جرت على ألسن الناس وحفلت بها كتب الأدب لما ضمت من معانٍ وصور بيانية عذبة، ولما حوت من عاطفة تبدو صادقة كل الصدق، ومطلع هذه المرثية هو :

وَإِنِّـى وَإِسْـمَاعِيلَ يَـوْمَ وداعِـهِ ... لَكَالْغِمْدِ يَوْمَ الـرَّوْعِ فَارَقَـهُ النَّصْـلُ

ثَنَـاءً كَعُـرْفِ الطِّيـبِ يُهْـدَى لأَهْلِـهِ ... وَلَيْسَ لَـه إلاَّ بَنِـى "خَالِدٍ" أَهْـلُ[3]

فَإِنْ أَغْشَ قَوْمًا بَعْدَهُـمْ أَوْ أَزُورَهُـمْ ... فَكَالْوَحْشِ يُدْنِيهَا مِنَ الأُنْسِ الْمَحْلُ[4]

---

[1] العمدة لابن رشيق، ج٢، ص١٥٤.

[2] الديوان، ص م / ٣٩.

[3] زهر الآداب، ص٧٩٩.

[4] الفن ومذاهبه فى الشعر العربى، د. شوقى ضيف، ص١٨٦.

وفى رثاء حماد بن سيار -يقول مسلم بن الوليد :

مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ كَأَنَّهَا قَذَفَتْ لاَ بَلْ وَقَدْ فَعَلَتْ بِالْقَلْبِ بِالنَّارِ[1]

وفى رثاء يزيد بن مزيد الشيبانى يقول مسلم :

سَلَكَتْ بِكَ الْعَرَبُ السَّبِيلَ إِلَى الْعُلاَ حَتَّى إذا سَبَقَ الرَّدَى بِكَ حَارَ

فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِى مُزْنَةٍ أَثْنَى عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالأَوْعَارُ[2]

وقيل إن البيت الأخير أبلغ شيء قيل فى المراثى، وهذين البيتين فى كتاب الحماسة "باب المراثى".

ويقول أيضًا فى الرثاء :

رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتَه فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ[3]

وفى مراثى الأشراف يقول مسلم :

كَأَنَّكَ فِيهَا لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ العَزَا وَلَمْ تَتَعَمَّدْ غَيْرَكَ النَّكَبَاتُ

سَقَى الضَاحِكُ الوَسْمِىّ أَعْظَمَ حُفْرَةٍ طَوَاهَا الرَّدَى فِى اللَّحْدِ وَهْىَ رُفَاتُ[4]

فالشاعر قد رثى إسماعيل بن برمك وقال بأنه هو وإسماعيل يوم الفراق كالغمد الذى فارقه النصل، كذلك يشبه ثناء الشاعر وسيرته الطاهرة بالطيب الذى يهدى لأهله وهم بنو خالد أهل الشاعر، ثم يقول الشاعر أيضًا إنه إذا زار قومًا غير هؤلاء القوم فسيكون كالوحش الذى يقترب من نبل القناص بسبب الجدب، ثم يعدد الصفات فى المراثى فيقول فى رثاء حماد بن سيار ويزيد بن مزيد الشيبانى وبعض الأشراف إن موت هذا الرجل كان كالمصيبة التى نزلت فقذفت وفعلت فعلها فى القلب كالنار، ويقول أيضًا إن موت هذا الرجل كان كذهاب المزنة التى جاءت فأثنى عليها السهل والأوعار. ثم جاء فى مرثياته الرائعة وقد شبه رد المعروف للمرثى فى مماته حياة مرة ثانية.

---

(1) الديوان، ص٢٢٨.

(2) المصدر السابق، ص٢٥٨.

(3) ذيل الديوان، ص٣١٧.

(4) نفس المصدر السابق، ص٣٠٧.

ويقول الدكتور مصطفى الشكعة[1] عن مسلم إنه كان مقدمة الشعراء الذين رثوا فأحسنوا الرثاء لأن صيغة الرثاء تحتاج إلى الجزل الوقور الفخم من القول، وهذا أمر متوفر فى مسلم بن الوليد، ثم إن مسلمًا بعد ذلك رفع من قدر مراثيه بالمعانى المبتكرة التى لم يكن يبعد بها عن طبيعة الرثاء إلا فى القليل، وإنما كانت على الأغلب تصب فى بحره وتغوص فى أعماقه، الأمر الذى يجعل النقاد ينسبون إليه أرثى بيت وهو قوله :

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ فَطِيبُ تُرَابِ القَبْرِ دَلَّ عَلَى القَبْرِ

لاشك أن المعنى مبتكر جديد.

وسوف ننتقل إلى غرض آخر وهو الهجاء لنتعرف على عطاء الشاعر.

٣ ـ الهجاء

لقد اشتهر هذا الفن منذ العصر الجاهلى حتى الآن -فإذا تتبعنا سيرة الشعراء منذ العصر الجاهلى حتى العصر الأموى عصر المناقضات التى جرت وكان فرسان حلبتها جرير والفرزدق والأخطل، نجد أن هؤلاء الشعراء قد أدلى كل منهم بدلوه فيه، والهجاء الذى وقع فى شعر مسلم بن الوليد كان قليلاً، ولم نجد فى ديوانه الذى بين أيدينا غير بعض المقطعات الصغيرة، قال بعضها فى موسى بن خازم بن خزيمة وفى العباس بن الأحنف وفى سعيد بن سلم. كما وقعت بعض التهاجى بين مسلم بن الوليد والحكم بن قنبر، وروى أن ابن قنبر خذل وأفحم وكف عن مناقضته حتى لقد كان يهرب منه.

ويقول شارح الديوان[2] إننا قرأنا فى الأغانى أن مسلمًا كان يقول : الهجاء الموجع آخذ بضبع الشاعر وأجدى عليه من المديح المضوع، وما ظلمت فيه أحدًا، وما مضى فلا سبيل إلى رده. ولعل هذا يشير بطرف خفى إلى أن صريع الغوانى ندم لتورطه فى الهجاء، فسعى إلى محوه من الديوان، فوفق فيما سعى إليه.

ونرى مسلمًا يقول :

---

[1] الشعر والشعراء فى العصر العباسى، ص٢٥٧، طبع بيروت.

[2] الديوان، ص م / ٣٦.

بَنُو حَنِيفَةَ لاَ يَرْضَى الدَّعِيُّ بِهِمْ ... فَاتْرُكْ حَنِيفَةَ وَاطْلُبْ غَيْرَهَا نَسَبَا

وَاذْهَبْ إِلَى عَرَبٍ تَرْضَى بِنِسْبَتِهِمْ ... إِنِّي أَرَى لَكَ خَلْقًا يُشْبِهُ الْعَرَبَا[1]

وقوله فى هجاء "ابن قنبر" :

أَنَا النَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مُسْتَكِنَّةٌ ... فَإِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يَقْدَحِ النَّارَ فَاقْدَحِ[2]

وقوله أيضًا فى الهجاء :

دُيُونُكَ لاَ يُقْضِى الزَّمَانَ غَرِيمُهَا ... وَبُخْلُكَ بُخْلُ الْبَاهِلِيِّ "سَعِيدِ"

"سَعِيدُ بنَ سَلْمٍ" أَلأَمُ النَّاسِ كُلِّهِمْ ... وَمَا قَوْمُهُ مِن لُؤْمِهِ بِبَعِيدِ[3]

الهجاء كما نرى بالعيوب التى كان يخجل منها العربى، وهى اللؤم وادعاء النسب والبخل والجبن وقبح الوجه والأخلاق.

ويقول الدكتور مصطفى الشكعة إن النقاد قد اعتبرت أهجى بيت قاله الشاعر هو قول مسلم :

قَبُحَتْ مَنَاظِرُهُ فَحِينَ خَبِرْتُهُ ... حَسُنَتْ مَنَاظِرُهُ لِقُبْحِ الْمَخْبَرِ[4]

وكما هو واضح من هذه الصورة فإن الشاعر كان حاذقًا فى رسمها ذلك أن هجائياته مسبوكة وينفذ إلى لب المعنى الذى يستهدفه، فيفتق جنباته ويخرج منه بصور شتى فيها إتقان وبراعة مع تمكن فى الصياغة وقدرة على التعبير.

وإذا كان لنا كلمة أخيرة نزن بها دور مسلم بن الوليد فى حركة التجديد[5] فى الشعر العباسى، فإننا نستطيع أن نقرر أن ملسمًا تلميذ وفى للشعر العربى القديم، ما تخلى عنه ولا حاد عن طريقه بحورًا وصوغًا وأوزانًا، وبخاصة فى ميدان المديح الذى كان يعتبر المحك الأصيل للشاعر والمقياس الذى من خلاله يحكم له إذا أجاد وعليه إذا قصر.

---

[1] المصدر السابق، ص٢٥٨.

[2] المصدر السابق، ص٣٠٩.

[3] المصدر السابق، ص٢٧١.

[4] الشعر والشعراء، د. مصطفى الشكعة، ص٢٥٣، طبع بيروت.

[5] الشعر والشعراء، د. مصطفى الشكعة، ص٢٦٦.

إن مسلمًا قدم لنا صيغة الشعر القديم كاملة الشكل دقيقة السمات، ولكنه بذكائه أجرى تجديده بطريق الجرأة فى تفتيق المعانى وخلق الصور البارعة وتزيين شعره بالصنعة البديعية والبيانية التى تركزت أكثر ما تركزت فى الاستعارات والتشبيهات والتصريع، وهذه كلها أمور ظهرت عند غيره من الشعراء السابقين له، ولكن مسلمًا أكثر منها وجوّد فيها وأبرز كيانها فى مبنى قصائده، بحيث صارت العين لا تخطئها والأذن لا تغفلها، كان ذلك فى المديح والرثاء والهجاء[1].

٤ - الحرب فى تشبيهات مسلم بن الوليد

احتلت الحرب مكانة عظيمة فى شعر الشعراء منذ العصر الجاهلى، وكان لشاعرنا باع فى هذا اللون من الشعر، حيث أنه كان قريبًا من الأمراء والخلفاء ويعلم ما يجرى من أمور الحرب فى الدولة، فنراه يقول :

نَابَ الإمَامُ الَّذِى يَفْتَـرُّ عَنْـهُ إذا ... مَا افْتَرَت الحَرْبُ عَنْ أنْيَابِها العُصُلِ[2]

العصل : التى اعوجت فصارت أطرافها مائلة إلى الخلف، واحدها أعصل.

مَنْ كَانَ يَخْتِلُ قِرْنًا عِنْدَ مَوْقِفِه ... فَإنَّ قِرْنَ "يَزِيد" غَيْرُ مُخْتَتِلِ

سَدَّ الثُّغُورَ "يَزِيدُ" بَعْدَمَا انفَرَجَتْ ... بقَائِمِ السَّيْفِ لاَ بِالْخَتْلِ وَالْحِيَلِ

كَمْ قَدْ أذَاقَ حِمَامَ الْمَوْتِ مِنْ بَطَلٍ ... حَامِي الْحَقِيقَةَ لاَ يُؤْتَى مِنَ الْوَهَلِ[3]

أغَرُّ أبْيَضُ يُغْشَى البَيْضَ أبْيَض لا ... يَرْضَى لِمَوْلاهُ يَوْمَ الرَّوْعِ بالْفَشَلِ

يَغْشَى الْوَغَى وَشِهابُ الْمَوْتِ فِي يَدِهِ ... يَرْمِي الْفَوَارِسَ وَالأبْطَالَ بالشُّعَلِ[4]

يَفْتَرُّ عِنْدَ افْتِرارِ الْحَرْبِ مُبْتَسِمًا ... إذا تَغَيَّرَ وَجْهُ الْفَارِسِ البَطَلِ

مُوفٍ عَلَى مُهَجٍ فِى يَوْمِ ذِى رَهَجٍ ... كَأَنَّهُ أجَلٌ يَسْعَى إلى أمَلِ

---

[1] الشعر والشعراء فى العصر العباسى، د. مصطفى الشكعة، ص٢٦٦، طبع بيروت.

[2] الديوان، ص٧.

[3] الديوان، ص٨.

[4] المصدر السابق، ص٩.

يَنَالُ بِالرِّفْقِ ما يَعْيَا الرِّجَالُ بِهِ كَالْمَوْتِ مُسْتَعْجِلاً يَأْتِي عَلَى مَهَلِ
لاَ يُلْقِحُ الْحَرْبَ إلاَّ رَيْثَ يَنْتُجُهَا مِنْ هَالِكٍ وَأَسِيرٍ غَيْرِ مُخْتَتَلِ[1]

إلى أن نصل إلى قوله :

يَقْرِى الْمَنِيَّةَ أَرْوَاحَ الْكُمَاةِ كَمَا يَقْرِى الضُّيُوفَ شُحُومَ الْكُومِ وَالْبُزُلِ[2]
يَكْسُو السُّيُوفَ دِمَاءَ النَّاكِثِينَ بِهِ وَيَجْعَلُ الْهَامَ تِيجَانَ الْقَنَا الذُّبُلِ
يَغْدُو فَتَغْدُو الْمَنَايَا فِي أَسِنَّتِهِ شَوَارِعًا تَتَحَدَّى النَّاسَ بِالأَجَلِ
إذا انْتَضَى سَيْفَهُ كَانَتْ مَسَالِكُهُ مَسَالِكَ الْمَوْتِ فِي الأَبْدَانِ والقُلَلِ[3]

هذه الأبيات من قصيدة طويلة فى وصف الحرب التى قادها يزيد بن مزيد الشيبانى، وهو يصفه بأنه كالسيف القاطع الذى لا يرضى أن ينبو عن صاحبه فى وقت الشدة، ثم يعود الشاعر فيصف الفارس فى المعركة ويقول إنه يجهز على قلوب أعاديه فى يوم المعركة، وكأنه أجل يسعى إلى أمل. كما أنه يعدد فى التشبيه ويقول إنه ينال بالرفق ما يعيا الرجال به كالموت مستعجلاً يأتى على مهل، ومازال يصف هذا الفارس فى الحرب ويقول عنه إنه يقدم أرواح الفرسان من الأعداء للموت قرى كما يقدم للضيوف شحوم الإبل. ويصف أيضًا الفارس فى الحرب بأنه يكسو السيوف بدماء الناقضين عهده الناكثين به، ويجعل الهام كتيجان للسيوف.

وبهذا يكون مسلم قد ضرب بسهم وافر فى الحديث عن الحرب وفرسانه، وننتقل إلى وصف تشبيهات الشاعر الحسية منها والنفسية، فقد تميز على سابقيه باستقصاء الوصف واستغراق التشبيه، كذلك تناوله للوصف الواحد فى عدة أبيات مع تنويع فى استخدام اللغوى وإن كانت المادة الخام واحدة.

وفى مضمار النقد، فقد فاقهم فى بعض التشبيهات وتساوى معهم فى البعض الآخر. كما كانت تشبيهاته تمتاز بالتنويع فى المعنى الواحد مع ملاحظته للفروق الدقيقة بين المعنى فى موضع دون آخر.

---

[1] المصدر السابق، ص١٠.

[2] المصدر السابق، ص١١.

[3] الديوان، ص١٤.

ومن المعانى الحسية التى طرقها مسلم بن الوليد فى تشبيهاته : الغزل والخمر وقد كان له باع طويل وقدم راسخة فى وصفهما وصفًا دقيقًا جاء موفقًا فى موضعه.

٥ ـ الغزل

والغزل فن من الفنون الشعرية القديمة الموجودة فى شعرنا العربى منذ العصر الجاهلى حتى الآن، وقد طرقه أكثر الشعراء، وديوان مسلم تظهر فيه الصورة الفنية لوصف المرأة ووصف مفاتنها بصورة واضحة مادية. وليس هذا غريبًا أن يكثر الحديث عن الغوانى غزلاً ووصفًا، وهو الذى لقب بصريع الغوانى من أجلهن، وهو فى غزله لا يتبع طريقة واحدة أو أسلوبًا بعينه، وإنما هو حينًا مقلد لابن أبى ربيعة وحينًا آخر تلميذ لبشار بن برد، وطورًا ثالثًا يعبر عن ذاته، وحتى وهو يقلد عمرًا ويجرى فى مضمار بشار نحس بشخصيته ماثلة أمام أعيننا وخواطرنا، وهو ما يمكن أن نسميه روح مسلم الشعرية. وفى جمال المرأة يذكر أوصافًا كثيرة وصفًا ماديًا حسيًا.

ويقول د. مصطفى الشكعة[1] : يعتبر مسلم بن الوليد فى نظرنا الأستاذ المباشر على بعد الشقة الزمنية والمكانية لشاعرتي الأندلس ولادة بنت المستكفى وحفصة بنت الحاج الركونية، فى معانيهما التى صاغتها كل منهما فى أبياتها، على أنه إذا كانت الشقة الزمنية بعيدة فإن ديوان مسلم بن الوليد كان بين أيدى الشعراء والشاعرات الأندلسيين بغير شك، فإن النسخة من ديوانه -التى تعتمد عليها هذه الدراسة هى نفسها رواية وشرح أبى العباس وليد بن عيسى الطبيخى الأندلسى المتوفى سنة ٣٥٢هـ، ولذلك نعتبر مسلمًا هو مخطط الغزل النسائى الأندلسى.

وللمرأة فى شعر مسلم نصيب وافر فى تشبيهاته، فإذا تتبعناها نجد الشاعر قد وصفها بالغزال، والريم، والظبى، والرشا الطفل، كما وصف حديثها بأنه الدر، وصف أيضًا خلقها بأنه مسك خلطت وعجنت بيان.

كما وصف طيب رائحتها بأنه الأقحوان وبأنه المسك، كما وصف ريقها، ومبسمها، وأسنانها. كما وصف دلالها وتبخترها فى المشى.

---

[1] الشعر والشعراء فى العصر العباسى، د. مصطفى الشكعة، ص٢٦١، بيروت.

المرأة فى تشبيات مسلم بن الوليد :

يقول مسلم فى هذا اللون :

١- وَسَاقِيَةٍ كَالرِّيمِ هَيْفَاءَ طِفْلَةٍ بَعِيدَةِ مَهْوَى القُرْطِ مُفْعَمَةِ الحِجْلِ[١]

٢- أَتَتْنِي عَلَى خَوْفِ العُيُونِ كَأَنَّهَا خَذُولٌ تُرَاعِي النَّبْتَ مُشْعِرَةً ذُعْرَا[٢]

وقوله أيضًا :

٣- عِنْدَ "الْخُرَيْبَةِ" غِيدٌ قَدْ صَبَوْنَ بِنَا مِثْلُ الْمَهَا فِي رِيَاضٍ حَوْلَهَا الْعُشُبُ[٣]

الخُريبة : موضع بالبصرة.

وقوله أيضًا :

٤- وَلَدَيْهِم حُورُ السِّيقَانِ كَأَنَّهَا غِزْلَانٌ وَحْشِيٌّ يَرْتَعِينَ رِمَالاً

٥- وَغَادَةٍ كَالْبَدْرِ مَمْكُورَةٍ خَالَطَنِي مِنْ حُبِّهَا مَسٌّ[٤]

فمسلم يشبه المرأة بتشبيهات متعددة، فهو يشبهها بالريم والخذول والمها والغزلان التى ترعى الرمال، كما يصفها بالخذول، وهى أيضًا من أنواع الغزال ولعل الشاعر مغرم بأوصاف الغزلان من رشاقة القد وجمال العيون وخفة الحركة وما إلى ذلك من أوصاف اشتهرت فى تشبيه المرأة بها، كما شبهها بأنها خذول تخلفت عن القطيع، خائفة تتلفت يمينًا وشمالاً... كما شبه الفتيات الجميلات بالمها اللاتى يرعين فى رياض خضراء، كما وصفها أيضًا بالبدر فى إشراقه وجماله.

فإذا نظرنا إلى طرفة نجده يقول :

وَوَجْهٌ كَأَنَّ الشَّمْسَ حَلَّتْ رِدَاءَهَا عَلَيْهِ، نَقِيُّ اللَّوْنِ لَمْ يَتَخَدَّدِ[٥]

التخدد : التشبح، يقول : وتبسم عن وجه كأن الشمس كسته ضياءها

---

(١) الديوان، ص٤٢.

(٢) المصدر السابق، ص٤٥.

(٣) [illegible] ص٢٢٦.

(٤) [illegible]

(٥) [illegible] طرفة بن العبد [illegible] دار صادر بيروت.

وجمالها، ثم قيد التشبيه بكونه "لم يتخدد" أى كامل الضياء والنقاء والنضارة.

فإذا انتقلنا إلى الأعشى نراه يقول :

تَلأْلُؤهَا مِثْلُ اللّجَيْنِ، كَأَنَّمَا تَرَى مُقْلَتَىْ رِئْمٍ وَلَوْ لَمْ تَكْحَّلِ[1]

يقول إنها فى تلألؤها مثل الفضة، وفى الشطر الثانى يصف مقلتيها بمقلتى الريم، ثم يضيف قيدًا فى التشبيه يزيد من جمال وروعة التشبيه، هو قوله "ولو لم تكتحل".

فإذا انتقلنا إلى حاضرة عصر الشاعر وجدنا أبا نواس يقول :

الْبَدْرُ صُورَتُهُ، والشَّمْسُ جَبْهَتُهُ والْغَزَالَةُ مِنْهُ الْعَيْنُ وَاللَّبَبُ[2]

يشبه أبو نواس هذه الجارية بالبدر وهو كما نرى تشبيهًا مقلوبًا جاء للمبالغة فى الصفة، ويستمر فى قلب التشبيهات الأخرى التى جاءت فى البيت فيقول إن الشمس جبهته، وأيضًا الغزالة تشبهه فى جمال العين واللبب، وهى مبالغة فى وصف الصورة، وقد وفق الشاعر فى هذا التشبيه لأنه عدد عدة صفات فى بيت واحد.

وقوله أيضًا :

ظَبْىٌ كَأَنَّ الثُّرَيَّا فَوْقَ جَبْهَتِهِ وَالْمُشْتَرَى فِى بيُوتِ السَّعْدِ والسُّرُجَا[3]

يستمر أبو نواس فى توضيح صورته ويقول : هو ظبى كأن الثريا فوق جبينه تعطيه ضياء ونورًا، كذلك كوكب المشترى فى أسعد منازله، وهو كما نرى تشبيهًا قريبًا ليس فيه قيمة فنية.

أما إذا انتقلنا عند ابن المعتز يطعالنا فى هذا الوصف بقوله :

كَأَنَّهَا حِينَ تَبْدُو فِي مَحَاسِنِهَا بَدْرٌ تَمَزَّقَ فِى أَرْكَانِهِ الغَسَقُ[4]

وقوله :

---

[1] ديوان الأعشى، ص١٤١، دار صادر بيروت.

[2] ديوان أبى نواس، ص٦٤، دار صادر، بيروت.

[3] نفس المصدر السابق، ص١٤١، دار صادر بيروت.

[4] ديوان ابن المعتز، ج١، ص٣٩٤، دار المعارف، تحقيق د. محمد بديع شريف.

شَقِيتُ كَمَنْ يشقى بريم أُحِبُهُ   عَلَى وَجْهِهِ نُورٌ مِن الْحُسْنِ مُشرِقُ[1]

فى هذا البيت يشبه الشاعر هذه الفتاة حين تبدو بالبدر الذى أضاء أركان الظلام، وهو تشبيه جيد.

أما فى البيت الثانى فهو يقول إننى شقيت بحب فتاة كالريم يظهر النور والإشراق والجمال على وجهها -وهو أيضًا تشبيه موفق.

فإذا تأملنا هذه النماذج التى ذكرناها لهؤلاء الشعراء نجدها جميعًا تدور فى فلك واحد وليس هذا غريبًا لأنهم جميعًا اطلعوا واستفادوا من نتاج بعضهم البعض.

وفى أوصاف أخرى يصف مسلم فيها المرأة نراه يقول :

وَخَلْقِي مِسْكَةُ عُجِنَتْ بِبَانِ   فَلَسْتُ أُرِيدُ طِيْبًا غَيْرَ طِيبى[2]

وفى وصف ريقها نراه يقول :

وَرِيقِي مَاءُ غَادِيَةٍ بشَهْدٍ   فَمَا أشْهَى مِن الشَّهْدِ الْمَشُوبِ[3]

تَبَسَّمَ عَنْ مِثْلِ الأَقَاحِ تَبَسَّمَتْ   لَهُ مُزْنَةُ صَيْفِيةِ فَتَبَسَّمَا[4]

وقوله أيضًا :

أَذْكَى مِن الْمِسْكِ أَنْفَاسًا وبَهجتها   أَرَقُّ دِيباجَة مِن رِقَّة النَّفَس[5]

أما عن حديثها فيقول :

وَحَديثُ سَحَّارِ الْحَدِيثِ كأَنَّهُ   دُرٌّ تَحَدَّرَ مِنْ نِظَامِ الثَّاقِبِ[6]

ففى البيت الأول يصف جمالها بأنه وشجر البان المعروف باستواء العود والقوام شيء واحد، كما يزيد فى الصفة ويقول : ولست أريد طيبًا غير طيبى؛ أى أنه يصفها بالجمال واعتدال القوام والرائحة الطيبة.

---

[1] المصدر السابق، ج١، ص٣٩٢.

[2] الديوان، ص١٩٢.

[3] المصدر السابق، ص١٩٢.

[4] المصدر السابق، ص٤١٦.

[5] المصدر السابق، ص٤٢٥.

[6] المصدر السابق، ص١٩٢.

وأما فى البيت الثانى فيقول إن ريق هذه المحبوبة مخلوط بشهد، ونحن نعرف أن للشهد مذاقًا طيبًا خصوصًا إذا جاء مخلوطًا كما قال الشاعر، وهو تشبيه رائع لا شك، وقد وفق الشاعر فى اختياره.

وأما البيت الثالث، فيشبه الشاعر أسنان هذه الفتاة بالأقاح الذى بللته مزنة صيف فتفتح وزادت رائحته الذكية ونوره الأبيض.

أما إذا وصف أنفاسها فيبدع فى وصف رائحتها الذكية التى تفوق المسك وتكون أرق من الديباج، وقد وفق الشاعر فى التشبيه خصوصًا وأنه استعمل أفعل التفضيل فى "أذكى"، و"أرق" مما زاد التشبيه روعة وجمالاً.

أما إذا وصف حديثها فيكون كالدر الذى يتحدر من نظام الثاقب، وهو تشبيه من التشبيهات الجيدة لاشك فى هذا، خصوصًا ذكر السحر الحلال الذى يوجد فى الحديث، ولاشك أن تشبيهات مسلم جيدة وموفقة.

فإذا استعرضنا بعض الشعراء السابقين واللاحقين الذين جاءوا بتشبيهات مماثلة فى المعنى ذاته فنجد أن امرأ القيس يقول :

١- كَأَنَّ الْمُدَامَ وَصَوْبَ الْغَمَامِ ... وَرِيحُ الْخُزَامَى وَذَوْبَ الْعَسَلْ[١]

٢- يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا ... إِذَا النَّجْمُ وَسْطَ السَّمَاءِ اسْتَعَلْ[٢]

صوب الغمام : المطر. الخزامى : نبت طيب الرائحة. يعسل : يسقى مرة بعد مرة. اشتعل : ارتفع.

يشبه الشاعر ريق محبوبته بالخمر المخلوط بماء المطر مع ريح طيبة من نبت الخزامى، يسقى به مرة بعد مرة ويعلل، إذا ارتفع النجم وسط السماء، وهذا يعنى وقت السحر.

كما نرى زهيرًا يقول فى هذا المعنى :

كَأَنَّ رِيقَتَهَا بَعْدَ الْكَرَى اغْتَبَقَتْ ... مِنْ طِيبِ الرَّاحِ لَمَّا بَعْدَ أَنْ عُتِّقَا[٣]

---

[١] ديوان امرئ القيس، ص١٥٦، دار صادر بيروت.

[٢] المصدر السابق، ص١٥٦.

[٣] شرح ديوان زهير، ص٣٤.

وفى هذا يشبه الشاعر ريق محبوبته بعد النوم بالخمر المعتقة فى طيب الرائحة والحلاوة والعذوبة.

وهذا التشبيه شائع يجرى كثيرًا على ألسن الشعراء ويطالعنا الأعشى فى هذا الوصف بقوله :

وَتَضْحَكُ عَنْ غُرِّ الثَّنَايَا، كَأَنَّهُ ... ذُرَى إِقْحُوانٍ نَبْتُهُ مُتَنَاعِمُ[1]

فى هذا البيت يشبه الشاعر ثنايا محبوبته ورائحتها الطيبة بالأقحوان، وهو تشبيه جيد، إلا أننا رأينا معظم الشعراء تشبه به.

فإذا انتقلنا إلى بشار بن برد وجدناه يقول :

وَلَهَا مَضْحَكٌ كَغُرِّ الأَقَاحِى ... وَحَدِيثٌ كَالْوَشْيِ وَشْيَ الْبُرُودِ[2]

وقوله أيضًا :

كَأَنَّ تَحْتَ لِسَانِهَا ... هَارُوتَ يَنْفُثُ فِيهِ سِحْرَا[3]

هاروت : ساحر قدير مشهور كان ببابل قديمًا، وكان يعلم الناس السحر.

وقوله أيضًا :

وَحَوْرَاء الْمَدَامِعِ مِنْ مَعَدٍّ ... كَأَنَّ حَدِيثَهَا ثَمَرُ الْجِنَانِ[4]

المدامع : العيون الحور. بفتح ففتح : شدة البياض فى بياض العين وشدة السواد فى سوادها.

ففى البيت الأول يصف بشار ثغر هذه المحبوبة بأنه كغر الأقاحى فى لونه وجمال رائحته، وحديثه ممتع كالوشى أى الزخرفة الموشاة فى الثياب وغيره، وهو تشبيه جميل وفق فيه الشاعر.

---

[1] ديوان الأعشى، ص١٧٧، دار صادر بيروت.

[2] الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى، ص١٨٧، ج٣، طبع الهيئة العامة للكتاب.

[3] دراسات فى الأدب والعلم والفلسفة : بشار بن برد، د. عمر فروج، ص١٢٢، بيروت.

[4] دراسات فى الأدب والعلم والفلسفة : بشار بن برد وفاتحة العصر العباسى، د. عمر فروخ، ص١٢٢، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت.

أما البيت الثانى فيقول فيه إن حديثها كله سحر كأنما نفث هاروت وهو الساحر القدير الذى كان ببابل، فى لسانها، ليدلل على سحر حديثها وجمال لفظها، وقد وفق الشاعر أيضًا فيه.

أما البيت الثالث يعدد فيه جمال المرأة فيقول إنها حوراء؛ أى فى عينيها جمال رائع، ثم يضيف فى الشطر الثانى، ويقول كأن حديثها للطافته ورقته ثمر الجنان. الجنان: جمع جنة، وهى البساتين المثمرة.

وقد وفق بشار فى تشبيهاته جميعًا.

فإذا انتقلنا إلى ابن المعتز نراه يقول :

وَالأُقْحُوَان كَالثَّنَايَا الغُــــرِّ قَــدْ صُقِلَتْ أَنْوَارُهُ بِالقَطْــرِ[1]

وقوله أيضًا :

فَشَـــرِبْتُ الــرَّاحَ صِرْفًـــا مِـــنْ ثَنَايَـــا كَالأَقَـــاحِ[2]

تَبَسَّـــمِ إِذْ مَازَحْتُـــهُ فَكَأَنَّمَـــا يَكْشِفُ عَنْ دُرٍّ حِجَـابٍ زُمُــرُّدُ[3]

البيت الأول يشبه الشاعر الأقحوان بالثنايا، وهو تشبيه مقلوب كما نرى، وقد كان ابن المعتز دقيقًا فى هذا التشبيه عندما قال : قد صقلت أنواره بالقطر، وذلك ليحافظ على الشكل واللون المطلوبين من الأقحوان، ثم يعود فى البيت الثانى ويكرر أن الثنايا كالأقاح، ووجه الشبه اللون وطيب الرائحة.

أما البيت الثالث فإنه يشبه أسنان هذه المحبوبة بالدر المكنون الصافى أو الزمرد، والشاعر لم يوفق فى كلمة "زمرد" لأنها جاءت زائدة و لم تُعطِ فائدة أو زيادة فى الوصف، وكان أوفق لو انتهى الكلام عند "در حجاب". لذا نجد أن جميع الشعراء طرقوا نفس المعانى مع اختلاف بسيط فى سبك التشبيهات، كما أنه ليس لأحد على آخر فضيلة إلا السابقون على اللاحقين لإفادتهم من نتاجهم الشعرى.

---

[1] ديوان ابن المعتز، ص٣٢، ج٢، دار المعارف، تحقيق د. محمد بديع شريف.

[2] المصدر نفسه، ج١، ص٣٣٥.

[3] المصدر نفسه، ج١، ص٣٤٣.

وقد كان مسلم متأرجحًا[1] بين صيغة القديم والجديد، والقديم لكى يحافظ على أصالته التى اعتبرها هالة لا ينبغى له أن يخرج من محيطها.

والجديد الذى يمكنه من اللعب بالمعانى واستحداث الصور واستخراج التشبيهات وزخرفة الألفاظ والانطلاق إلى الجدة التى كانت تجود بها طاقته الفنية فى يسر ورخاء.

وفى كلمات قليلة نستطيع أن نقرر أن مسلمًا يمثل امتدادًا طبيعيًا لمحاولات التجديد التى قام بها كل من الحسين بن مطير وابن هرمة وبشار بن برد،ولكنه أشد هجومًا على المعانى الجديدة وأكثر انطلاقًا من عقال القديم، وأوفر جرأة وانفلاتًا إلى آفاق أبعد وأرحب، بحيث أن القفزة التى قفزها تكاد فى مداها تساوى قفزات الشعراء السابقين له مجتمعين، هذا فضلاً عن أنه يمثل أساسًا واضحًا لكثير من موضوعات الشعر العباسى بعده، فقد كان أول من مهد شعر الحرب وأول من استهل مدائحه بوصف الروض وأبرع فى وصف السفينة حين جعلها وسيلته فى الوصول إلى الممدوح بدلاً من الناقة، ففتح المجال لمن أتى بعده من الشعراء لينسجوا على منواله. هذا ومسلم هو واضع النواة الأولى لبعض موضوعات الشعر الأندلسى ولأفكار عدد غير قليل من شعراء الأندلس وشاعراتها[2].

وقد أجاد مسلم فى هذه الأوصاف وحلق فى هذا الباب من الغزل وما إليه لأنه عكف عليه عكوفًا أشبه ما يكون بالاحتراف -كما نقول اليوم- فقال إنه لم يصح من لذة ولا طرب، وإنه كان أبدًا قرين اللهو واللعب، وأن نفسه تنازعه اللذات واللهو دائبة، يبكى وينتحب لبعد الأحباب والأصحاب.

تلك بعض لوحات الغزل التى عرضتها لنتعرف منها على عطاء الشاعر فى هذا الفن. وننتقل إلى فن آخر من الفنون التى برع فيها الشاعر وأحرز فيها تفوقه على معاصريه؛ وهو فن الخمريات.

---

[1] الشعر والشعراء فى العصر العباسى، د. مصطفى الشكعة، ص٢٦٧، بيروت.

[2] المصدر السابق.

الخمر في تشبيهات مسلم بن الوليد

ومن المعانى الحسية التى طرقها "مسلم بن الوليد" : الخمر، فقد كانت ذات أثر واضح فى حياة الشعراء العباسيين وغيرهم، خصوصًا العصر الأول منه الذى عاش فيه شاعرنا. كما حفل بعدد كبير من الشعراء الذين جعلوا من اقتناص متع الحياة -حلالها وحرامها- مذهبًا. واتخذوا من الخمر منهلاً ومشربًا، ومن ثم توفروا على معاقرتها فى إسراف نال من مروءتهم، وأقبلوا على وصفها والحديث عنها والإكثار من تناولها فى شعرهم، بحيث قدموا لونًا متجددًا متطورًا من موضوعات الشعر التى ازدهرت كصدى للبيئة فى تلك الفترة الزمنية. والخمر فى هذا العصر أخذت أشكالاً وأساليب مستحدثة ومعانٍ طريفة، واتسع خيال الشعراء المعاقرين لها للكثير من آثارها على مشاعرهم ومسالكهم. والخمر ليست غريبة على الشعر العربى كما هو معروف، فقد قال الأعشى فيها شعرًا رائقًا فى الجاهلية وتعامل معها الأخطل التغلبى على عصر بنى أمية.

ثم كان الملك الأموى "الوليد بن يزيد"[1] مفرطًا فى شربها مبدعًا فى وصفها حتى إن بعض الدارسين يعتبرونه الرائد الحقيقى لشعر الخمر، ثم جاء بعد ذلك حشد الشعراء المجان والخمريين الذين كان قصب السبق معقودًا بينهم على ناصية أبى نواس، واستطاع أن يثبت معه مسلم بن الوليد وأبا الشيص وغيره من الشعراء. وإذا كان الشعراء قد تعشقوا الخمر إلى الحد الذى جعل بعضهم يكاد يوقف معظم شعره عليها مثل أبى نواس ومسلم بن الوليد، فإنه من الطبيعى أن نتوقع منهم أشتاتًا من الصور وألوانًا من الأوصاف.

ومسلم بن الوليد حين يعمد إلى وصف خمرياته نراه يصف إبريقها ومديرها، كما يصفها قبل المزج وبعده، كذلك يصفها حين المزج، يصف أنامل الساقى وتأثيرها عليه، يصف رائحتها، كذلك يعمد إلى وصفها عند نزولها من الدن، يصف تأثيرها على شاربيها. كما أنه يرى أن فى قتلها حرمة لأن مزجها بالماء قتل لها وأكل الميتة محرم، ولذلك نجده يقول فى مقدمة إحدى مدائحه[2] :

---

[1] الشعر والشعراء فى العصر العباسى، د. مصطفى الشكعة، ص١٩٥، طبع بيروت.

[2] ديوان مسلم، ص١٧٩.

١- إذَا شِئْتُمَا أَنْ تَسْــقِيَانِي مُدامَــةً فَــلا تَقْتُلاهَــا. كُــلُّ مَيْــتٍ مُحَــرَّمُ

٢- خَلَطْنَا دَمًا مِنْ كَرْمَــــةٍ بِدِمَائِـنَا فَأَظْهَرَ فِي الأَلْــوَانِ مِنَّا الــدَّمَ الــدَّمُ

يطالعنا أبو نواس برأى آخر فى الخمرة فيقول :

١- إذَا مِتُّ فَادْفِنِّي إلَى جَنْـبِ كَرْمَـةٍ تَـرْوِي عِظَامِي فِـي مَمَـاتِي عُرُوقُهَـا

٢- ولا تَدْفِـنَـنِّي فِي الفَلاةِ فَإنَّـنِـي أَخَـافُ إذَا مَـا مِـتُّ أَلاَّ أَذُوقَـهَـــا

وإذا كان هذا هو رأى كل من مسلم بـن الوليـد وأبى نـواس فسـوف نعـرض لعطاء الشعراء السابقين عليهما لنقف عند المعانى التى تناولوها لنوازن بينهم.

وفى وصف نزول الخمر من الخابية نستمع إلى مسلم بن الوليد فى قوله :

١- شَقَقْنَا لَهَا فِي الدَّنِّ عَيْنًا فَأَسْبَلَتْ كَمَا أَسْبَلَتْ عَيْنُ الْخَرِيدِ بِلاَ كُحْـلِ[1]

وفى وصفها قبل المزج وبعده وحين المزج يقول أيضًا :

٢- حَمْراءُ إنْ بَرَزَتْ صَفْرَاءُ إنْ مُزِجَتْ كَـأَنَّ فِيهَـا شِـرَارُ النَّـــارِ تَلْتَهِـبُ[2]

٣- وَكَأَنَّهَـا وَالْمَــاءُ يَطْلُــبُ حِلْمَهَــا لَهَـبٌ تُلَاطِمُـهُ الصَّبَـا فِـي مَقْبَــسِ[3]

٤- كَأَنَّهَا وَسِــنَانُ الْمَــاءِ يَقْـتُـلُـهَــا عَـتِيقَةٌ ضَحِكَـتْ فِي عَارِضٍ بَـــرَدِ[4]

يصف شاعرنا نزول الخمر من الخابية، ويشبهها بعين الخريـد التـى لم تكتحـل، ليؤكد صفة الصفاء للخمـرة ويعطيهـا لونًـا أبيـض ناصعًـا شـفافًا. وقـد وفـق فـى هـذا التشبيه، كما يصف فى البيت الثانى لون حمرته ويقول بأنها حمراء عند نزولها معتقة، ثـم يتغير لونها إلى الأصفر عندما تمزج بالماء ولا يكتفى بهذا بـل يضيـف قـائلاً بأنهـا تظهـر الغضب فى ثورة عارمة، أشبه ما تكون بشرار النار الملتهب.

وقد أجاد شاعرنا فى هذا التشبيه.

---

[1] الديوان، ص٣٨.

[2] المصدر السابق، ص٢٢٧.

[3] المصدر السابق، ص١٣٢.

[4] المصدر السابق، ص٨١.

أما البيت الثالث فهو تأكيد للبيت الثاني في الصفات السابقة، لكنه استخدم معطيات أخرى فيقول إن الماء حينما يمزج بالخمر كأنه يطلب حلمها، فهو الوسيلة الوحيدة لتخفيفها فترفض بشدة وتعلن الثورة مرة أخرى ولكن في شكل أقوى، ولذلك يشبهها الشاعر بأنها لهب متلاطم بين الريح في مقبس النار. وقد أجاد الشاعر في هذا التشبيه، ولو أن المعنى واحد. لكنه ببراعته استطاع أن يجعل من المادة الخام أكثر من شكل.

أما البيت الرابع فنجده لا يقل روعة عن الأبيات السابقة، وإن كان في نفس المعنى، فنراه يعبر عن المزج هذه المرة بالقتل، وقد استخدم الشاعر الألوان البديعية بكثرة في تشبيهاته، فالخمر حمراء، وهي معتقة، جعلها تقابل العقيق الأحمر، وجعل الماء الذي قتلت به يقابل العارض من البرد، وهما كما نرى توافق في الألوان، وأراد بكلمة عارض أسنان محبوبته، وهو تشبيه جيد جاء موافقًا تمامًا في موضعه.

أما إذا عدنا إلى العصر الجاهلي لنرى صناحة العرب الشاعر "الأعشى" يقول :

١- كَـدَمِ الذَّبِيـحِ غَرِيبَـةً ... مِمَّـا يُعَتِّـقُ أَهْـلُ بَـابِلْ[١]

٢- وَكَأَنَّ الْخَمْرَ الْعَتِيقَ مِنَ الإِسْفِنْـ ... ـطِ مَمْزُوجَـةً بِمَـاءِ زُلالِ[٢]

٣- وَصَهْبَاءَ صِرْفٍ كَلَوْنِ الْفُصُوصِ، ... سَرِيعٍ إِلَى الشَّرْبِ إِكْسَالُهَا[٣]

٤- كُمَيْتٍ عَلَيهَا حُمْرَةٌ فَوْقَ كُمْتِهِ ... يَكَادُ يُغْرِي الْمُسْكَ مِنْهَا حَمَاتُهَا[٤]

حماتها : حرارتها.

وفي لون الخمر يحدثنا الأعشى، وهو خبير العرب وأقدم معاقر لها، فيقول إن لونها أحمر كلون دم الذبيح، وهي التي عتقت في بابل أي أنها أصيلة غير مخلوطة بشائبة.

---

[١] الديوان، ص١٥٧، دار صادر بيروت.

[٢] الديوان، ص١٦٤، دار صادر، بيروت. الإسفنط : الخمر.

[٣] المصدر السابق، ص١٥٩، دار صادر بيروت.

[٤] الديوان، ص٣١، صادر بيروت.

وفى البيت الثانى يقول كأن هـذه الخمـرة العتيقـة ممزوجـة بمـاء زلال، ويقصـد بذلك اللون الصافى.

أمـا البيـت الثـالث فهـو يقـول فيـه إن هـذه الخمـرة المعروفـة بالصهبـاء كلـون الفصوص ولا نعلم أى لون هو يقصد، هل اللون الأبيض أم اللـون الأحمـر. ثـم يطالعنـا فى البيت الأخير بلونهـا أيضًـا، وهـو اللـون الأحمـر الـذى يكـاد أن يغـرى المسـك مـن حرارتها، وكميت هو اسم من أسماء الخمر أيضًا. ومحصلة رأينا فى خمرة الأعشى أنـه لم يعطنا إلا الألوان وأسماء متعددة للخمر، لكنه لم يودّ لنا تشبيها رائعًا نقف أمامـه ونقـول إنه أجاد.

أما النابغة فيقول فى هذا الوصف :

كَأَنَّ مُشَعشعًا مِـــن خَـمْـــرِ بَصْرَى　　　نمتـــه البخـت مَشدودُ الختــامِ[1]

المشعشع : الذى أرق مزجه فى اللسان، المشعشعة : الخمـر التـى أرق مزجهـا، والبخـت : جمل بختى، وبصرى: موضـع بالشـام، وتشـبيه النابغـة يعتـبر مـن التشـبيهات الغريبة الهينة التى ليس لها قيمة فنية تذكر، فهو لم يزد على أن قال إن هذه الخمرة الرقيقة المزج كأنها من خمر الشام جاء بها الجمال والإبل لم يُفَض خاتمها.

أما إذا انتقلنا إلى أبى نواس وهو رائد الخمريات فى العصر العباسى، نراه يقول:

١- عُقَارُ أَبُوهَا الْمَاءُ، والْكَـرْمُ أُمُّهَــا　　　وَفِى كَأسِهَا تَحْكِى الْمُلاءَ الْمُزَعْفَرَا[2]

وقوله أيضًا :

٢- كَأَنَّ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَــا　　　حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِن الذَّهَــبِ[3]

وقوله أيضًا :

٣- فَشَكَّ بِإِشْفَاءٍ لَهُ بَطْـــنُ مُسْـنَدٍ　　　فَسَالَتْ تُحَاكِى فِى تَلألُؤِهَـا الْبَدْرَا[4]

---

[1] ديوان النابغة، ص١٣١، دار المعارف.

[2] الديوان، ص٢٤٩.

[3] الديوان، ص٤٠.

[4] المصدر السابق، ص٥٥؟.

الاشفى : المثقب.

ويصف مزجها فيقول :

٤- كأنّها بزُلالِ المُزْنِ، إذْ مُزِجَتْ   شِباكُ دُرٍّ على دِيباجِ ياقُوتِ[1]

وقوله :

٥- كأنَّ أَحْداقَهَا، والْماءُ يَقْرَعُهَا   فِي سَاحَةِ الْكَأْسِ أَحْداقُ الْيَعَاسِيبِ[2]

اليعاسيب : الواحد يعسوب : أمير النحل.

وقوله :

٦- وَقَهْوَةٍ مِثْلُ عَيْنِ الدِّيكِ، صَافِيَةٍ   مِنْ خَمْرِ عَانَةَ أَوْ مِنْ خَمْرَةِ السَّيْبِ[3]

عانة : قرية فى العراق. السيب : قرية فى ضواحى البصرة.

يبدأ أبو نواس فى البيت الأول ليعرض نسب هذه الخمرة ولونها المعروف فيقول إن هذه الخمر أبوها الماء، والكرم أمها، وهى فى الكأس تشبه لون الزعفران، وهو المعروف باللون الأصفر ثم يتابع وصفه فى شكلها ويقول إن صغرى وكبرى من فواقعها كأنها حصباء در منثور على أرض من الذهب، وهذا التشبيه من التشبيهات الرائعة لأبى نواس.

وفى البيت الثالث يقول إنه عندما يشك بطن الدن تسيل الخمر منه لتحاكى وتشابه البدر فى تلألؤه وضيائه وفى وصف مزجها، يقول فى البيت الرابع : إذا مزجت بماء المزن الزلال، تكون كأنها شباك من الدر على حرير ياقوت، وهو يقصد حرير من اللون الأحمر.

ونرى الشاعر مهتمًا بالألوان مثله فى ذلك مثل شاعرنا، وفى البيت الخامس يصف الشاعر مزجها بالماء، فهى تحدق فى ساحة الكأس كإحداق أمير النحل، وهو من التشبيهات المبتكرة عند أبى نواس، وقد وفق فى اختراعها.

---

[1] المصدر السابق، ص١١٢.

[2] المصدر السابق، ص٤١.

[3] المصدر السابق، ص٤١.

أما البيت الأخير فيقول فيه الشاعر إن هذه الخمر صافية رائقة كعين الديك، لأنه احتلبها من العراق أو من ضواحى البصرة، وهى أماكن مشهورة بصنع أجود أنواع الخمور، وهذا التشبيه لا يعتبر من التشبيهات الفنية.

فإذا انتقلنا إلى شاعر آخر، وهو ابن المعتز نجده يقول فى هذه الأوصاف :

١- وَقَهْوَةٍ كَشُعَاعِ الشَّمْسِ صَافِيَةٍ ... كَأَنَّ أَقْدَاحَها عُمِّمْنَ بِالزَّبَدِ[1]

وقوله :

٢- فَهَاتِ عُقَارًا فِى قَمِيصِ زُجَاجَةٍ ... كَيَاقُوتَةٍ فِى دُرَّةٍ تَتَوَقَّدُ[2]

وقوله :

٣- كَأَنَّ حَبَابَهَا خَرَزَاتُ دُرٍّ ... عَلَتْ لَهِيبًا بِأَقْدَاحِ النُّضَارِ[3]

وقوله :

٤- وَقَهْوَةٍ صَفْرَاءَ مِثْلَ الورسِ ... قَد حُبِسَتْ فِى الدَّنِّ أَىَّ حَبْسِ[4]

وقوله :

٥- وَكَأْسٍ كَأَنَّ الْمَاءَ صَاغَ لِرَأْسِهَا ... أَكَالِيلَ قَدْ نُظِمْنَ مِنْ لُؤْلُؤٍ رَطْبِ[5]

وقوله :

٦- كَأَنَّمَا حَبَابُهَا الْمَنْثُورُ ... كَوَاكِبُ فِى فَلَكٍ تَدُورُ[6]

فالشاعر كما نرى من الشعراء العباسيين الذين اهتموا بوصف الخمر، فهو يصفها فى البيت الأول بأنها مشرقة صافية كشعاع الشمس، ثم يزيد فى الوصف ويقول كأن أقداحها عممن بالزبد وهى الرغوة المعروفة للخمر.

---

(١) ديوان ابن المعتز، ج٢، ص٢٤٥.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٢٤٦.

(٣) المصدر السابق، ج٢، ص٣٨٥.

(٤) الديوان، ص٢٧٤، ج٢.

(٥) المصدر السابق، ص٢١٣، ج٢.

(٦) المصدر السابق، ج٢، ص٤٢.

وفى البيت الثانى يقول إنها كالياقوتة فى درة متوقدة.

وفى البيت الثالث يقول إن حبابها خرزات در علت بحرارتها فى أقداح من الذهب الخالص.

أما البيت الرابع فهو يصف لونها كما فعل أبو نواس ومسلم بن الوليد.

يقول بأنها صفراء مثل الورس، وهو نوع من النبات لونه أصفر قد حبست فى الدن حتى عتقت، وهو تشبيه لم يزد على اللون فقط.

أما البيت الخامس فيقول إنه عندما مزجت بالماء صاغ لها أكاليل نظمن من لؤلؤ رطب، وهو تشبيه رائع حقًا لأنه يعطينا دلالات كثيرة هى اللون والمقدار والملمس. أما إذا نظرنا إلى البيت السادس فنجد أن الشاعر يشبه حبابها المنثور فى الكأس بالكواكب التى تدور فى فلك. ويعتبر هذا التشبيه من التشبيهات المبتكرة الجديدة.

فإذا تأملنا هؤلاء الشعراء جميعًا، وجدنا الخمر الجاهلية لم تزد عن الوصف المجرد من أى تعبير فنى. أما الخمر العباسية فقد ابتكر الشعراء وجددوا فى معانيها وفى صياغتها بالشكل المناسب للعصر الذى عاشوا فيه، كما رأينا عند كل من أبى نواس ومسلم وابن المعتز، وقد أحرز العباسيون، ومنهم شاعرنا، قصب السبق فى وصفها الوصف الدقيق. أما إذا انتقلنا بالخمر مرة أخرى فى أوصاف أخرى لنعيش مع الشعراء وأوصافهم فيها، فنرى شاعرنا يقول فيها :

وصف أباريق الخمر :

يقول مسلم بن الوليد :

١- كَأَنَّ ظِبَاءَ عُكَّفًا فِي رِياضِهَا   أَبَارِيقُهَا أَوْجَسْنَ قَعْقَعَةَ النَّبْلِ[1]

وقوله :

٢- إبْرِيقنَا سَلَبَ الْغَزَالَةَ جِيدَهَا   وَحَكَى الْمُدِيرُ بِمُقْلَتَيْهِ غَزالا[2]

كما وصف رائحة الخمر بقوله :

---

[1] الديوان، ص٣٩.

[2] المصدر السابق، ص٢٠٤.

٣- كَأَنَّمَا ضُمِّنَتْ مِسْكًا يَفُوحُ بِهِ أَوْ عَنْبَرِ الْهِنْدِ أَوْ طِيبًا مِنَ السَّخَبِ[١]

وفى وصف أيدى الساقى :

٤- إِذَا مَسَّهَا السَّاقِى أَعَارَتْ بَنَانَهُ جَلابِيبَ كَالْجَادِى مِنْ لَوْنِهَا صُفْرَا[٢]

يصف مسلم بن الوليد أباريق الخمر فيقول على سبيل التشبيه المقلوب إنها كالظباء العاكفة فى رياضها والتى تتوجس خيفة الصياد ونبله، وهو تشبيه رائع لاشك فى ذلك لأن فيه الحركة والألوان والمقدار المخصوص الموجود بين الطرفين فى طول عنق الظباء وأباريق الخمر، ثم جعلها عاكفة فى حركة مخصوصة حتى يقترب الشكل الحقيقى مع الشكل الذى اخترعه الشاعر، وقد وفق الشاعر فى اختياره وأجاد فيه، الأمر الذى جعل التشبيه فى غاية الدقة والمهارة.

وتعتبر هذه الصورة من الصور المبتكرة فى هذا الوصف.

أما إذا انتقلنا إلى البيت الثانى، وجدناه يصف إبريق الخمر ويقول إنه سلب الجيد من الغزالة كما تشابه المدير مع الغزالة فى مقلتيها. وكأنه أصاب تشبيهين فى وقت واحد. وهذا تشبيه رائع، ولو أنه الوجه الآخر للتشبيه الذى سبقه إلا أنه زاد عليه بتشبيه مدير الكأس بمقلتى الغزالة.

فإذا انتقلنا إلى وصف رائحة الخمر، وجدنا الشاعر يصفها بطيب الرائحة التى تفوح من المسك أو عنبر الهند أو الطيب من حب القرنفل، وهو ولاشك تشبيه موفق فى استخدام هذه العطور فى مراعاة النظير وتوظيفها لأداء الوصف المطلوب.

وفى وصف اللون المخصوص الذى يصبغ بنان الساقى كأنها لبست جلابيب صفر من هذا اللون الذى هو لون الخمر.

وفى وصف أثر الخمر يقول مسلم بن الوليد :

١- إِذَا مَا عَلَتْ مِنَّا ذُؤَابَةُ شَارِبٍ تَمَشَّتْ بِهِ مَشْىَ الْمُقَيَّدِ فِى الْوَحْلِ[٣]

---

(١) المصدر السابق، ص ٢١٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٩.

(٣) الديوان، ص ٢٤.

وقوله :

٢- كَأَنَّها بَعْدَما قَـامَ الصَّبَاحُ بِهَـا   وَسْنَى تَمَشَّتْ بِهَا أَعْطَافُ نَشْـوَانِ[١]

فإذا نظرنا إلى البيت الأول وجدنا الشاعر يشبه أثر الخمـر وفعلهـا فـى شـاربها كأنه يمشى مقيدًا فى الوحل، ليبين الأثر الناتج عن شربها، وهـو تعبيـر موفـق أجـاد فيـه الشاعر حتى أن الخليفة هارون الرشيد قد استحسنه من الشاعر وقال له أمـا يكفيـك أن قيدته جعلته يمشى فى الوحل. وقد يلفت نظرنا أيضًا أن البيت الثانى جاء موافقًا لنفس المعنى مع أنه صيغ صياغة أخرى. فإذا نظرنا فى شعر الأعشى نجده يقول :

١- مِثْلُ ذَكِيِّ الْمِسْكِ ذَاكَ طِيبُـهَـا   صَبَّـهَا السَّـاقِى، إذا قِيلَ تَـوَحْ[٢]

وله أيضًا :

٢- سُلَافٍ كَأَنَّ الزَّعْفَـرانَ، وَعِنْدَمَا   يُصَفَّـقُ فِى نَاجُودِهَـا ثُـمَّ تَقْـطَبُ[٣]

يقول الشاعر فى البيت الأول إن هذه الخمرة لها رائحة طيبة مثل رائحة المسـك إذا صبها الساقى.

والبيت الثانى يبين أيضًا لون الخمـر ورائحتهـا، فيقـول إن هـذه الخمـرة كأنهـا الزعفران، يقصد اللون والرائحة.

وكما نرى أن الأعشى موفق كل التوفيق فى جميع صوره.

فإذا انتقلنا إلى العصر الأموى، وجدنا الأخطل يقول :

١- تَفُـوحُ بِمَاءٍ يُشَبِّه الطيبَ طِيبُه   إِذا مَا تَعاطَتْ كَأْسَهَا مِـنْ يَدِيـدُ[٤]

وفى الأثر يقول :

٢- تَدِبُّ دَبِيبًا فِـى العِظَـامِ كَأَنَّـهُ   دَبِيبُ نِمَـالٍ فِى نَقًا يَتَهَيَّـلُ[٥]

---

[١] المصدر السابق، ص١٢٤.

[٢] المصدر السابق، ص٤٠، دار صادر بيروت، وفى رواية أخرى : ذاك ريحها، توح : أسرع.

[٣] المصدر السابق، ص١١، دار صادر بيروت.

[٤] فن الشعر الخمرى عند العرب، إيليا حاوى، ص١٠٧، دار الثقافة بيروت.

[٥] نفس المصدر السابق، ص١٠٥.

ففى البيت الأول نجد أن الشاعر بين أثر الطيب لرائحة الخمر، وأما البيت الثانى فيعطينا صورة تنمو ببطء لتأثير الخمر وكأنها دبيب نمال فى كومة من الرمل، وهذ البيت وفق فيه الشاعر الأخطل وأجاده أكثر من البيت الأول.

فإذا نظرنا فى شعر أبى نواس لنعرض لهذه الأوصاف، نجده يقول فى بنان ساقيها :

١- كَأَنَّ بَنَانَ مُمْسِكِهَا أُشِيمَتْ ... خِضَابًا حِينَ تَلْمَعُ فِى الزُّجَاجِ[1]

أشيعت : خضبت.

وقوله فى أثرها :

٢- فَتَمَشَّتْ فِى مَفَاصِلِهِم ... كَتَمَشِّى الْبُرْءِ فِى السَّقَمِ[2]

ثم يصف أباريق الخمر ويقول :

٣- فِى أَبَارِيقَ، مِنْ لُجَيْنٍ حِسَانٍ، ... كَظِبَاءٍ سَكَنَّ عَرْضَ الْقِفَارِ[3]

٤- فِى أَبَارِيقَ سُجَّدٍ، كَبَنَاتِ الْـ ... ـمَاءِ أُقْعِينَ مِنْ حِذَارِ الصُّقُورِ[4]

بنات الماء : طيور الماء.

ويصل أبو نواس إلى وصف رائحة الخمر فيقول :

٥- تَنَفَّسَتْ فِى وُجُوهِ الْقَوْمِ ضَاحِكَةً ... تَنَفُّسَ الْمِسْكُ فى تَفْلِيجِ تُفَّاحِ[5]

التفليج : التشقيق.

وقوله :

٦-تُهْدِى إلى الشَّرْبِ طِيبًا عِنْدَ نَكْهَتِهَا ... كَنَفْحِ مِسْكٍ، فَتِيقِ الغَارِ، مَفْتُوتِ[6]

الغار : وعاء المسك.

---

[1] الديوان، ص١٣٧، دار صادر بيروت.

[2] فن الشعر الخمرى وتطوره عند العرب، إيليا حاوى، ص٢٣١، طبع دار الثقافة بيروت.

[3] الديوان، ص٢٦٥.

[4] السابق، ص٢٨٠، دار صادر بيروت.

[5] المصدر السابق، ص١٥٦.

[6] المصدر السابق، ص١١٢.

يقول الشاعر فى البيت الأول إن الخمر تخضب بنان ممسكها حين تلمع فى الكؤوس، وفى البيت الثانى يبين لنا الأثر الذى تتركه الخمر فى شاربها وشبهه بأنه يسرى فى البدن كتمشى البرء فى المرضى، وهذا التشبيه جيد وموفق. وفى وصف الأباريق يقول إنها من الفضة، ثم يشبهها بأنها كالظباء التى تسكن القفار والصحارى. ويقول فى البيت الرابع إن أباريق الخمر تشبه طيور الماء فى رشاقتها التى تتقى من الصقور، واحترز لنفسه بقوله أباريق سجد ليحافظ بذلك على الشكل المطلوب.

وفى البيتين الأخيرين يصف الشاعر طيب الرائحة، فيقول إنها عندما تتنفس فى وجوه القوم تتنفس رائحة طيبة هى رائحة المسك المخلوط بتشقيق التفاح وهو تشبيه مبتكر حقًا ورائع. أما البيت السادس فيقول إن هذه الخمر تهدى إلى شاربيها رائحة طيبة هى نفح المسك المفتوت فى وعائه، ويعتبر هذا التشبيه مبتكرًا أيضًا.

أما إذا انتقلنا إلى الشاعر ابن المعتز لنرى صوره فى هذه الأوصاف.

يقول فى وصف أباريق الخمر :

١- وكَأَنَّ إِبْرِيقَ الْمُدَامَةِ بَيْنَنَا ظَبْيٌ عَلَى شَرَفٍ أَنَافَ مُدَلَّهَا[1]

ويصف أثرها فيقول :

٢- يَمْشِي وَقَدْ أَخَذَ النُّعَاسُ بِرِجْلِهِ مَشْيَ الأَسِيرِ يَخُبُّ فِي الأَقْيَادِ[2]

وعن تأثيرها فى كف ساقيها يقول :

٣- فَأَتَى بِهَا كَالنَّارِ تَأْكُلُ كَفَّهُ بِشُعَاعِهَا مِنْ شِدَّةِ الإِيقَادِ[3]

وفى وصف رائحتها يقول :

٤- فَكَأَنَّ حُمْرَةَ لَوْنِهَا مِنْ خَدِّهِ وَكَأَنَّ طِيبَ رِيَاحِهَا مِنْ نَشْرِهِ[4]

٥- كَأَنَّمَا مَسَّتِ الْقَرَنْفُلَ أَوْ ذَرَّ عَلَيْهَا الْكَافُورَ عَطَّارُ[5]

---

[1] الديوان، ص٢٩٨، ج١.

[2] المصدر السابق، ج٢، ص٢٤٣.

[3] المصدر السابق، ج٢، ص٢٤٣.

[4] المصدر السابق، ج٢، ص٢٥٣.

[5] المصدر السابق، ج٢، ص٢٥٥.

يصف الشاعر أباريق الخمر ويشبهها بأنها ظبى فى طول عنقه، ثم جعله يقف على مكان مرتفع ليتحقق الشكل المطلوب في بيان طول العنق، وفى البيت الثانى يبين لنا الأثر لمن يشرب الخمر فشبهه بالأسير المكبل بالقيود.

وفى البيت الثالث يشبه الخمر بالنار تأكل كف الساقى بشعاعها من شدة توقدها. وفى البيتين الأخيرين نرى الشاعر يصف رائحة الخمر ولونها فى قوله : "فكأن حمرة لونها من خده" على طريقة التشبيه المقلوب وكأن خد محبوبته هو الأصل فى الحمرة. ويؤكد ذلك فى الشطر الثانى من البيت "وكأن طيب رياحها من نشره" بين تشبيهه بطريقة معكوسة أيضًا، وذلك تأكيدًا للمبالغة.

وفى البيت الأخير يصف طيب ريحها، ويقول كأنها مست القرنفل أو ذر عليها العطار كافور، والكافور شجر له رائحة طيبة.

وفى نهاية هذه الخمريات جميعًا أقول إن مسلمًا وفق فى تشبيهاته لأنه ألم بتشبيهات جميع هؤلاء الشعراء فى أبيات قليلة، ولا ننسى أن ننوه بشعرهم أيضًا، خصوصًا ما كان منهم السابق إلى هذه الأوصاف والمعانى مثل الأعشى الذى يعتبر رائدًا للخمريات فى العصر الجاهلى.

٤ - الوصف فى تشبيهات مسلم بن الوليد

على نفس الدرب الذى اختاره مسلم بن الوليد لنفسه من القول على البحور الضخمة فى نطاق الفحولة والصيغ الجزلة تارة، والتزام البحور القصيرة والألفاظ السهلة تارة أخرى. سار وهو يعالج موضوع الوصف، فاختار الأسلوب الذى رأى أنه يتمشى مع غرضه وموضوعه، وإذا كان شاعرنا قد أبدع فى المدح والغزل والخمر، فنجده قد أجاد فى الوصف أيضًا.

وموضوعات الوصف عنده هى : السفينة - الصحراء الناقة.

أ - السفينة فى تشبيهات مسلم :

وصف شاعرنا السفينة وصفًا جادًا دقيقًا لم يكن مألوفًا قبله، كما برع فى تصوير لوحاته وصياغتها مع الكثير من التفصيل، فهو يصفها مقبلة مدبرة، يسير بها

البحار فى جبل وعر، كما يصف المجاديف وجسم السفينة وما لصق به من طحلب بشيء من الابتكار المبدع، ولكنه لم يكتفِ بالصورة الثابتة فى وصفه المركب، و لم يكتفِ بالتفاصيل المؤهلة التى قدمها ببراعة تامة وهو يعالج موضوعه وكأنما يفصل أجزاء جسم السفينة وصفًا، وإنما أتى بصور متحركة رائعة :

فنراه يقول فى وصف شكل إقبال السفينة وإدبارها :

١- إِذَا أَقْبَلَتْ رَاعَتْ بِقُنَّةِ قَرْهَبٍ   وإِنْ أَدْبَرَتْ رَاقَتْ بِقَادِمَتَىْ نَسرِ[1]

ثم يصف تحركها وتعامل البحار معها وصفًا متحركًا فريدًا فى قوله :

٢- تَجَافَى بِهَا النُّوتِىُّ حَتَّى كَأَنَّمَا   يَسِيرُ مِن الإِشْفَاقِ فِى جَبَلٍ وَعْرِ

٣- تَخَلَّجُ عَنْ وَجْهِ الْحَبَابِ كَمَا انْثَنَتْ   مُخَبَّأَةٌ مِن كِسرِ سِترٍ إِلَى سِتْرِ[2]

٤- فَحَامَت قَلِيلاً ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَا   عُقَابٌ تَدَلَّتْ مِنْ هَوَاءٍ عَلَى وَكْرِ[3]

كما نرى لم يكتفِ مسلم بالصورة الثابتة فى وصف السفينة، و لم يكتفِ بالتفاصيل التى قدمها ببراعة تامة وهو يعالج موضوعه وكأنما يفصل أجزاء السفينة جزءًا جزءًا، فجاءت صورة متحركة رائعة ربما كانت مددًا بعد ذلك لشعراء آخرين.

ففى البيت الأول يصف السفينة وهى مقبلة فى ضخامتها برأس ثور مسن، أما وهى مدبرة لسرعتها وخفتها كأنها مقدمة نسر.

ثم يصف حركة السفينة فى البحر وهى تعدو من مكان إلى مكان اتقاءً للخطر. وفى البيت الأخير يصفها ويشبهها كأنها طائر العقاب فى سرعته. ولعل هذه السفينة التى أوصلته للممدوح -لاشك أنه وفق فى سياق تشبيهاته هذه فى وصف السفينة.

فيطالعنا الأعشى فى هذا الوصف بقوله :

١- تَقَصُّ السَّفِينُ بِجَانِبَيْهِ كَمَا   يَنْزُو الرُّبَاحُ خَلاَ لَهُ كَرَعُ[4]

---

[1] الديوان، ص١٠٧.

[2] الديوان، ص١٠٨.

[3] المصدر السابق، ص١٠٩.

[4] نظرات فى البيان، ص١٥١.

أراد أن ينقل صورة السفينة فى البحر، لأهل البادية، ولعل هـذا الوصف أقـدم وصف قيل فـى السـفينة ليقـرب إلى أذهـانهم الحركـة المخصوصـة، وذلـك لأنهـم لم يركبوها، فشـبه السـفينة فـى انحدارهـا وارتفاعهـا، بحركـات الفصيـل فـى نـزوه، إذ أن الحيوانات الصغيرة يكون لها حركات متفاوتة، تصير لهـا أعضاؤهـا فـى جهـات مختلفـة، ويكـون هنـاك تسـفل وتصعـد علـى غـير ترتيـب، حتـى لا يمكـن الفصـل بـين حركاتـه لتداخلها، فبينما نراه يثب إلى أعلى، إذا بنا نراه منحطًا متسـفلاًويهوى مـرة نحـو رأسـه، ومرة أخرى نحو ذنبه.

فهو بذلك أعطاهم صورة السفينة، وهيئة حركاتها، حين يتدافعها المـوج، وقـد وفق الشاعر فى تقريب الصورة إلى ذهن السامع.

فقد أجاد الأعشى فى هذا الوصف الدقيق.

ويطالعنا أبو نواس بقوله :

٢- فَكَأَنَّهَـا وَالْمَـاءُ يَنْطَـحُ صَدْرَهَـا وَالْخَيْزُرَانَـةُ فِـي يَـدِ الْمَـلاَّحِ[1]

٣- جُـوْنٌ مِن الْعِقْبَانِ يَبْتَدِرُ الدُّجَـى يَهْوَى بِصَـوْتٍ وَاصْطِفَاقِ جَـنَاحِ[2]

فالشاعر أبدع فى رسم صورة هذه السفينة، خصوصًـا أنـه بـدأ بوصـف بنائهـا وموادها الخام ثم تدرج إلى وصفها وتشبيهها وهى تمخر عُباب البحـر والمجداف فـى يـد الملاح، وهو الوسيلة الوحيدة لسيرها فى البحر ونجاة الراكبين فيها.

فقد شبه السفينة بجون العقاب تهوى من أعلى إلى أسفل، وهـذا التشبيه يشبـه إلى حد كبير تشبيه مسلم بن الوليد فى الوصف والحركة.

فإذا نظرنا إلى وصف السفينة عند الشعراء السـابقين علـى شـاعرنا والمعـاصرين له، وجدناها صورًا رائعة تعبر تعبيرًا صادقًا عن شاعرية قوية، فتشبيه كل من أبـى نـواس ومسلم يكاد يكون واحدًا إلا أن تشبيهات مسلم تتفوق بالدقة وكثرة التفصيل حيث إنه أجاد فى كل تشبيه لأنه زاد على الأوصاف التـى وصفهـا الشـعراء الذيـن عقدنـا معهـم موازنة، فوصفهـا بأنهـا إذا أقبلـت كـانت مقدمتهـا رأس ثـور مخيـف لضخامتهـا. وإذا

---

[1] فن التشبيه، على الجندى، ج٢، ص٣٠٢.

[2] المصدر نفسه.

أدبرت كانت وكأنها قادمتى نسر، وذلك ليصف لنا وصفين فى آن واحد. الفخامة والسرعة، والبيت التالى يصف تحركها وتعامل البحار معها فى وصف فريد، وذلك عندما تواجه البحار صعوبة فى السير نتيجة للصخور الحجرية الموجودة فى البحر، كما يصف أهوال البحر ومحاولة النوتى إنقاذها من أى خطر محاولة مستميتة والسير بها من مكان إلى آخر حتى ينجو بها ويسير إلى بر الأمان، ثم يأتى التشبيه الأخير لـ"مسلم بن الوليد" ليصف لنا سرعتها وخفتها بطائر العقاب الذى سقط من أعلى السماء على وكره، وهذا التشبيه الرائع لاشك أنه استطاع أن يصفها بصفة السرعة كطائر العقاب.

ولذا فقد كانت معانى مسلم أقوى وأدق، وقد تفوق فيها ببراعة ومهارة، حيث وصف أبو نواس سفينه بالعقاب فى تشبيه يقع فى بيتين، بينما وصفها مسلم فى تشبيه يقع فى بيت واحد، وزاد عليه ببيان الارتفاع والمسافة فى قوله : "من هواء على وكر"، من هذا يتضح أن شاعرنا عالج وصف السفينة بجزالة شعرية فى الألفاظ، فكانت أظهر سمة من سماته وأبرز ميزة من ميزاته. ومما هو جدير بالذكر[1] فإن نتاج الشاعر كان معلمًا للبحترى فى محاولاته البارعة وهو يصف سفن الخلفاء وهى تنساح على صفحة دجلة، وسفن الحرب وهى تخوض معركة بحرية رهيبة ضد أسطول الروم، كما كان إمامًا لشعراء الأندلس الذين وصفوا الأساطيل البحرية ذات القطع الضخمة الراسية فى بحر الروم تارة والماخرة عباب المحيط تارة أخرى.

ومن هذا العرض تتضح مقدرة مسلم ودقته فى الوصف، كما اتضحت من قبل الغزليات والخمريات التى عرضنا أوصافه فيها من خلال عطائه الشعرى.

وسننتقل إلى وصف آخر لنقف على عطاء الشاعر وتشبيهاته فى وصف الناقة.

الناقــة :

لقد تقدمت الناقة فى أشعار الشعراء منذ الجاهليين لأنها الوسيلة الوحيدة لهم فى أسفارهم والوصول إلى ممدوحيهم، وقطع الفيافى والقفار، وتحمل مشقة الأسفار البعيدة.

---

[1] الشعر والشعراء فى العصر العباسى، د. مصطفى الشكعة، ص٢٦٥.

وقد استعان مسلم بعدة تشبيهات لوصف الناقة، فنجده قد وصفها بالظبية كما وصفها بالنعام.

أ - السرعة والنشاط :

لقد وصف مسلم ناقته بالضمور والخفة وشبهها بالنعامة، فنسمعه يقول :

كَأَنَّ إِفْلاَتَهَا وَالْفَجْرُ يَأْخُذُهَا ... إِفْلاتُ صَادِرَةٍ عَنْ قَوْسِ حُسْبَانِ[1]

يقول : كأن إفلات هذه الناقة، أى انبعاثها فى السير انبعاث ظبية رماها رامٍ فأخطأها، وقد سمعت وتر القوس وشعرت بالسهم فهى تفر.

فهو يشبه ناقته بها فى السرعة. وقوله : "عن قوس حسبان" يقال لضرب من القسى حسبانيه منسوبة إلى رجل أو بلد، و"صادرة" : راجعة عن الماء، يريد أنها أرادت شرب الماء، فأصابت راميًا تعمدها بسهم فأخطأها، فنفرت مسرعة. وقوله : "والفجر يأخذها" أى كأنها الظبية التى نفرت فى سرعتها عند الفجر، بعدما مشت طول الليل.

وقوله أيضًا :

أَخَذْنَ السُّرَى أَخْذَ الْعَنِيفِ وَأَسْرَعَتْ ... خُطَاهَا بِهَا وَالنَّجْمُ حَيْرَانُ مُهْتَدِ[2]

يقول : أخذت النوق أخذ العنيف والنجم حيران مهتد، أى طال الليل وتوقفت النجوم فى رأى العين كأنها قد تحيرت فلا تخطئ مجاريها.

وقد وفق الشاعر فى بيان تشبيه هذه النوق وسرعتها بسرعة النجم الحيران.

ثم يبين لنا نفس المعنى مع استخدام آخر فى قوله :

بِوَجْنَاءَ حَرْفٍ يَسْتَجِدُّ مِرَاحَهَا ... مِرَاحُ السُّرَى وَالكَوْكَبِ الْمُتَوَقِّدِ[3]

يريد : قطعت الفلاة بناقة "وجناء" أى قوية، "حرف" أى صلبة، و"يستجد مراحها" أى يصيبه جديدًا "مراح السرى" أى سير السرى. يريد : أنها تطرب وتنشط لسير الليل لعادتها لذلك، ومراح الكوكب المتوقد، يريد : سيره عند ضياء الكوكب

[1] الديوان، ص١٢٧.

[2] الديوان، ص٧٤.

[3] المصدر السابق، ص[illegible].

المتوقد، وذلك الذى يضىء ضياءً باهرًا.

فقد شبه سيرها ونشاطها بسير السائرين ليلاً والكوكب يضىء لهم الطريق.

وفى هذا الوصف نسمع زهيرًا يقول فيه :

فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهَا لاَ تُجِيبُنِى   نَهَضْتُ إِلَى وَجْنَاءَ كَالْفَحْلِ جَلْعَدِ[1]

لا تجيبنى يعنى الديار، وجناء : ناقة غليظة ضخمة الوجنات، وجلعد " شديدة، فقد شبه ناقته فى ضخامتها وقوتها بالفحل الشديد، وفى هذا الوصف نسمع أبا نواس يقول :

تَذَرُ الْمَطِىَّ وَرَاءَهَا وَكَأَنَّهَا   صَفٌّ تَقَدَّمَهُنَّ وَهْىَ إِمَامِ[2]

يقول إنها تترك المطايا وراءها وكأنها إمام وذلك لسرعتها وخفتها، وكأنها إمام يتقدم المصلين. وهو تشبيه جيد لأنه قريب.

ويطالعنا ابن المعتز بقوله :

فَهْىَ إِمَامُ الرَّكْبِ فِى ذِهَابِهَا   كَسَطْرِ بِسْمِ اللَّهِ فِى كِتَابِهَا[3]

وتشبيه ابن المعتز مسبوق بأبى نواس فى هذا الوصف إلا أنه زاد عليه فى التشبيه "كسطر بسم الله فى كتابها".

فإذا نظرنا إلى تشبيهات الشعراء السابقين واللاحقين، وجدنا أن مسلمًا تفوق عليهم جميعًا فى تشبيهاته، حيث وصف الفخامة والسرعة فى تشبيه واحد، ووصف الخفة والسرعة أيضًا. وقد أجاد فى تشبيهاته بدقته، ولوحاته البدوية بدقة ومهارة تجعله يتفوق على الشعراء الجاهليين برغم وجوده فى حاضرة الدولة العباسية ينعم بكل ما فيها من أسباب الترف والنعيم بالرغم من هذا وصفها وكأنه يعيش فيها، خصوصًا وصفه للفرس..

---

[1] شرح ديوان زهير، ص٢٢٠، طبع الهيئة العامة للكتاب.

[2] فن التشبيه لعلى الجندى، ج٢، ص٢٤٩.

[3] الديوان، ص٧٧.

الفرس فى تشبيهات مسلم بن الوليد الأنصارى

الفرس من الحيوانات العربية الأصيلة التى طالما تغنى بهـا الشعراء أمثـال عنـترة وكثير من الشعراء الجاهليين لأنه كان يعتبر مفخرة للعربى حتى الآن، وكما أبدع مسلم فى تشبيهاته السابقة نراه يبدع فيقول فى وصف الفرس :

الفــرس :

بِكُلِّ سَـبُوحٍ فِى الْعَجَـاجِ كَأَنَّمَـا تَكَنف عِطْفَيْهَا جَنَاحَا خَـفِيـدِدِ[1]

يقول "بكل سبوح" أى حاربتهم بكل فرس، "سـبوح" سريع كأنـه يسـبح أى يعوم، و"العجاج" الغبار المرتفع، "كأنما تكنف عطفى" هذا الفرس "جناحا الخفيدد" وهو ذكر النعام، شبه الفرس بذكر النعام فى السرعة. وقولـه "تكنـف" يريـد كانتـا كنفين، والكنف : المكان الذى يكتف الإنسان أى يضمه، والعطفان : الجنبان واحدهما عطـف، وقد وفق وأجاد الشاعر فى هذا التشبيه لما فيه من دقة زادت بقول الشاعر "كأنما تكنـف عطفيها جناحا خفيدد".

ونسمع عنترة وهو فارس من فرسان الجاهلية يقول :

وَخَيْلٍ تَحْمِـــلُ الأَبْطَـــالَ شُـعَثًا غَـــداةَ الـــرَّوْعِ أَمْثَالَ السِّـــهَامِ[2]

أمثال السهام : أى ضامرة.

فقد شبه الخيل حاملة الأبطال للمعركة يوم الحرب وتسير بهـم وتقطـع الفيـافى والقفار كالسهم المارق، وهو وصف دقيق أعطانا سرعة وتحمل المشقة لأنها خيول عربية أصيلة. فقد شبه مسلم فرسه بذكر النعام فى السرعة، كمـا شـبه عنـترة فرسـه بالسـهم المارق وكلا التشبيهين كما نرى يجرى فى فلك واحد إلا أن مسلمًا جعل فرسـه يسـرع فى جو مملوء بالغبار مما قوى تشبيهه عن تشبيه عنترة، وهذا لا يعنـى أن عنـترة لم يوفـق، بالعكس وفق وأجاد حيث أن مسلمًا مسبوق به.

---

[1] الديوان، ص٧٧.

[2] ديوان عنترة، ص٦٦، دار صادر بيروت.

الصحراء فى تشبيهات مسلم

وكما أبدع فى تشبيهاته السابقة، أبدع أيضًا فى تصوير الصحراء بما فيها من مخاوف وقفار وسراب، فقد شبه الصحراء بأن على أرجائها حد مبرد، وذلك إدخالاً للفزع على النفس، وإيقاظًا للخوف على قلب الشجاع، ثم شبه الآل كأنها رجال قعود، كل هذه التشبيهات صورها وهو فى أثناء رحلته إلى ممدوحه هارون الرشيد، حتى يشعره أنه تكلف المشقة فى الوصول إليه.

لذا جاء التشبيه مناسبًا وموفقًا فى بيان ما هدف إليه الشاعر، فإذا انتقلنا إلى وصف آخر وهو وصف الصحراء، نرى شاعرنا يقول :

١- وَقَاطِعَةْ رِجْلَ السَّبِيلِ مَخُوفَــةٍ   كَـأَنَّ عَلَى أَرْجَائِهَا حَـدَّ مِبْرَدِ[1]

وقوله :

٢- وَمَجْهَلٍ كاطِّرَادِ السَّيْفِ مُحْتَجِزٍ   عَنِ الإِدْلاَءِ مَسْجُـورِ الصَّيَاخِيـدِ[2]

ويقول فى وصف الآل :

٣- مُؤزرة بالآل فيهـا كأنـهـا   رِجَالٌ قعودٌ فِي مـلاء معضـد[3]

وقوله :

٤- كَـأَنَّ أَعْـلاَمَهـا وَالآلُ يَرْكَبُهَـا   بُدْن تَوَافَى بِهَا نَـذْرٌ إلى عِيـدِ[4]

يصف مسلم بن الوليد الصحراء فى البيت الأول فيقول رب قاطعة رجل السبيل، ويقصد بها القفار التى لا يوجد بها أنيس ويشبهها بأن على أنحائها كحد المبرد، وذلك لعدم ارتيادها.

وفى البيت الثانى، يصف الصحراء مرة أخرى بتعبير آخر، ولو أنه تعبير مولد من التعبير الأول لأنه شبه هذه الصحارى أنها متتابعة كاطراد السيف المحتجز المسجور، أى الموقد. والصيخود : شدة الحر.

---

[1] الديوان، ص٧٤.

[2] المصدر السابق، ص١٥٤.

[3] الديوان، ص٧٥.

[4] المصدر السابق، ص١٥٥.

فكلمة "مجهل" هى القفر الذى لا يهتدى فيه، خصوصًا فى هذا الوقت الذى حدده الشاعر، وهو تعبير موفق لهذا السياق، وأما وصف الشاعر للسراب، فالشاعر قد شبهه فى الصحراء كأن هذه الصحراء والسراب يلعب دوره فيها لبعد المسافة، كأنها رحال جالسين فى ملاء متشابكين، وفى البيت الأخير يشبه الجبال والسراب فوقها كأنها نوق تساق إلى نذر أو إلى عيد لكى تنحر، وهو تشبيه رائع لا شك فيه، مما زاد من جماله أنه من التشبيهات المبتكرة الجديدة.

أما إذا عدنا بالذاكرة إلى شاعر الجاهلية زهير بن أبى سلمى فنجده يقول فى هذا الوصف :

١- قَطَعْتُ إذا مَا الآلُ آضَ كَأَنَّهُ سُيُوفٌ تَنَحَّى نَسْفَةً ثُم نَلْتَقِى[1]

الآل : السراب، وآض : صار، كأنه سيوف : فى بريقه وبياضه ونسفة خطوة، نسف نسفة إذا خطا. يقول : يذهب بريق الآل ثم يعود بريقه وبياضه، يريد : يغيب تارة ويلمع تارة.

يقول : قطعت هذه البيداء فى هذا الوقت وهو الضحى، والآل يكون فى صدر النهار، والسراب بعد الزوال.

فقد شبه الآل إذا اضطرب فى هذه البيداء بسيوف تنفرج ثم تلتقى.

وقوله :

٢- يَخْفِضُهَا الآلُ طَوْرًا ثُمَّ يَرْفَعُهَا كَالدَّوْمِ يَعْمِدْنَ للأشْرَافِ أَوْ قَطَنِ[2]

الآل يرفع الظعن أحيانًا ثم يخفضها، وكذا إذا سار إنسان فى السراب رأيته كأنه يخفضه ويرفعه، والدوم : شجر، المُقْل : ثمر شجر الدوم، والدوم شجرة تشبه النخلة فى حالاتها.

وقد شبه الشاعر الهوادج بشجر الدوم.

والصورتان كما نرى وجهان لعملة واحدة، ولكنه تشبيه موفق لاشك فى هذا.

ويطالعنا الأعشى فى هذا الوصف بقوله :

---

[1] شرح ديوان زهير، ص٢٤٨

[2] شرح ديوان زهير، ص١١٩

١- وَفَـــلاةٍ كَأَنَّهَا ظَهْـــرُ تُـرْسٍ   قَـدْ تَجَاوَزْتُها بِحَـرْفٍ نَعُـوبِ[1]

النعوب : الناقة التي تمد عنقها في سيرها.

فالأعشى يصف الناقة والصحراء، ويشبه الصحراء بأنها حادة كأنها ظهر ترس، ثم يضيف إلى ذلك أنه تجاوزها بناقة سريعة هي التي تمد عنقها في السير دليل على سرعتها وقوتها.

ويطالعنا ذو الرمة بقول في هذا الوصف :

١- كَأَنَّ بِلادَهُـنَّ سَمَـــاءُ لَيْـلٍ   تَكَشَّـفَ عَنْ كَوَاكِبِهَا الغُيُـومُ[2]

فالفلاة تشبه السماء لا من حيث الظباء والنجوم فحسب، بل أيضًا من حيث الغيم، ففي الأرض آفاق تخرج منها هذه الظباء كما تخرج النجوم من غيوم السماء.

وهذا التشبيه رائع كما نرى، يستدعي إعمال الذهن حتى تصل منه إلى الغرض الذي أراد الشاعر أن يصفه لنا في هذه الصورة.

فإذا نظرنا إلى تشبيهات هؤلاء الشعراء في وصف الصحراء نجد أن شاعرنا قد تفوق عليهم بدقة وصفه وجزالة ألفاظه التي توحي أنه عاش حياته في البداوة وليس في حضارة الدولة العباسية.

---

[1] ديوان الأعشى، ص٢٦، دار صادر بيروت.

[2] الديوان، ص٥٨٩، نقلاً عن التطور والتجديد في الشعر الأموي، د. شوقي ضيف

الفصل الثالث

منازع التشبيه عند مسلم بن الوليد

لقد كان مسلم دقيقًا فى تناوله للتشبيه من حيث صوره وموضوعاته، كما وضحت فى الفصلين السابقين.

فقد لاحظ السياق مى اختيار صور التشبيه من إفراد وتركيب وتعدد، كما لاحظ سياق المعنى ودقائقه الخفية، فاختار المشبهات بها المناسبة لتلك المعانى، حتى إنه لحق بركب الفحول القدماء من حيث تناوله لهذه المعانى، كما امتازت تشبيهاته بجزالة الألفاظ ورقة المعانى.

فإذا نظرنا إلى العناصر التشبيهية عنده، وجدنا أنه أفاد إفادة كبرى من عطاء الشعراء السابقين له فى استمداد عناصر كثيرة من البيئة القريبة التى يعيش فيها سواء كانت طبيعية أم غيرها.

وبجانب هذا، فقد أفاد من وجوده بجانب قصور الخلفاء والأمراء، فألم بأشياء وخبرات ظهرت فى شعره بصورة كبيرة أيضًا.

والآن سوف نعرض لهذه العناصر لنرى كيف ألم مسلم بها وأثبت براعته فى كل منها.

١- العناصر المستمدة من البيئة

لقد استمد مسلم بن الوليد عناصره التشبيهية من البيئة التى يعيش فيها، وكما يقولون إن الشاعر ابن بيئته، وهذا شىء طبيعى عند معظم الشعراء لأن كل شاعر يكون صوره من وحى معارفه الإنسانية وثقافته بجانب البيئة المحيطة بها، ولذلك فالطبيعة لها أكبر الأثر على الإنسان من جميع نواحيه، ولكل بيئة تعبيراتها الخاصة بها :

فنجد أن البيئة الصحراوية تعبر عن نفسها بكنوزها الموجودة فيها من رمال وتلال وخيام وإبل ونوق وخيول، وما إلى ذلك من حيوانات وحنوة وعرار.

كما أن البيئة الزراعية تعبر عن نفسها بما فيها من رياض وزهور وورود وياسمين، فالطبيعة فيها تكون خصبة وسخية تجود بما فيها على قرائح الشعراء.

ويقول ابن طباطبا[1] : إنه لا يرى الشعر شيئًا منفصلاً عن البيئة والمثل الأخلاقية، فهو القائل إن للعرب طريقة فى التشبيه مستمدة من بيئتهم لأن صحونهم

---

(1) تاريخ النقد الأدبى عند العرب، د. إحسان عباس، ص١٣٤، بيروت.

البوادى وسقوفهم السماء، فليست تعدو أوصافهم ما رأوه منها وفيها، وفى كل واحدة منها فى فصول الزمان على اختلافها، وأيضًا بما هو موجود فى الطبيعة من ماء وهواء ونار وجبل ونبات وحيوان وجماد، وناطق، وصامت، ومتحرك وساكن، وكل متولد من وقت نشوئه وفى حال نموه إلى حال انتهائه. ويقول أيضًا[1] مثل عليا هى متكأهم فى المدح والهجاء، منها فى الخَلق : الجبال والبسطة، ومنها فى الخُلق : الشجاعة والحلم والحزم والعزم والوفاء والعفاف والبر والعقل والأمانة، فهذه مما يُمدح به كما أن أضدادها تصبح موضوعًا للهجاء.

كما أن للعرب[2] طريقة خاصة فى التشبيه من وحى بيئتهم ولهم مقاييس يعتمدونها فى المدح والذم.

ولذلك فقد تختلف الصور باختلاف الشعراء واختلاف أزمانهم وأماكنهم.

وقد ظهر هذا بوضوح لدى شاعرنا فقد خلعت عليه البيئة من صفاتها الكثير، وبالرغم من هذا فقد رأيناه متمسكًا بالقديم أيضًا، وقد ظهر ذلك فى صوره التى انتزعها من البيئة البدوية، وهذه الصورة قد سبقه فيها شعراء الجاهلية والإسلام والعصر الأموى مثل زهير بن أبى سلمى، وامرئ القيس، وعبيد بن الأبرص، فنراه قد اقتفى أثرهم مع تغيير فى صوره. كذلك ما نراه عنده من صور انتشرت بشكل خاص فى العصر الأموى عند الشاعر عمر بن أبى ربيعة والوليد بن يزيد فى وصفهم للخمر خصوصًا والمرأة عمومًا.

ثم هو بعد ذلك يجرى فى مضمار الشعراء المعاصرين له كبشار بن برد وأبى نواس وغيرهم.

وهذا الفصل كانت أغلب عناصره حسية والقليل منها عقلى، وذلك لبيان الصورة ووضوحها فى التشبيهات الحسية.

أ - البيئة الطبيعية :

لقد كان للطبيعة أكبر الأثر فى تكوين عناصر التشبيه عند مسلم بن الوليد، فألم بما فيها من طبيعة حية متحركة، وطبيعة حية غير متحركة وطبيعة صامتة.

---

[1] تاريخ النقد الأدبى عند العرب، د. إحسان عباس، ص١٣٥، بيروت.

[2] نفس المصدر السابق، وانظر عيار الشعر، ص٥.

١- الطبيعة الحية المتحركة :

لقد كان للطبيعة الحية المتحركة الأثر الكبير فى تكوين عناصر تشبيهات الشاعر، فقد وصف معظم ما فيها من حيوانات بأنواعها تقريبًا.

فقد أعجبه الغزال بأنواعه، فتارة يشبه صاحبته بالغزال، وتارة يشبهها بالريم، ومرة أخرى يشبهها بالخذول، وأخيرًا يشبهها بالرشا الطفل. فقال :

أَتَتْنِى عَلَى خَوْفِ الْعُيُونِ كَأَنَّهَا ... خَذُولٌ تُراعِى النَّبْتَ مُشْعَرَةً ذُعْرَا[١]

وَدَارَت عَلَيْنَا الْكَأسُ مِنْ كَفِّ طَفْلَةٍ ... مُبْتَلَّةٍ حَوْرَاءَ كَالرَّشَاءِ الطِّفْلِ[٢]

وقوله أيضًا :

وَسَاقِيَةٍ كَالرِّيمِ هَيْفَاءَ طَفْلَةٍ ... بَعِيدَةِ مَهْوَى الْقُرْطِ مُفْعَمَةِ الْحِجْلِ[٣]

وقوله أيضًا :

عِنْدَ "الخرَيْبَةِ" غِيدٌ قَدْ صَبَوْنَ بِنَا ... مِثْلُ الْمَهَا فِى رِيَاضٍ حَوْلَهَا الْعُشْبُ[٤]

الخريبة : موضع بالبصرة.

فقد تفنن مسلم فى وصف صاحبته، فمرة يقول إنها خذول : غزالة تخلفت عن القطيع، ومرة يقول إنها حوراء كالرشا الصغير، كما يصفها بأنها الريم، وأخيرًا يقول إنها مثل المها، كل هذه الأوصاف التى انتزعها من البيئة كانت فى سبيل أن يعدد مواطن الجمال فيها ليأخذ جمال العيون من المها، ويأخذ الرشاقة والخفة من الرشاء الصغير كذلك جمال العيون ويأخذ الجمال من الريم عمومًا.

وفى هذه الأوصاف نرى زهيرًا يسبقه بقوله :

تَنَازَعَهَا الْمَهَا شَبَهًا وَدُرَّاكَ ... بِحُورٍ وَشَاكَهَتْ فِيهَا الظِّبَاءُ[٥]

---

[١] الديوان، ص٤٥.

[٢] نفس المصدر السابق، ص٤٠.

[٣] نفس المصدر السابق، ص٤٢.

[٤] نفس المصدر السابق، ص٢٢٦.

[٥] ديوان زهير السابق، ص٦١.

كما نجد شاعرًا آخر وهو عبيد بن الأبرص يقول :

وَإذْ هِيَ حَوْرَاءُ الْمَدَامِعِ طَفْلَةٌ ... كمِثْلِ مَهَاةٍ حُرَّةٍ أُمِّ فَرْقَدِ[1]

فنجد أن الشعراء جميعًا قد أخذوا عناصرهم من الطبيعة، إلا أن مسلمًا مسبوق بكل من زهير وعبيد بن الأبرص، كما نجدهما يتفوقان عليه من حيث إن الأول جاء بتشبيه مقلوب مما يدل على المبالغة فى الصفة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد أصاب بتشبيهه صفتين هما المها فى جمال العيون، والظباء فى الحركة والرشاقة وطول العنق.

كما أن الثانى نجده قد أصاب تشبيهين فى بيت واحد، الأول تشبيه صاحبته بحور فى العين، وهو جمال معروف بشدة السواد مع شدة البياض مما يزيد جمال العين، والثانى تأكيد للأول وهو مثل المهاة أيضًا فى جمال العيون.

ولو أن شاعرنا لم يقصر فى تناول وصف المرأة من رأسها إلى قدمها وصفًا دقيقًا حسيًا يُظهر اهتمامه بوصف الجزئيات كما فعل الشعراء السابقون.

فإذا تتبعنا هذه الأوصاف نجد أن الشاعر عمر بن أبى ربيعة يقول :

كَأَنَّ أَحْوَرَ مِنْ غِزْلَانِ ذِي بَقَرٍ ... أَهْدَى لَهَا شَبَهَ الْعَيْنَيْنِ والْجِيدَا[2]

وَاضِحِ اللَّبَّةِ والسُّنَّةْ ... كَالظَّبْيِ الرَّبِيبِ[3]

آنسات عَقَائِلٍ ... كَالظِّبَاءِ الرَّبَائِبِ[4]

فكما نرى، لم تخرج تشبيهات عمر بن أبى ربيعة عن الطبيعة الماثلة أمامه. ومن الحيوانات التى أعجب بها مسلم كذلك وأخذ عنصره منها : الأسد، فقد أعجب بشجاعته وقوته على الرغم من أنه حيوان مفترس، وهذه الصفة هى التى جعلت الشعراء يتناولونه فى تشبيهاتهم.

---

[1] شرح ديوان عبيد بن الأبرص، ص٦٥، دار صادر بيروت.

[2] ديوان عمر بن أبى ربيعة، ص٥٣، دار المعارف.

[3] نفس المصدر السابق، ص٢٧.

[4] نفس الديوان السابق، ص١٤.

فقال مسلم بن الوليد فى وصف ممدوحه

وكَأَنَّ ليْثَ الغَابِ فِى إقْدَامِهِ ... يَوْمًا رآكَ تُرِيدُه فَحَكَاكَا[1]

وقوله أيضًا :

كَاللَّيْثِ بَلْ مِثْلُهُ اللَّيْثُ الْهَصُورُ إذا ... غَنَّى الْحَدِيدُ غِنَاءً غَيْرَ تَغْرِيدِ[2]

وقوله أيضًا :

تَلْقَاهُ فِى الْحَرْبِ الْعَوَانِ مُشَمِّرًا ... كَاللَّيْثِ يَجْمَعُ حَوْلَهُ أشْبَالا[3]

ومسلم يصف ممدوحه بالشجاعة فى البيت الأول، فيشبه الأسد به على سبيل التشبيه المقلوب زيادة للمبالغة فى صفة الشجاعة.

وفى البيت الثانى يشبه ممدوحه بالأسد، ولكنه يعود فيشبه الأسد به أيضًا على سبيل التشبيه المقلوب للمبالغة. أما البيت الثالث، فيشبه ممدوحه وهو فى الحرب الشديدة يشمر عن ساعده فى قوة وشجاعة كالليث الذى يجمع أطفاله حوله، وقد وفق مسلم فى تشبيهاته من حيث جزالة الألفاظ وقوتها، فإذا عدنا إلى الجاهليين نرى زهيرًا يقول فى هذا الوصف :

وَلأَنْتَ أشْجَعُ حِينَ تَتَّجِهُ الـ ... أبْطَالُ مِنْ لَيْثٍ أبِى أجْرِ[4]

كما نرى "عبيد بن الأبرص" يقول :

فى أُسْرَةٍ يَوْمَ الْحِفَاظِ مَصَالِتٍ ... كَالأُسْدِ لا يُنْمَى لَهَا بفَرِيسِ[5]

المصاليت : الشجعان الماضون فى الحوائج، ينمى : من قولهم أنمى الصيد؛ رماه فأصابه ثم ذهب عنه فمات. الفريس : القتيل المفترس. الأسرة : الجماعة، والحفاظ : المحافظة على القتال، وهى الحمية. والأسرة أيضًا العشيرة، والحفاظ أيضًا الغضب. الفريس ما افترسته، وهو دق العنق.

---

[1] ديوان مسلم بن الوليد، ص٩٨

[2] نفس المصدر السابق، ص١٥٩

[3] نفس المصدر السابق، ص٢٠٦

[4] شرح ديوان زهير، ص٩٤.

[5] ديوان عبيد بن الأبرص، ص٨٠، دار صادر بيروت

وقال أيضًا أوس بن حجر فى هذا الوصف :

وَإِنَّ أَبَا الصَّهْبَاءِ فِى حَوْمَــةِ الْوَغَــى إذا ازْوَرَتْ الأَبْطَالُ لَيْثُ مُحرِّبِ[1]

فإذا نظرنا إلى تشبيهات هؤلاء الشعراء وجدناها جميعًا مأخوذ عنصرها من الطبيعة الحية، فشبهوا الممدوح بالأسد، وجعل زهير ممدوحه أشجع من الأسد فى استخدامه أفعل التفضيل كأداة للتشبيه، كما شبه عبيد ممدوحه فى شجاعته أيضًا بالأسد فى إصابته الهدف، كما جعل أوس بن حجر ممدوحه فى الحرب أسدًا.

وتبعهم مسلم فى استخدام هذا العنصر ولكن بشىء من المبالغة حين استخدم فى تشبيهين له التشبيهات المقلوبة التى تزيد من قيمة التشبيه البلاغية، وذلك لما فيها من مبالغة.

ومن الحيوانات الموجودة والتى أخذ مسلم عنصره منها الثور الوحشى، فقد أعجب بقوته وضخامته، ولذلك شبه سفينته به، فقال :

إِذَا أَقْبَلَتْ رَاعَــتْ بِقُنَّةِ قَرْهَــبٍ وَإِنْ أَدْبَرَتْ رَاقَتْ بِقَادِمَتَىْ نَسْـرِ[2]

فالشاعر يشبه مقدمة سفينته برأس الثور المسن المخيف فى قوتها وضخامتها.

وقد سبقه زهيرًا بقوله فى وصف الثور الوحشى :

كَأَنَّ كُــورِى وَأَنْسَاعِــى وَمِيثَرتِــى كِسْوَتُهُنَّ مُشِبًّا نَاشِــطًا لَهَقَـــا[3]

الكور : الرحل، وجمعه أكوار، وأنساعه : التى يشد بها رحله، والميثرة : ما وثر به الرحل، والجمع مآثر، فمن ترك الهمزة قال : مياثر ومواثر، والمشب : الثور المسن، وقال بعضهم : هو الذى قد أشب أولادًا أى شب له أولاد. وناشط : الثور قد نشط من بلد إلى بلد : خرج إليها.

كما قال عبيد بن الأبرص :

وَكَــأَنَّ أَقْــتَادِى تَضَمَّــنَ نِـسْعَـهَا مِنْ وَحْـشِ أَوْرَالٍ هَـبِيطٌ مُفْــرَدُ[4]

---

[1] ديوان أوس بن حجر، ص٦٧.

[2] مسلم بن الوليد، ص١٠٧.

[3] ديوان زهير بن أبى سلمى، ص٤٢، ٤٣.

[4] عبيد بن الأبرص، ص٥٩.

الأقتاد : الواحد قتد : خشب الرحل. النسع : حبل طويل تشد به الرحال. الهبيط : المهزول الضامر. وفى الديوان أنه الثور الذى يهبط من مكان إلى مكان مثل الناشط يشبه ناقته به ليبين سرعتها وقوتها (أورال موضع، ومفرد : يرعى وحده).

وكما هو واضح أن هؤلاء الشعراء أخذوا هذا العنصر من الطبيعة الحية خشية كل من زهير وعبيد بن الأبرص الناقة بالثور الوحشى، ما عدا مسلم، فقد شبه مقدمة سفينته برأس الثور الوحشى المسن. وهذا أثر البيئة التى عاش فيها الشاعر، وقد كان موفقًا، كما أجاد الشاعران اللذان سبقاه إلى هذا المعنى. وتبقى لمسلم فضيلة اختراع هذا التشبيه من وحى بيئتين : البيئة القديمة وثقافته فيها والبيئة الجديدة التى يعيش فيها أيضًا.

ومن الحيوانات التى أعجب بها مسلم بن الوليد "الجمل"، فأعجب به وهو ذبيح، ولذلك نراه يشبه لونه بلون الخمر فى قوله :

كَأَنَّ فَنِيقًا بَازِ لاَ شُكَّ نَحْرُهُ ... إذا مَا اسْتَدَرَّتْ كَالشُّعَاعِ عَلَى البَزْلِ[1]

فقد شبه مسلم لون دم الفنيق المذبوح بلون الخمر إذا ما انعكست عليها أشعة الشمس، وقد سبقه فى هذا الوصف الأعشى، فقال :

كَأَنَّ شُعَاعَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِيهَا ... إذَا مَا فُضَّ عَنْ فِيهَا الْخِتَامَا[2]

وَسَبِيئَةٍ مِمَّا تُعَتِّقُ بَابِلُ ... كَدَمِ الذَّبِيحِ سَلَبْتها جِرْيَالَهَا[3]

فالأعشى يشبه لون الخمر بلون دم الذبيح، فكلا الشاعرين قد انتزع عنصره من وحى الطبيعة الحية، وكل منهما استخدم شعاع الشمس فى تشبيهه ليزيد به اللمعان.

وتشبيه مسلم أقوى من تشبيه الأعشى حيث أتى بأوصافه فى بيت واحد، بينما الأعشى جاء بأوصافه فى بيتين، وأقول إنه ليس لمسلم فضيلة سوى اختراعه الطريقة التى اختزل بها معانى الأعشى وهو مسبوق به، ولذا جاء المعنى دقيقًا رائعًا.

---

[1] مسلم بن الوليد، ص٣٩.

[2] فن الشعر الخمرى وتطوره عند العرب، إيليا حاوى، ص١٠٣، طبع دار الثقافة، بيروت.

[3] ديوان الأعشى، ص٥٠ ؛

وكما أعجب مسلم بهذه الحيوانات، أعجب أيضًا بكثير من الطيور الموجودة في عصره واستمد بعض عناصره منها، فقد أعجب بالنعام لسرعته وخفته، لذلك فقد شبه فرسه بها، فقال :

بِكُلِّ سَبوحٍ في العجاج كأنما ... تَكنف عطفيها جناحا خفيدد[1]

فقد شبه فرسه في المعركة وتحت غبار الحرب بأنها لسرعتها نعامة في خفتها وسرعة طيرانها.

وإذا كان مسلم قد شبه فرسه بذكر النعام في الخفة والسرعة، فقد سبقه إلى هذا الوصف عبيد بن الأبرص مع تغيير قام به مسلم، إلا أنهما أخذا هذا العنصر من الطبيعة الحية أيضًا، وعبيد بن الأبرص يقول في هذا الوصف :

وَالعِيسُ مُدْبِرَةٌ تَهْوِي بِأَرْكُبِهَا ... كَأَنَّهُنَّ نَعَامٌ نُفَّرٍ مُعَطُ[2]

تهوى : تسرع، المعط : التي نتف ريشها، وقوله : نعام معط شبه الجمال بها والجمال لا ريش لها.

كذلك سبق مسلمًا زهير بتشبيه الناقة بالنعام، فقال :

كَأَنِّي وَردفي وَالْفِتَانَ وَنُمْرُقِي ... عَلَى خَاضِبِ السَّاقَيْنِ أَزْعَرَ نَقْنَقِ[3]

فقد شبه ركوبه على ناقته وسرعتها به كأنه يركب نعامة من السرعة والخفة، وكما هو واضح من التشبيهات السابقة، فإن الشعراء جميعًا قد انتزعوا عناصرهم من الطبيعة بما فيهم مسلم، وبينما كل من الشاعرين زهير وعبيد شبها الناقة بالنعام في الخفة والسرعة، شبه مسلم فرسه بالنعامة، فقد استفاد منهم وجوّد في الصورة إلا أنها أيضًا مأخوذة من الطبيعة الحية والبيئة التي يعيش فيها الشاعر. كذلك شبه إدبار السفينة بقادمتي النسر، فقال :

إِذَا أَقْبَلَتْ رَاعَتْ بِقُنَّةِ قَرْهَبٍ ... وَإِنْ أَدْبَرَتْ رَاقَتْ بِقَادِمَتَيْ نَسْرِ[4]

---

[1] ديوان مسلم بن الوليد، ص٧٧.

[2] ديوان عبيد بن الأبرص، ص٩٢.

[3] شرح ديوان زهير، ص٢٤٨.

[4] الديوان، ص١٠٧.

ولم ينسَ أن يشبه سفينته فى سرعتها وكأنها طائر العقاب، فقال :

فَحَامَتْ قَلِيلاً ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَا عُقَابٌ تَدَلَّتْ مِنْ هَوَاءٍ عَلَى وَكْرِ

وبهذا يكون مسلم قد سار على نهج الشعراء السابقين له مع استمداده عناصره من الطبيعة الحية المتحركة، خصوصًا الحيوانات والطيور. كما شبه ناقته فى سرعتها وخفتها بطائر يشبه القطا، وهو طار السمام، فى قوله :

مثل السمام بعيدات المْقيل إذا ألقَى الهَجيرُ يَدا فى كل ميخود[1]

وقد سبقه إلى معظم هذه العناصر شعراء آخرون كذلك فقد أفاد منهم فى تأثيره بالطبيعة الحية المتحركة، ولكن لوجوده فى حاضرة الدولة العباسية كان يضيف الجديد لعناصره فيكسبها كثرة من التفاصيل فتعطيها قوة ودقة، هذا بجانب استخدامه للألوان البلاغية والبديعية بكثرة.

٢- الطبيعة الحية غير المتحركة :

وكما أعجب مسلم بالحيوانات والطيور فوصفها وأخذ عناصر تشبيهاته منها، فنجده كذلك قد أعجب بما فى بيئته من نباتات وأشجار، واستمد منها بعض عناصره التشبيهية، فقد جذب زهر الرمان نظر مسلم بما له من طيب الرائحة ولون جذاب، لذلك شبه به وجنتى صاحبته، فقال :

وَأَحْوَرَ وَسْنَانَ ذِى غُنَّةٍ كَأَنَّ بِوَجْنَتَيْهِ الْجُلَّنَارا[2]

والجلنار : هو زهر الرمان.

وكما هو واضح من التشبيه أن عناصره قد استمدت من الطبيعة الحية غير المتحركة، وقد وفق فى تصويره. كذلك من النباتات التى كان مسلم شغوفًا بها المسك ونبات القرنفل والعنبر الهندى، فقد شبه بها رائحة الخمر فقال :

كَأَنَّمَا ضُمِّنَتْ مِسْكًا يَفُوحُ بِهِ أَوْ عَنْبَرِ الهِنْدِ أَوْ طِيبًا مِنَ السَّخَبِ[3]

---

[1] نفس المصدر السابق، ص٩١.

[2] نفس المصدر السابق، ص٨٩.

[3] الديوان، ص٢١٠.

والسخب : حب القرنفل.

فالشاعر قد خرج وجدد فى رائحة خمرته بما يتناسب والطبيعة التى وجد فيهـا، والبيئة التى يعيش فيها أيضًا. وقد وفق فى استخراج عناصر تشبيهاته منها.

ومن الأشجار التى اشتهرت بالجمال والاستواء شجر البان، فنراه يشبه بها خلق صاحبته، فيقول :

وَخَـلْقِـى مِسْكَـــة عُجِنَــتْ بِبَانٍ فَلَسْتُ أُرِيدُ طِيبًا غَـيْـــرَ طِيبِى[1]

فهو يستمد عناصره التشبيهية من هذه الطبيعة التى انتزع منهـا اللـون الأسـود للمسك والأبيض من شجر البان. ومن المناظر الطبيعية التى رآها الشاعر فأعجب وشبه بها، قوله فى مزج الخمر النرجس الغض.

مُزِجَتْ وَلاَوَذَهَا الْحَـبَابُ فَحَاكَهَـا فَكَأَنَّ حِلْيَتَهَا جَـنـىُ النَّرْجِـسِ[2]

فقد شبه خمرتـه عنـد مزجهـا وظهـور الفقعـات علـى حافـة الكـأس بـالنرجس الأبيض الغض فى مقداره ولونه، وهذا التشبيه استمد عناصره مـن الطبيعـة الحيـة غـير المتحركة، وقد وفق فيها.

ويستمد مسلم من لون الورد عنصرًا يشبه به حرارة ولهيب الخمر، فيقول :

فَأَغْضَتْ وَلِلأَكْوَاسِ فِى وَجْـهِ رَبِّهَـا لَهِيبٌ كَلَوْنِ الْوَرْدِ أَوْ هُـوَ أَضْـرَمُ[3]

فقد أبدع مسلم وأجاد فى تشبيهاته التى استمد عناصرها من طبيعة البيئة التـى يعيش فيها، ونقلنا من شـجر الـدوم وحـب الفنـا والحنـوه والعـرار إلى الـورد والـنرجس والمسك والعنبر وحب القرنفل. وهى لوحات مستوحاة من الطبيعة الحية غـير المتحركـة والتى رآها الشاعر فأعجب بها ونقلها لنا، ولاشـك أنـه أجـاد فـى تعبيراتـه التـى أداهـا بمهارة ودقة خصوصًا التشبيهات التى كان مسبوقًا فيها بالشـعراء الجـاهليين أمثـال زهـير والأعشى ولبيد وغيرهم، والذى أفاد منهم إفادة تامة.

---

[1] نفس المصدر السابق، ص١٩٢.

[2] نفس المصدر السابق، ص١٣٢.

[3] نفس المصدر السابق، ص١٨٠.

٣- الطبيعة الصامتة :

فكما لاحظ مسلم الطبيعة الحية المتحركة، والطبيعة الحية غير المتحركة، لاحظ كذلك الطبيعة الصامتة، فجال بنظره فى السماء وجذب اهتمامه المطر والغمام والسحاب. كذلك نظر بنظرة فاحصة وراعه ما فيها من بحار وكثبان وسهول وغيرها.

فأعجب بمنظر الجبال فى صلابتها ولذلك شبه به أخلاق ممدوحه فقال :

إِذَا ضُيِّعَ الرَّأْىُ اسْتَشَفَّ كَأَنَّهُ ... شَوَاهِقُ "رَضْوَى" لَيْسَ فِي خُلْقِهِ دَخْلُ[1]

رَضوى : جبل بالمدينة. والدخل : العيب، وقيل : الداء أو الريبة.

وقوله أيضًا :

لَوْ لَمْ تَكُونُوا "بَنِي شَيْبَانَ" مِن بَشَرٍ ... كُنْتُمْ رَوَاسِي أَطْوَارٍ وَأَعْلَامَا[2]

وقوله أيضًا فى هذا الوصف :

لِلَّهِ مِن هَاشِمٍ فى أَرْضِهِ جَبَلُ ... وَأَنْتَ وَابْنُكَ رُكْنَا ذَلِكَ الْجَبَلِ[3]

فقد استمد مسلم عناصر تشبيهاته من الطبيعة الصامتة وهى الجبال، وأخذ يعدد ما فيها، ففى البيت الأول يقول إن رأى ممدوحه رأى سليم ليس فيه أى عيب كما أنه رأى جاد لا يحيد عن الحق مثله فى ذلك مثل جبال رضوى الموجودة فى المدينة.

وفى البيت الثانى يبالغ فى صفة مدح بنى شيبان ويقول إنكم لو لم تكونوا من البشر لكنتم من الجبال الرواسى، أما البيت الثالث فيمدح هذا الممدوح بقوله لله فى أرضه جبل فسوف تكون أنت وابنك الركن الأساسى له. وجاء بالتشبيه مؤكدًا بدون أداة ليبين أن المشبه هو عين المشبه به ولا فرق بينهما.

وإذا كانت هذه التشبيهات لمسلم فقد سبقه فيها كل من عبيد بن الأبرص وزهير بن أبى سلمى وغيرهما لكن مسلمًا أخذ وتصرف فيها وجدد فى صوره حسبما رآه مناسبًا فى موقعه فقد شبه زهير الكتيبة بالجبل فى قوله :

---

(١) الديوان، ص٢٦٧.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٦٨.

(٣) نفس المصدر السابق، ص٢٢.

هُمْ ضَرَبُوا عَنْ فَرْجِـهَا بِكَتِيبَـةٍ   كَبَيْضَاء حَرْسٍ فِي طَوَائِفِهَا الرَّجْلُ[1]

الفرج موضع المخافة، والفرح والثغر واحد، وحرس : جبل، وبيضاء حرس: شمراخ منه.

والمعنى أنهم ضربوا هذه الكتيبة بما فيها الرؤوس أى القوة التى تشبه بيضاء حرس وهى الرأس المستدير الموجود فى أعلى الجبل.

وقد استمد مسلم من الكثيب الرملى بعض صوره التشبيهية فقال :

كُثْبَانُ رَمْلٍ إذَا ارْتَجَّـتْ أَسَافِلُهَـا   مَالَتْ بِأَثْمَارِهَا مِنْ فَوْقِهَا الْقُضُبُ[2]

فالشاعر يشبه أسفل هذه الفتاة بالكثبان الرملية وأعلاها بالشجر المستوى مثل القضيب.

أما عبيد بن الأبرص فقد سبقه إلى أخذ هذا العنصر فشبه به حماره فقال :

عَيْرَانَـةٌ مُؤْجَـدٌ فَقَارُهَـا   كَـأَنَّ حَارِكَهَـا كَثِيـبُ[3]

العيرانة التى تشبه العير أى الحمار الوحشى فى سرعتها، المؤجد : الموثق، فقارها : خرز ظهرها. حاركها : سنامها، الكثيب : التل من الرمل. فقد شبهها بالحمار فى سرعتها. والكثيب رمل لينة ليست بالعظيمة يُشبه بها أعجاز النساء كثيرًا.

فكما نرى أن الصورة مستمدة من الطبيعة الصامتة إلا أن مسلمًا جدد فيها عن شعر القدماء، ولو أنه استفاد من سابقيه أمثال عبيد بن الأبرص وزهير بن أبى سلمى وغيرهما. وقد توقف مسلم بن الوليد عند منظر المطر وهو يندفق بشدة من السماء فيحرك كل ما أمامه ولذلك نجده يشبه جود الممدوح بالمطر الغزير فيقول :

وَكَأَنَّمَا ذَرَفَـتْ عَلَيْـكَ بِجُـودِهِ   دِيَـمٌ تَرَنَّـمُ تَحْتَهَا شُـؤْبُوبُ[4]

الشؤبوب: هو المطر الغزير المتتابع. أما زهير فقد سبقه إلى هذا الوصف فقال :

---

[1] شرح ديوان زهير، ص١٠٧.

[2] الديوان، ص٢٢٦.

[3] ديوان عبيد بن الأبرص، ص٢٧، دار صادر بيروت.

[4] ديوان مسلم بن الوليد، ص١١٩.

فمـا تـبع آثار الشـــياه وليدنـــا كشؤبوب غيث يحفش الأكم وابلـه[1]

يحفش : يسيل ويخرج. فقد شبه فرسه فى قوته واندفاعه بالشؤبوب. فإذا نظرنا إلى التشبيهين وجدناهما مأخوذين من عنصر واحد، إلا أن مسلمًا قد حدد اللفظ ووظفه فى معنى من معانى الكرم للممدوح، وبهذا يكون قد حدد فى هذه الصورة، كذلك نجد أن مسلمًا لاحظ السيل الجارف وما يكون منها من آثار تأتى بالخير والنماء بما تعطيه شبه عطاء الممدوح بها، فقال :

كَحَمْلَةِ السَّيْلِ تَأْتِى بَعْدَ عَاشِـــرَةٍ لَهُ قَراقِيـرُ بالأذَى والزَّبَـــدِ[2]

وقوله أيضًا فى الشجاعة للممدوح مستفيدًا من هذا العنصر :

يَلْقَى الْمَنِيَّةَ فِى أَمْثَـالِ عُـدَّتِهَـــا كَالسَّيْلِ يَقْذِفُ جُلْمُـودًا بِجُلْمُـودِ

فكأن مسلمًا يجدد فى معانيه مستخدمًا مادة خام واحدة، وقد أجاد فى كلا التشبيهين واضعًا كل تشبيه فى موضعه من الدقة والروعة. وإذا كان مسلم بن الوليد قد أعجب بالسيل والمطر الشؤبوب فقد راعه منظر السحاب الأبيض، فأخذ هذا العنصر وقال فيه فى صفة الجود :

يُمْنَى يَدَيْكَ لَنَا جَـــدْوَى مُطَبِّقَـــة هَذا السَّحاب بِأَعْلَى الأُفْقِ يَحْكِيها[3]

وقد جاء التشبيه فى دقة تامة وتوافق عجيب، خصوصًا أن الشاعر قلب التشبيه وجعل السحاب هو الذى يحاكى الممدوح وليس العكس. وذلك مبالغة منه فى قيمة جود الممدوح.

وقد سبقه إلى التشبيه بالسحاب زهير، فشبه به البقرة فى لونها الأبيض، فقال :

وَتَـيَمَّمَـتْ عُـــرْضَ الْفَـــلاَةِ كَأَنَّهَـا غرَّاءُ مِنْ قِطَعِ السَّحَـابِ الأَقْـهَـدِ[4]

وكما هو واضح، فكلا الشاعرين استمد عنصره من وحى الطبيعة واستخدمها استخدامًا يختلف عن الآخر. وقد جاء كل تشبيه منهما فى موقعه موفقًا.

---

[1] ديوان زهير، ص١٣٥.

[2] الديوان، ص٨٥.

[3] نفس المصدر السابق، ص٢١٨.

[4] ديوان زهير، ص٢٧٥.

ومن المناظر الطبيعية التى أثرت فى شاعرية مسلم منظر البحر وهو يفيض بالماء ولذلك نجده يشبه جود الممدوح فى كثرة عطائه به. فيقول :

هُوَ البَحْرُ يَغْشَى سُرَّةَ الأَرْضِ سَيْبُهُ وَتُدْرِكُ أَطْرَافَ البِلاَدِ سَوَاحِلُهُ[1]

وقوله أيضًا :

إِنَّ الرِّفَاقَ أَتَتْكَ تَلْتَمِسُ الغِنَى وَالبَحْرُ لَوْ يَجِدُ السَّبِيلُ أَتَاكَا[2]

ففى البيت الأول شبه ممدوحه بالبحر الذى يعم فيضه جميع الأرض من أدناها إلى أقصاها دلالة على أن البعيد والقريب يعرف كرمه مثل فيض البحر يعم ويفيض بما له من نفع وخير، وفى البيت الثانى يقلب التشبيه ويعتبر الممدوح أصلاً فى الكرم والبحر فرعًا له، وذلك لبيان قيمة التشبيه البلاغية، وزيادة فى المبالغة.

وقد سبق زهير فى انتزاعه عنصره من الطبيعة، فقال :

يَنْزِعْنَ إِمَّةَ أَقْوَامٍ لِذِى كَرَمٍ بَحْرٍ يَفِيضُ عَلَى العَافِينَ إِذْ عَدِمُوا[3]

الإمة: النعمة، العافى: الذى يأتيك يطلب ما عندك، وجعله بحرًا لكثرة عطائه، وقوله لذى كرم، أى نزع الخيل نعم أقوام هذا الممدوح أى تغير عليهم فتسلبهم نعمهم وتحوزها له.

وكما هو واضح فقد استمد الشاعران عنصرهما من الطبيعة وكل منهما استخدمه استخدامًا موفقًا. مما تقدم نستطيع القول بأن شاعرنا ألم بكثير من مناظر الطبيعة الساكنة واستمد منها عناصره وقد سبقه فى استخدامها كثير من الشعراء، إلا أننا نقول إنه تفوق بتجديده فى هذه الصورة المستمدة من عناصرهم، فوفق وأجاد.

ونلاحظ أنه كان متأثرًا بسابقيه فى الطبيعة الحية المتحركة وبعض صور الطبيعة الحية غير المتحركة، أما الطبيعة الصامتة فقد اقتفى أثرهم مع تجديد فى بعض الصور ذكرناه فى موقعها.

والمعادن من الأشياء المهمة التى ظهرت فى تشبيهات مسلم، وقد أخذ عنصرها

---

[1] الديوان، ص١٤٦.

[2] نفس المصدر السابق، ص٩٨.

[3] ديوان زهير، ص١٦٠.

من الطبيعة، فقد شبه مسلم بالذهب أو الفضة، فقال :

كأنَّها وَصَبيبُ الْمَاء يَقْرَعُهَا ... دُرٌّ تَحَدَّرَ مِنْ سِلْكٍ عَلَى ذَهَب[1]

فقد شبه الخمر وهى تمزج بالماء كأنها الدر الذى يتحدر من سلك على ذهب، وقد سبقه أوس بن حجر بهذا العنصر، فقال :

إِذَا سَلَّ مِنْ جِفْنٍ تَأَكل أثْرُه ... عَلَى مِثْلِ مَمحَاةِ اللُّجَيْن تَأَكَلاَ[2]

فقد شبه متن سيفه بالفضة، وإذا كان الشعراء قد استخدموا عنصرًا واحدًا وهو الفضة، إلاَّ أن استخداماتهم له قد اختلفت من شاعر لآخر.

ب- البيئة الاجتماعية :

فكما استمد مسلم كثيرًا من عناصره من وحى الطبيعة استمد كثيرًا منها أيضًا من البيئة الاجتماعية منذ الجاهلية حتى عصر الشاعر، فقد ذكر الشعراء الخمر وحبهم لها ومعاقرتها، فكانوا يصفون طعمها ورائحتها ولونها وجمالها وجمال الكؤوس ووصف الأباريق، حتى إنهم فى البيئة العباسية لم ينسوا أن يصفوا الجوارى والقيان اللاتى تحملن الكؤوس.

ومن العناصر التى استمد الشاعر عنصرها من البيئة إعجابه بطعم الخمر ووصفه لها. فشبه ريق صاحبته بالشهد، فقال :

وَرِيقِى مَاءُ غَادِيَةٍ بِشَهْدٍ ... فَمَا أَشْهَى مِن الشَّهْدِ الْمَشُوبِ[3]

الشهد المشوب هو الخمر لأنه ليس هناك ما يخلط غيره، وقد سبقه إلى استخدام هذا العنصر كثيرون، فقال امرؤ القيس :

كَأَنَّ الْمُدَامَ وَصَوْبَ الْغَمَامِ ... وَرِيحَ الخُزَامَى وَنَوْبَ العَسَلِ[4]

يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا ... إِذَا النَّجْمُ وَسْطَ السَّمَاءِ اسْتَقَلّ[5]

---

[1] الديوان، ص٢٠٩.

[2] شرح ديوان أوس بن حجر، ص٨٥.

[3] شرح ديوان مسلم بن الوليد، ص١٩٢.

[4] ديوان امرئ القيس، ص١٥٦، دار صادر بيروت.

[5] وفى رواية أخرى ونشر القطر.

فقد شبه ريق محبوبته بمجموعة أوصاف مأخوذة من البيئة فقد جمع المدام والمطر الريح الطيبة وذوب العسل كي تكون مجموعة في ريق محبوبته. ثم نرى زهيرًا يقول :

كَأَنَّ رِيقَتَهَا بَعْدَ الْكَـرَى اغْتَبَقَتْ ... مِنْ طِيبِ الرَّاحِ لَمَّا بَعْدُ أَنْ عُتِّقَا[1]

وقد استمد عبيد بن الأبرص هذا العنصر فقال :

تَخَالُ رِيقَ ثَنَايَاهَا إِذَا ابْتَسَمَتْ ... كَمَزْجِ شُهْدٍ بِأَتْرَجٍ وَتُفَّاحٍ[2]

الأترج : ليمون الكباد.

فقد شبه ريق محبوبته بمزج الشهد مع التفاح والليمون، ونرى أن الشعراء جميعًا استخدموا هذا العنصر ويكاد يكون المعنى واحدًا في كل تشبيه، وقد أجاد كل شاعر في استخدام عنصره.

كما كانت للحروب أثرها في شعر الشعراء، فاستخدام الأبطال للسيوف والسهام والرماح قديم، وكلها آلات استخدمها المحاربون في حروبهم وتأثر بها الشعراء ووصفوها حتى كأنها أصبحت أعلامًا على الفرسان.

وقد استمد مسلم بعض عناصره التشبيهية من هذه الآلات، فشبه الفتية بالسيوف في مضائها، فقال :

أَتَتْكَ الْمَطَايَا تَهْتَدِي بِمَطِيَّةٍ ... عَلَيْهَا فَتًى كَالنَّصْلِ يُؤْنِسُهُ النَّصْلُ[3]

فقد شبه ممدوحه بالسيف.

وقد استخدم هذا العنصر شعراء كثيرون، ومنهم زهير فقال :

بِفِتْيَةٍ كَسُيُوفِ الْهِنْدِ يَبْعَثُهُمْ ... هَمٌّ فَكُلُّهُمُ ذُو حَاجَةٍ يَقِدِ[4]

فقد شبه الفتية بالسيوف في مضائها.

ومنذ الجاهلية حتى عصر الشاعر انه عند موت عزيز لديهم تقوم النواحة بتعداد

---

(1) ديوان زهير، ص٣٥، دار صادر.

(2) ديوان عبيد ابن الأبرص، ص٥٠، دار صادر بيروت.

(3) الديوان، ص٢٦٣.

(4) ديوان زهير، ص٢٨٠.

محاسنه، وكانت هذه النواحة تشتهر بحسن صوتها ليكون مؤثرًا على الحاضرين، ولذلك شبه مسلم بن الوليد صوت العود والمزمار بصوت نائحات يبكين عزيز لديهم، فقال :

وَأَسْعَدَها الْمِزْمَارُ يَشْدُو كَأَنَّهُ حَكَى نَائِحَاتٍ بِتْنَ يَبْكِينَ مِن ثُكْلِ[1]

أما زهير فقد سبقه إلى استخدام هذا العنصر، فقال :

مَلْسَاءُ مُحْدَلَةٌ كَأَنَّ عَتَادَها نَوَّاحَةٌ نَعَتِ الْكِرامَ مُشَبِّبُ[2]

ويروى "عدادها" وهو صوتها، وأجود من عتاد. قال : ومحدله : أعلاها أوسع من أسفلها، أى فيها ميل. قال أبو عمرو : العداد : صوت وتر القوس إذا انبعث عنها، فقال زهير "عتادها"، ولعلها لغته، المعتاد مكان العداد.

إذا كانت النواحة اتفقت فى التشبيه لكل من زهير ومسلم إلا أن كلاً منهما قد استخدمها بوحى من مشاعره وبيئته، وقد وفقا وأجادا.

وقد برع مسلم فى استخدام عناصره المستمدة من البيئة الاجتماعية كما برع سابقًا فى استخدام العناصر المستمدة من البيئة الطبيعية. كما نجد مسلمًا قد أفاد من الشعراء السابقين إفادة كبرى فى استمداد كثير من عناصرهم، فقد سبقوه فى معظم هذه العناصر، ولكنه جدد فى صوره وتصرف فيها بما يلائم عصره، وبهذا يكون قد أضاف مسلم على تشبيهاته الدقة والقوة البلاغية.

وعلى الرغم من أن مسلمًا قد أثبت فى تشبيهاته تأثره بالبيئة واستمداده لكثير من عناصرها، إلا أنه لم يكتفِ بهذا بل أراد ان يثبت ثقافته العامة وتأثير البيئة، وكذلك إفادته من وجوده بالقرب من قصور الخلفاء والأمراء فى حاضرة الدولة العباسية، فأتى بعناصر إنسانية عامة حية يتأثر بها كل إنسان فى أى زمان وأى مكان ويعيش معها. وليس هذا بكثير على شاعر مثل "مسلم بن الوليد" عاش وتثقف فى هذه الحضارة الواسعة فظهر أثرها فى شعره. فمن الأشياء الإنسانية العامة التى جذبت انتباه مسلم إلى حب المرأة للزينة وذلك بتزينها بوسائل الزينة ومنها الياقوت وعقد اللؤلؤ والدر،

---

[1] الديوان، ص٤١.

[2] شرح ديوان زهير، ص٣٧٧.

والذهب وما شابهه فنجده قد أعجب بهذا العقد المصنوع من الدر الذى يتحدر، فقال[1] :

وَحَديثُ سَحَّارِ الْحَدِيثِ كَأَنَّهُ ... دُرٌّ تَحَدَّرَ مِنْ نِظَامِ الثَّاقِبِ[2]

وقوله :

كَأَنَّهَا فِي الْكَأْسِ يَاقُوتَةٌ ... وَهْيَ إِذَا مَا مُزِجَتْ وَرْسُ[3]

فقد انتزع من البيئة الاجتماعية الدر المتحدر من عقد منظوم وشبه به حديث صاحبته فى سحره وجماله، وهو تشبيه منتزع ولاشك من بيئة الشاعر. كما أنه شبه الخمر فى الكأس بالياقوتة فى اللون، وهذا قبل المزج، أما بعد المزج فهى صفراء فى لون الزعفران. وكما وفق مسلم فى أخذ عناصره من البيئة فى جميع أغراضه الشعرية، فقد أخذ عنصره فى الهجاء اللاذع من العوامل النفسية واتخذها مادة لهجائه فقال :

دُيُونُكَ لا يَقْضِي الزَّمَانُ غَرِيمَهَا ... وَبُخْلُكَ بُخْلُ الْبَاهِلِيِّ "سَعِيد"[4]

فهو يهجوه ويذمه بصفتين نفسيتين : الأولى أنه مديون ومفلس ولا يستطيع الزمان قضاء ديونه، والثانية البخل الشديد. وقد وفق كل منهم فى تشبيهه.

وبهذا يكون مسلم قد أثبت ثقافته التى أفاد منها كما أفاد من سابقيه من الشعراء فى استمداد الكثير من عناصره من بيئته، والتى كان لها أكبر الأثر فى الإيحاء بهذا العطاء، كذلك قربه من قصور الخلفاء والأمراء.

وتكون بهذا المبحث قد كشفنا النقاب عن العناصر التى استمدها الشاعر فى تشبيهاته من البيئة المحيطة به بعد أن رأيناه يقف على قدم المساواة مع الشعراء الفحول فى تشبيهاته مع أنه مسبوق بهم وأفاد منهم كثير واقتفى أثرهم.

---

(1) الديوان، ص١٨٧.

(2) الديوان، ص١٨٧.

(3) نفس المصدر السابق، ص٢٧٩.

(4) الديوان، ص٢٧١.

الفصل الرابع

سياقات التشبيه عند مسلم بن الوليد

إذا كان النقد الحديث يتجه إلى دراسة النص الأدبى جزءًا جزءًا وإلى الوقوف على مشكلاته التفصيلية، فيوضح أسرار الجمال أو القبح، لا فى النص برمته فحسب، ولكن فى الجملة وفى الكلمة -إذا كان النقد الحديث يسير على هذا المنوال، فإن النقد عند العرب كان يتجه هذا الاتجاه نفسه، إذ وقفوا فى دراستهم عند الجمل وعند المفردات من غير أن يخلوا بالنظر فى النص برمته وما تتطلبه هذه النظرة من المقتضيات.

وقف نقاد العرب طويلاً عند مطلع القصيدة، وعند الانتقال من فاتحتها وإلى الغرض منها، ثم عند خاتمتها[1].

كما وقفوا عند الانتقال من بيت إلى بيت، وعند الانتقال من شطر بيت إلى الشطر الثانى، بل عند الانتقال من كلمة فى البيت إلى صاحبتها التى تجاورها.

ولعل هذه الدراسة تبدد كثيرًا من الأوهام التى علقت بالنفوس من ناحية نظرة العرب إلى القصيدة.

وأول ما لحظوه أن القصيدة العربية عند شعراء الجاهلية مقسمة أقسامًا، فهى تبدأ بذكر الديار والدمن والآثار، يشكو فيها الشاعر، ويبكى، ويخاطب الربع، ويستوقف الرفيق ليكون ذلك ذريعة لذكر أهلها الذين نزحوا عنها، وفارقوها، ويصل ذلك بالنسيب فيشكو شدة الشوق، وألم الوجد والفراق، وفرط الصبابة، ليميل إليه القلوب ثم ينتقل بعد ذلك إلى ما يستوجب به الحقوق، فيصف رحلته فى شعره، ويشكو النصب والسهر وسرى الليل وهزال الراحلة، فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حقًا بدأ فى مدحه، ليبعثه على مكافأته.

ويرى هؤلاء النقاد أن الشاعر المجيد هو من يعدل بين هذه الأقسام، من غير إطالة تبعث الملل إلى السامع، أو تقصير تود النفس معه أن لو كان الشاعر قد أطال[2].

وحدة البيت :

يرى معظم نقاد العرب[3] أن البيت فى القصيدة ينبغى أن يستقل بمعناه وألا يحتاج إلى غيره ليستكمل هذا المعنى، وعدوا من العيوب فى الشعر أن يحتاج البيت إلى

---

(1) أسس النقد الأدبى عند العرب، د. أحمد بدوى، ص٢٩٦، طبع دار نهضة مصر بالفجالة.

(2) أسس النقد الأدبى عند العرب، د. أحمد بدوى، ص٢٩٦، ٢٩٧، وانظر الشعر والشعراء لابن قتيبة، ص٧٠.

(3) أسس النقد الأدبى عند العرب، د. أحمد بدوى، ص٣١٥.

غيره ليتم معناه، وسمى قدامة بن جعفر البيت المحتاج فى إكمال معناه إلى غيره "مبتورًا"[1]، ووافقه صاحب الموشح على هذه التسمية.

ويرى صاحب نقد النثر أن الشاعر إن تم بيته قبل أن يتم معناه احتاج إلى أن يضمن البيت الثانى تمام المعنى[2].

وحدة القصيدة :

وليس معنى اهتمام نقاد العرب بوحدة البيت واستقلاله بنفسه أن الشعراء أو النقاد أغفلوا العناية بوحدة القصيدة، أو أهملوا أمرها.

فالشعراء كانوا يعنون فى قصائدهم بالتناسق والارتباط بين أبيات القصيدة، بحيث تكون منسقة، متناسبة المعانى، لا يطفر المرء فيها من معنى إلى معنى، ولا يشعر بأن هناك فجوة بين البيت وتاليه. وقد عنى الشعراء المتأخرون بأن يحسنوا التخلص من الغزل إلى غيره من الأغراض كالمدح والهجاء، حتى لا يشعر القارئ بأنه فوجئ بالانتقال من غرض إلى سواه[3].

أما نقاد العرب فقد رأوا من الضرورى فى القصيدة أن ترتبط أبياتها بعضها ببعض، حتى يتكون منها عمل فنى سليم.

وهنا يحسن بنا أن نشير إلى ما شاع على الألسنة، وما ردده كثير من المستشرقين من اتهام القصيدة العربية بخلوها من صفة الوحدة الفنية، ولعل سر ذلك الاتهام هو أنهم يرون القصيدة العربية كثيرًا ما تشتمل على غير غرض واحد، فيرون قصيدة المدح مثلاً يبدؤها الشاعر غالبًا بالغزل، وقد يضع فى أثنائها الحكمة والوصف، كما يكون ذلك فى الهجاء أيضًا والرثاء، وقد يكون منشؤه أيضًا شدة عناية العرب بالحديث عن وحدة البيت حتى طغى ذلك على الحديث عن وحدة القصيدة[4].

---

[1] نقد الشعر لقدامة بن جعفر، ص٨٧، وانظر أسس النقد الأدبى عند العرب، د. أحمد بدوى.

[2] أسس النقد الأدبى عند العرب، د. أحمد بدوى، ص٣١٧.

[3] نفس المصدر السابق، ص٣١٩.

[4] أسس النقد الأدبى عند العرب، د. أحمد بدوى، ص٣٢٠.

ورأى ابن قتيبة ينقله لنا الدكتور أحمد بدوى[1]، يقول : وقد سمعت من بعض أهل العلم رأيًا ينقض هذا الاتهام من أساسه، لأنه يدلنا : أولاً، على أن الشاعر كان يتصور عمله وحدة متصلة الأجزاء، يسلم الواحد منها إلى صاحبه، ويتقدم بعضه بعضًا لأن ذلك هو الترتيب الطبيعى، فلم يكن يعتقد أن قصيدته أخلاط متفرقة لا توافق بينها ولا انسجام.

وثانيًا : على أن دارسى الشعر العربى أدركوا هم أيضًا ان الشاعر لم يكن يلقى القول على عواهنه، أو يكون قريضه من أجزاء لا صلة بينها.

وحسبك أن ترجع إلى القصيدة العربية لترى فيها التناسق والانسجام، وسوف نعرض رأى ناقد قديم أيضًا فى وحدة القصيدة العربية، يقول ابن رشيق القيروانى[2] : إن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان فى اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه فى صحة التركيب غادر بالجسم عاهة تتخون محاسنه، وتعفى معالم جماله، أرأيت تشبيه القصيدة بجسم الإنسان ودقة هذا التشبيه من حيث دلالته على أن القصيدة وإن اختلفت أجزاؤها تكون وحدة مترابطة منسجمة كاملة الاتصال، مثلها فى ذلك مثل خلق الإنسان.

ويدلى ابن سنان الخفاجى بدلوه فى الحديث عن القصيدة فيقول[3] : ومن الصحة صحة النسق والنظم، وهو أن يستمر فى المعنى الواحد، وإذا أراد أن يستأنف معنى آخر أحسن التخلص إليه، حتى يكون متعلقًا بالأول، وغير منقطع عنه، ومعنى ذلك أن بناء القصيدة لا يكون صحيحًا إلا إذا تلاقت الأجزاء واتصل بعضها ببعض، وتعلق بعضها ببعض، ومن هذا الاتصال والتعلق تنشأ وحدة القصيدة، ويتكامل بناؤها. ويقول ابن طباطبا[4] : وينبغى للشاعر أن يتأمل شعره وتنسيق أبياته ويقف على حسن تجاورها أو قبحه، فيلائم بينها لتنتظم معانيها له، ويتصل كلامه فيها، ولا يجعل بين ما

---

[1] نفس المصدر السابق، ص٣٢٠.

[2] أسس النقد الأدبى عند العرب، ص٣٢٣، د. أحمد بدوى.

[3] سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى، ص٢٥٣.

[4] عيار الشعر، ص٥.

قد ابتدأ وصفه أو بين تمامه فصلاً من حشوٍ ليس من جنس ما هو فيه، كما أنه يحترز من ذلك في كل بيت، فلا يباعد كلمة عن أختها ولا يحجز بينها وبين تمامها بحشو يشينها، ويتفقد كل مصراع، هل يشاكل ما قبله.

ومن هذا يتضح أن القصيدة قد تتعدد موضوعاتها[1]، وأن الوحدة فيها قد تكون وحدة بناء وحسب، فتلك هي الغاية الكبرى من هذا التدقيق في التوالي والتدرج وإقامة العلاقات بين الأجزاء، والصورة الصناعية لا تفارق خيال ابن طباطبا في عمل الشعر، فالشاعر تارة كالنساج الحاذق، وتارة كالنقاش الدقيق الذي «يضع الأصباغ في أحسن تقاسيم نقشه، ويشبع كل صبغ منها حتى يتضاعف حسنه في العيان» وتارة هو كناظم الجوهر يؤلف بين النفيس الرائق ولا يشين عقوده برص الجواهر المتفاوتة نظمًا وتنسيقًا[2]، ومن ثم تصور ابن طباطبا الوحدة في العمل الفني كالسبيكة المفرغة من جميع أصناف المعادن حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغًا، لا تناقض في معانيها ولا وهْي في مبانيها ولا تكلف في نسجها[3]. وفي ضوء ما تقدم نتناول بعض قصائد شاعرنا مسلم بن الوليد لنطبق عليها هذه الدراسة النقدية ونوضحها من خلال سياقات التشبيه عند الشاعر، وقد افتتح قصائده على غرار ما كان يفعله الشعراء منذ العصر الجاهلي والإسلامي والأموي، والقصيدة التي معنا هي خير مثال لما سار عليه مسلم ابن الوليد، وسوف نتناولها بالتحليل من خلال سياقات التشبيه، وهذه القصيدة هي[4] :

١- أَدِيرَا عَلَيَّ الرَّاحَ لا تَشْرَبَا قَبْلِي	وَلاَ تَطْلُبَا مِنْ عِنْدِ قَاتِلَتِي ذَحْلِي
٢- فَمَا حَزَنِي أَنِّي أَمُوتُ صَبَابَةً	وَلَكِنْ عَلَى مَنْ لاَ يَحِلُّ لَهُ قَتْلِي
٣- أُحِبُّ الَّتِي صَدَّتْ وَقَالَتْ لِتِرْبِهَا	دَعِيهِ الثُّرَيَّا مِنْهُ أَقْرَبُ مِنْ وَصْلِي!
٤-أَمَاتَتْ وَأَحْيَتْ مُهْجَتِي فَهْيَ عِنْدَهَا	مُعَلَّقَةٌ بَيْنَ الْمَوَاعِيدِ وَالْمَطْلِ

---

[1] تاريخ النقد عند العرب، د. إحسان عباس، ص١٣٨، طبع بيروت.

[2] عيار الشعر لابن طباطبا، ص٥، ٦، نقلاً عن تاريخ النقد عند العرب، ص١٣٨.

[3] نفس المصدر السابق، ص١٢٦، ١٢٧.

[4] ديوان مسلم بن الوليد، ص٣٣ وما بعدها.

٥- وَمَا نِلْتُ مِنْهَـا نَـائِلاً غَـيْرَ أَنَّنِـي ... بِشَجْوِ الْمُحِبِّينَ الأُلَى سَلَفُوا قَبْلِـي

٦- بَلَـى رُبَّمَـا وَكَّلْـتُ عَيْنِـى بِنَظْـرَةٍ ... إِلَيْهَا تَزِيـدُ الْقَلْبَ خَبْلاً عَلَـى خَبْـلِ

٧- كَتَمْتُ تَبَـارِيحَ الصَّبَابَـةِ عَـاذِلِي ... فَلَمْ يَدْرِ مَا بِى فَاسْتَرَحْتُ مِنَ الْعَذْلِ

٨- وَمَانِحَـةٍ شُرَّابَهَا الْمُلْـكَ قَهْـوَةٍ ... مَجُوسِيَّةِ الأَنْسَابِ مُسْلِمَةِ الْبَعْـلِ

٩-رَبِيبَةِ شَمْسٍ لَمْ تُهَجَّنْ عُرُوقُهَا ... بِنَارٍ وَلَمْ يُقْطَعْ لَهَا سَعَفُ النَّخْـلِ

١٠- تَصُدُّ بِنَفْسِ الْمَرْءِ عَمَّا يَغُمُّـهُ ... وَتُنْطِقُ بِـالْمَعْرُوفِ أَلْسِنَةَ الْبُخْـلِ

١١- قَدِ اسْتُودِعَتْ دَنًّا لَها فَهْوَ قَـائِمٌ ... بِهَـا شَفَقًا بَيْنَ الْكُرُومِ عَلَى رِجْـلِ

١٢- بَعَثْنَا لَهَا مِنَّـا خَطِيبًا لِبُضْعِهَـا ... فَجَاءَ بِهَا يَمْشِي العِرَضْنَـةَ فِـى مَهْـلِ

١٣- رَقَى رَبَّها حَتَّى احْتَوَاهَا مُغَالِيا ... عَقِيلَتُـــهُ دُونَ الأَقَـــارِبَ والأَهْـــلِ

١٤- فَوافَى بِهَا عَذْرَاءَ كُلُّ فَتًى نَـدًى ... جَزِيلَ الْعَطَايَـا غَـيرَ نِكْسٍ وَلاَ وَغْـلِ

١٥- مُعَتَّقَـةً لا تَشْـتَكِي وَطْءَ عَـاصِرٍ ... حَرورِيَّـةً فِـى جَوْفِهَـا دَمُهَـا يَغْلِـى

١٦- أَغَارَتْ عَلَى كَفِّ الْمُدِيرِ بِلَوْنِهَـا ... فَصَـاغَتْ لَـهُ مِنْهَـا أَنَـامِلُ كَـالذَّبْلِ

١٧- أَمَاتَتْ نُفُوسًا مِـنْ حَيَـاةٍ قَرِيبَـةٍ ... وَفَـاتَتْ فَلَـمْ تُطْلَبْ بِتَبْلٍ وَلا ذَحْـلِ

١٨- شَقَقْنَا لَهَا فِي الدَّنِّ عَيْنًا فَأَسْبَلَت ... كَمَا أَسْبَلَتْ عَيْـنُ الْخَرِيـدِ بِـلا كُحْـلِ

١٩- كَأَنَّ حَبَاب الْمَاء حِـينَ يَشُجُّهـا ... لآلِـى عِقْـدٍ فِـى دَمَـالِيجَ أَوْ حِجْـلِ

٢٠- كَـأَنَّ فَنِيقًـا بَـازِلاً شُـكَّ نَحْـرُهُ ... إِذَا ما اسْتَدَرت كَالشُّعَاعِ عَلَـى البَذْلِ

٢١- كَـأَنَّ ظِبَـاءً عُكَّفًـا فِي رِيَاضِهَـا ... أَبَارِيقُهَـا أَوْجَسْـنَ قَعْقَعَـةَ النَّبْـلِ

٢٢-ظَلَلْنَا نُنَاغِي الخُلْدَ فِي مَشْرَعِ الصِبَا ... عَلَيْنَـا سَمَاءُ الْعَيْش دَائِمَـةُ الْهَطْـلِ

٢٣-وَدَارَتْ عَلَيْنَا الْكَأْسُ مِن كَفِّ طَفْلَةٍ ... مُبَتَّلَـةٍ حَـوْرَاءَ كَالرَّشَـاءِ الطِّفْـلِ

٢٤- وَحَـنَّ لَنَـا عُـودٌ فَبَـاحَ بِسِـرِّنَا ... كَـأَنَّ عَلَيْـهِ سَـاقَ جَارِيَـةٍ عُطْـلِ

٢٥- تَضَاحِكُـهُ طَوْرًا وَتُبْكِيـهِ تَـارَةً ... خَدَلَّجَـةٌ هَيْفَـاءُ ذَاتُ شَـوًى عَبْـلِ

٢٦-إِذَا مَا اشْتَهَيْنَا الأُقْحُوانَ تَبَسَّمَتْ ... لَنَا عَـنْ ثَنَايَا لا قِصَـارٍ وَلاَ ثُعْـلِ

٢٧- وَأَسْعَدَها الْمِزْمَـارُ يَشْدُو كَأَنَّـهُ حَكَى نَائِحَاتٍ بِتْـنَ يَبْكِـينَ مِنْ ثُكْـلِ

٢٨-غَدَوْنَا عَلى اللَّذَّاتِ نَجْنِى ثِمَارَها وَرُحْنَا حَمِيدى العَيْش مُتَّفِقِى الشَّكْلِ

٢٩- أَقَامَتْ لَنَا الصَّهْبَاء صَدْرَ قَنَاتِهَا وَمَـالَتْ عَلَيْنَـا بِالْخَدِيعَـةِ وَالْخَتْـلِ

٣٠- إِذَا مَا عَلَـتْ مِنَّـا ذُؤَابَـة شَارِبٍ تَمَشَّتْ بِـهِ مَشْـىَ الْمُقَيَّـدِ فِـى الوَحْـلِ

٣١- فَلاَ نَحْنُ مِتْنَا مِيتَةَ الدَّهْرِ بَغْتَةً وَلاَ هِـىَ عَـادَتْ بَعْدَ عَلٍّ إِلَـى نِهْـلِ

٣٢- وَسَاقِيةٍ كَـالرِّيم هَيْفَـاءَ طَفْلَـةٍ بَعِيدَةِ مَهْـوَى القُـرْطِ مُفْعَمَـةِ الحِجْـلِ

٣- تَنَزَّه طَرْفِى فى مَحَاسِـنَ وَجْهِهَـا إِذَا احْتُثَتْ الطَّاسَات يَغْنِى عَنْ النَّقْـلِ

٣٤- سَـأَنْقَادُ لِلَّـذَاتِ مُتَّبِـعَ الصِّبَـا لأُمْضِى هَمِى أَوْ أُصِيـبَ فَتًـى مِثْلِـى

٣٥- هَل الْعَيْشُ إِلاَّ أَنْ أَرُوحَ مَع الصِّبا وَأَغْدُو صَرِيعَ الرَّاحِ وَالأَعْيُنِ النُّجُلِ [1]

يستهل الشاعر قصيدته بقوله :

١- أديرا عَلَىَّ الـرَّاحَ لا تَشْرَبَا قَبْلِى وَلاَ تَطْلُبَا مِنْ عِـنْدِ قَاتِلَـتِى ذَحْـلِى

فالشاعر بدأ بالحديث عن الخمر مخاطبًا نديمين موهومـين ويدعوهمـا إلى سقياه الخمر ويطلب أيضًا منهما ألا يشربا قبلـه ففى أسلوبه الطلبى يظهر لنـا مـدى ولوعـه بشرب الخمر حتى أنه لا يريد منهمـا أن يسبقاه كمـا أنـه يطلـب منهمـا ألا يطلبـا مـن القاتلة الثأر، ولعل القاتلة فى هذا المقام هى الخمر أو الجاريـة التـى فـتن بحبهـا وهـام بهـا حتى أنه هانت عليه نفسه ولا يريد أن يطلب الثأر منها، والراجح أنها الخمـر لأن القتـل فى هذه الحالة سيكون قتلاً مجازيًا بفعل الشرب، وإلا إذا مات حقيقة فلما لا يطلبان ممن قتلته، ويوصى بأن يكون الجزاء من جنس العمل.

وفى البيت الذى يليه يقول :

٢- فَمَا حَزَنِى أَنِّى أَمُوتُ صَبَابَـــةً وَلَكِنْ عَلَى مَـــنْ لاَ يَحِـلُّ لَــهُ قَتْلِى

هذا البيت مرتبط بفكرة البيت السابق من ناحيـة استهانة الشـاعر بحياتـه فـى سبيل من يحب، ولكنه يعدل عن حبه للخمر فى البيـت السـابق، ويجعلـه لتلـك الحسـناء

---

[1] القصيدة الثالثة من الديوان، ص٣٢ إلى ٤٣.

التى لا يحل لها قتله، ولعل الشاعر متأثر بالقرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وعلى هذا يقول : لست حزينًا أن أموت من الحب، ولكنى أحزن على هذه المحبوبة. وكلمة "قاتلتى" فى البيت السابق وكلمة "قتلى" فى هذا البيت فهاتان الكلمتان مضافتان إلى ياء المتكلم دليل على أن الشاعر يتحدث عن نفسه وعن حبه.

فنرى أن الشاعر انتقل من وصف مجلس الشراب الذى بدأ به القصيدة إلى لون آخر من ألوان العشق. فعاطفة الشاعر لا تبرح جسده من حيث إنه يريد أن يغرق فى العاطفة صبابة حتى لتهون عليه حياته.

أما البيت الذى يليه فيقول :

٣- أُحِبُّ الَّتِي صَدَّتْ وَقَالَتْ لِتِرْبِـهَـا   دَعِيهِ الثُّرَيَّا مِنه أَقْـرَبُ مِـنْ وَصْلِي!

مازال الشاعر يتحدث عن هذه الفتاة، فهو من فرط حبه لها أحب صدها عنه عندما قالت لصديقتها : اتركيه "الثريا منه أقرب من وصلى" متعجبًا من قولها هذا، فى أن الكوكب المعروف بالثريا وهو فى أعلى السماء يكون أقرب منه من وصلها إياه. وهو استحالة وصله بها، ومع ذلك نجده متفائلاً يظهر هذا من لغته المملوءة بالحيوية والفرح والذى بدأ أول البيت بكلمة "أحب" فإذا كان الشاعر يحب صدها وهجرها فما بالنا من وصلها إياه.

وفكرة هذا البيت تسير فى انسجام تام مع سياق البيت الذى قبله، كما أنه ملائم لعاطفة الشاعر وجوه النفسى. ويستمر الشاعر فى وصف الخمر حتى يصل إلى أن يستعمل فى وصفها أسلوب التشبيه فيقول :

أَغَارَتْ عَلَى كَفِّ الْمُدِيرِ بِلَوْنِهَـــا   فَصَاغَـتْ لَهُ مِنْهَا أَنَامِلَ كَالذَّبْـــلِ

يصف الشاعر فى البيت السابق على هذا البيت شدة وقوة الخمر على الأنفس شدة الحرورى وصبره فى الحرب، وسياق هذا البيت يرتبط بسياق البيت الذى معنا بكلمة "أغارت" التى توحى بمعنى القوة والشدة، ولا يستطيع الإغارة إلا كل قوى. أما

أنامل الساقي التي تبدو صفراء من انعكاس هذا اللون من الكأس، فإن هذا الساقي ليس له خيار فيه، فقد اصطبغ بهذا اللون دون أن يكون له دخل فيه. أما كلمة "صاغت لـه" بمعنى صنعت له أنامل، والأنامل هي أطراف أصابع المدير وهي واقعة مشبه، فالتركيب التشبيهي المكون من المشبه والمشبه به وهو كالذبل لون أصفر كسن الفيل الذي يكون له لون مخصوص، فقد اجتمعا فيه وأيضًا لاعتبار آخر وهو ارتفاع الثمن المعروف به سن الفيل الذي يجلب من الهند خصيصًا لقصور الخلفاء، لعل الشاعر أراد أن يوفق بنظرته بين علو قدر الخمر لتتساوى مع غلو ثمن سن الفيل، فقد صور شعاع لون الخمر الظاهر من الزجاج أو الكأس ببريقه ولمعانه بسن الفيل في لونه. ويواصل حديثه عن الخمر إلى أن يقول :

شَقَقْنَا لَهَا فِي الدَّنِّ عَيْنًا فَأَسْبَلَتْ كَمَا أَسْبَلَتْ عَيْنُ الْخَرِيدِ بِلاَ كُحْلِ

في هذا البيت يصف الشاعر كيف أحدث في الدن شقًا كأنه عين الحسناء التي لم تكتحل لعله أراد بهذا التشبيه المماثلة بين هذا الشق وفتحة عين الحسناء، أو أراد صفاء الخمر بنزول الدموع التي لم تختلط بكحل ولا بغيره، إمعانًا في هذا الصفاء، أو ربما قصد المشابهة بين الكحل في حدقة العين والطين الذي يكون حول فوهة الخابية محدقًا لها كإحداق الكحل بالمقلة، فهيئة نزول الخمر تناسب كلمة شققنا وانهمار الدمع، وكلمة "أسبلت" تناسب الهدوء والسكينة، والمعنى أنها ثابتة على حال، وآية هذا التشبيه الممازجة والجمع والتوليد، فالعين تشبه الثقب، وفي الآن ذاته، تمكن الشاعر من مقارنة انهمار الخمرة بانهمار الدمع، فهو تشبيه مضاعف، ممزوج، فالشاعر قد وفق فيه، كما أنه مناسب للسياق الذي جاء فيه إذ أنه يوضح العلاقة بين المشبه والمشبه به أتم توضيح وأدقه.

وأما عن وصف مزج الخمر بالماء فيقول الشاعر :

كَأَنَّ حَبَابَ الْمَاءِ حِينَ يَشُجُّهَا لآلِئُ عِقْدٍ فِي دَمَالِيجَ أَوْ حِجْلِ

هذا التشبيه يأتي عقب البيت السابق في تناسق سياقي منطقي لأن المزج يأتي طبيعيًا بعد نزول الخمر من الخابية، أما عن تشبيه الزبد أو الرغوة الناتجة عن الخلط

والخارجة على هيئة فقاعات صغيرة لامعة على حافة الكأس بلؤلؤ فهو تصوير مناسب، أما استعماله لكلمة "حين يشجها" فهو غير موفق فيها، لأن الشج يكون لرأس الإنسان وينتج عنه سيلان الدماء، وكان الأجدر به أن يقول "حين يشقها" فقد تقع هذه الكلمة مناسبة لسياق الوصف الذى أراد الشاعر أن يلفت انتباهنا إليه، وألتمس له العذر فى هذا التعبير لأنه كما وضحت سابقًا يجسد الخمر؛ فهى فى شعره إنسانه لها أحاسيس ولها خطاب وتمهر كما تمهر الحسناوات فليس أقل من هذا. ثم إننى أحس صوتًا ناتجًا عن صب الماء من أعلى كأس الخمر، ينتج عن هذا التفاعل الحار الذى يظهر فى شكل فقاعات يقول عنها الشاعر إنها لآلئ، والمعنى يتضمن شكلاً جماليًا يرسمه الشاعر بقلمه، ومما يقوى استخدامه للتشبيه وجود الأداة "كأن" التى تفيد أن المشبه هو عين المشبه به. ولعل المشابهة بين اللآلئ وفقاعات الخمر عند صبها تعبر عن مدى هيام الشاعر بالخمر، وقيمة ذلك فى نفسه.

ويقول مسلم :

٢٠- كَأَنَّ فَنِيقًا بَازِلاً شُـكَّ نَحْرُهُ إِذَا مَا اسْتَدَرت كَالشُّعَاعِ عَلَى البَزْلِ

يشبه الشاعر الخمرة المنهمرة من دنها بدم الفحل المذبوح، فى اللون واللمعان مع السيولة التى تبرزها أشعة الشمس، ثم اختياره لكلمة فنيق، وهو الجمل الأبيض، مما يساعد على إظهار الألوان المختلفة، لأن الشاعر مغرم بها، وذلك من تردده على قصور الخلفاء والأمراء، فأصبحت شيئًا مطبوعًا فى دمه، وقد نقل لنا هذا المشهد الحسى بروعة ومهارة، وقد جاء هذا التشبيه موافقًا للسياق وهو الكشف عن حالة نفسية تكون عند إراقة الخمر وإراقة دم الذبيح، أما عن وصفه لشكل الأباريق التى يصب فيها الخمر، فيقول :

٢١- كَأَنَّ ظِبَاءً عُكَّفًا فِى رِيَاضِهَا أَبَارِيقُهَا أَوْجَسْنَ قَعْقَعَةَ النَّبْلِ

فالشاعر فى هذا التشبيه جدد بتخصيصه وتجزيئه، إذ جعل الظباء عكّفا، أى منحنية على مرعاها ليتم الشبه الفعلى بين الظبية والإبريق فى طول العنق، ثم أشار إلى النبل وما إليه ليستكمل المشهد فى تصوير تناثر الأباريق وكثرتها، وأرى أن الشاعر على

الرغم من وجوده فى الحاضرة العباسية، لم تؤثر فيه بحيث ظلت قصيدته تقوم على الأفكار والخواطر المتناثرة بين القديم و الحديث، فبينما هو يصف الأباريق، إذا به يصف لنا الظباء خائفة من النبل، ولعل الشاعر صور هذه اللوحة بمهارة ودقة وأبرزها لنا فى سياق يبدو بدويًا إلا أنه برع فى إخراج هذا المشهد الذى يحتوى على ظباء عاكفة فى رياضها خائفة تلتفت يمنى ويسرى، كذلك بعثرة الأباريق الذى شبهها بالظباء المتناثرة خلال الروضة، كذلك لم ينسَ إظهار الصائد وصوت قعقعة نبله، وهو تشبيه حى لا ينكر جماله، وقد جاء موافقًا للسياق إذ قارن بين جمال أباريق الخمر فى نفسه وبين ما هو مشهور بين العرب من جمال الظباء وهى عاكفة فى الرياض.

ويقول فى البيت :

٢٣-وَدَارَتْ عَلَيْنَا الْكَأْسُ مِنْ كَفِّ طَفْلَةٍ مُبْتَلَّةٍ حَوْرَاءَ كَالرَّشَاءِ الطِّفْلِ

يعود الشاعر بنا مرة أخرى إلى مجلس الشراب، فيصف لنا الساقية ويعدد أوصافها من كونها مبتلة أى كاملة الخلق جميلة "حوراء" والحور هو شدة سواد العين مع شدة بياضها، ثم يزيد من جمالها بقوله "كالرشاء الطفل" أى فى دلالها وتشوف عنقها.

وقد جاء هذا التشبيه أيضًا موافقًا للسياق، حيث ينقل النفس من هذه الصورة المحدثة وهى وصف ساقية الخمر إلى الوصف القديم وهو الوصف بالظباء. وفى البيت الذى يليه يقول مسلم :

٢٤- وَحَنَّ لَنَا عُودٌ، فَبَاحَ بِسِرِّنَا كَأَنَّ عَلَيْهِ سَاقَ جَارِيَةٍ عُطْلِ

يقول ومازال القول فى وصف مجلس الشراب إن العود كان يستثير أشجانه بنقعه وحذبه، ويدعهم يحفون إلى محبوباتهم كأن عليه ساق امرأة عاطلة خالية من الزينة والحلى، وهذا التشبيه يعبر عن إحساس الشاعر بالجمال الذى يبدو حسديًا. ويقول مسلم بن الوليد :

٢٦- إِذَا مَا اشْتَهَيْنَا الأُقْحُوَانَ تَبَسَّمَت لَنَا عَنْ ثَنَايَا لا قِصَارُ ولاَ ثُعْلِ

"الأقحوان" نوار أبيض، فهو يقول : إذا ما اشتهينا الأقحوان نظرنا إلى ثناياها عند تبسمها، فقد شبه أسنانها بالأقحوان فى البياض وطيب الرائحة، وهو تشبيه موفق

فى هذا السياق لأن الشاعر ذكر الأقحوان بما له من جمال اللون وطيب الرائحة، وخلع عليه صفة أخرى لهذه الثنايا بأنها لم يدخلها اعوجاج أو قصر أو تخالف فى منابتها. لذا جاء التشبيه رائعًا ودقيقًا وموافقًا للسياق، وهذا البيت يتفق وسياق البيت السابق له.

ويقول مسلم بن الوليد :

٢٧- وَأَسْعَدَهَا الْمِزْمَارُ يَشْدُو كَأَنَّهُ حَكْيُ نَائِحَاتٍ بِتْنَ يَبْكِينَ مِنْ ثُكْلِ

يشبه الشاعر صوت المزمار بصوت نائحات يبكين على فقد عزيز لديهن، وهو تشبيه (ينبو به مكانه من هذه الأبيات) لأنه غير متفق فى هذا السياق، ولعل هذا يرجع إلى حالة الشاعر النفسية التى انعكست على الأشياء من حوله، فهُيّئ له أنه صوت نائحة تبكى على فقد عزيز لديها.

ويذكر مسلم فى هذا البيت :

٣٠- إِذَا مَا عَلَتْ مِنَّا ذُؤَابَةُ شَارِبٍ تَمَشَّتْ بِهِ مَشْيَ الْمُقَيَّدِ فِي الْوَحْلِ

يشبه الشاعر نفسه إذا ما شرب ولعبت الخمر بعقله وتركته لا يقوى على المشى كأنما يمشى مقيدًا فى الوحل، فالشاعر موفق فى توضيح هذه الصورة لأنه يصفها وصف خبير كما أنها جاءت موافقة للسياق لأن الجو النفسى عند الشاعر يوحى بهذا، فإذا كان الوحل يلطخ صاحبه بالطين أيضًا الخمر تصيب شاربها بهذا الإثم وهذه قذارة حسية، فالخمر أيضًا تلطخ صاحبها بالإثم، وهو قذارة معنوية.

وفى هذا البيت يقول مسلم :

وَسَاقِيَةٍ كَالرِّيمِ هَيْفَاءَ طَفْلَةٍ بَعِيدَةِ مَهْوَى الْقُرْطِ مُفْعَمَةِ الْحِجْلِ

يصف الشاعر مجلس الشراب ويصف الساقية بأنها الريم وهو ولد الغزال، ويقول إنها هيفاء ضامرة البطن جميلة، ويبالغ فى جمالها فيصفها بأن عنقها طويل، وهو من علامات الجمال. ثم يزيد فى جمالها ويقول "مفعمة الحجل" أى ممتلئة الخلخال، وأراد بذلك غلظ ساقيها، وهذا البيت متفق فى السياق لما سبقه من أبيات، كما جاء النسق التشبيهى فى هذا التشبيه موفقًا من حيث وصف الشاعر هذه الفتاة بالريم، وهو وصف مناسب لهذا الجو حيث الطرب والأنس.

وفى قصيدة أخرى نرى فيها عطاء الشاعر مسلم بن الوليد لنتعرف على سياقاته التشبيهية فيها، فهو القائل :

يقول مسلم فى مدح "محمد بن هارون الأمين"[1] :

١- شُغْلِى عَن الدَّارِ أَبْكِيهَا وَأَرْثِيها	إذَا خلَتْ مِنْ حَبِيبٍ لِى مَغانِيهَا
٢- دَعِ الرَّوَامِسَ تَسْفِى كلَّمَا دَرَجَتْ	تُرَابَهَا وَدَعِ الأَمْطَارَ تُبْلِيهَا
٣- إنْ كَانَ فِيها الَّذِى أَهْوَى أَقَمْتُ بها	وَإنْ عَدَاها فَمَا لِى لا أُعَدِّيهَا
٤- أَحَقُّ مَنْزِلَةٍ بِالتَّرْكِ مَنْزِلَةٌ	تَعَطَّلَتْ مِنْ هَوَى نَفْسِى نَوَادِيهَا
٥- أَمْكَنْتُ عَاذِلَتِى فِى الْخَمْرِ مِنْ أُذُنِى	صَمَّاءَ يُعْيِى صَدَاها مَنْ يُنَادِيها
٦- وَقُلْتُ حِينَ أَدَارَ الْكَأْسَ لِى قَمَرٌ:	الآنَ حِينَ تَعَاطَى الْقَوْسَ بَارِيهَا
٧- يا أَمْلَحَ النَّاسِ كَفًّا حِينَ يَمْزجُهَا	وَحِينَ يَأْخُذُهَا صِرفًا وَيُعْطِيهَا
٨- قَدْ قُمْتَ مِنْهَا عَلَى حَدٍّ يُلائِمُهَا	فَهَا كَذَا فَأَدِرْهَا بَيْنَنَا إيهَا
٩- إنْ كَانَت الْخَمْرُ لِلأَلْبَابِ سَالِبَةً	فَإنَّ عَيْنَيْكَ تَجْرِى فِى مَجَارِيهَا
١٠- سِيَّانَ كَأْسٌ مِن الصَّهْبَاءِ أَشْرَبُهَا	وَنَظْرَةٌ مِنْكَ عِنْدِى حِينَ تصبيهَا
١١- فِى مُقْلَتَيْكَ صِفَاتُ السِّحْرِ نَاطِقَةٌ	بلَفْظٍ وَاحِدَةٍ شَتَّى مَعَانِيهَا
١٢-فَاشْرَبْ لَعَلَّكَ أَنْ تَحْظَى بِسَكْرَتِهَا	فَتَصْدُقُ الْكَأْسُ نَفْسًا مَا تُمَنِّيهَا
١٣- وَمُخْطَفِ الخَصْرِ فِى أَرْدَافِهِ عَمَمٌ	يَمِيسُ فِى خَامَةٍ رَقَّتْ حَوَاشِيها
١٤- إذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ تَاهَ عَنْ نَظَرِى	وَإنْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ زَادَنِى تِيهَا
١٥-لَوْلاَ "الأَمِينُ" الَّذى فى الأرض ما اختلست	بَنَاتُ لَهْوِى إذَا عَنَّتْ غَوَاشِيها
١٦- خَلِيفَةُ اللّهِ قَدْ ذَلَّتْ بِطَاعَتِهِ	صُفْرُ الْخُدُودِ بِرَغْمٍ مِن مَرَاقِيهَا
١٧- أَحْيَتْ يَدَاهُ النَّدَى والْجُودَ فَانْتَشَرَا	فِى الأَرْضِ طُرًّا وَجَالا فِى نَوَاحِيها
١٨- عَمَّت مَكَارِمُهُ الدُّنْيا فَأَوَّلُها	تُهْدِى نَدَاهُ إلَى أُخْرَى أَقَاصِيهَا

[1] الديوان، ص٢١٦ وما بعده.

١٩- كَمْ مِن يدٍ "لأمِين اللّهِ" لَوْ شُكِرَتْ   لَقَصَّرَ النَّفسُ عَنْ أدْنَى أدَانِيهَا

٢٠- فَتىً تُهينُ رِقَابُ الْمَال رَاحَتَهُ   إذَا أتَاهَا مُرِيدُ الْمَال يَبْغِيهَا

٢١- يُمْنَى يَدَيْكَ لَنَا جَدْوَى مُطَبِّقَةٍ   هَذا السَّحَاب بِأَعْلَى الأفْقِ يَحْكِيهَا

٢٢- حَلَّتْ "قُرَيْشُ" الْعُلا مِنْ كُلِّ مَكرُمَةٍ   وَحَلَّ بَيْتُكَ فِى أعْلَى أعَالِيهَا

٢٣- فُقْتَ الْبَرِيَّةَ مِنْ كَهْلٍ وَمِنْ حَدَثٍ   وَفَاقَ آبَاؤُكَ الْمَاضُونَ مَاضِيهَا

٢٤- شَيَّدْتَ بَيْتَكَ فِى عَلْيَاءَ مَكْرُمَةٍ   يُقَصِّر النَّجْمُ عَنْ أدْنَى مَرَاقِيهَا

٢٥- مَا يَسْبِقُ النَّاسُ فِى غَايَاتِ مَكرُمَةٍ   إلاّ وَكَفُّكَ دُونَ الْخَلْقِ تَحْوِيهَا

٢٦- خَلِيفَةُ اللّهِ لَوْ عُدَّتْ فَضَائِلُهُ   إذًا لَقَلَّ مِنَ الحُسَّابِ مُحْصِيهَا

٢٧- جَازَى "الأمِينُ" مُلُوكَ النَّاس كلَّهُم   فَمَا تُقَدِّمُ سَبْقًا فِى مَبَادِيهَا

٢٨- نَالَتْ مَكَارِمُكَ العيوقَ[1] فَاتَّصَلَتْ   بِهِ وَقَصَّرَ عَنْهَا مَنْ يُسَامِيهَا

٢٩- يَا أكْرَمَ النَّاس إذْ تُرْجَى لِنَائِبَةٍ   جَاءَتْ بِهَا حَادِثَاتُ الدَّهْر تَهْدِيهَا

٣٠- لَسْنَا نَخافُ صُرُوفَ الدَّهْرِ مَا عَلِقَتْ   أكُفُّنَا بِحِبَالٍ مِنْكَ تَمْرِيهَا

٣١- كَافَى الإمَامُ الْوَرَى طُرًّا بِأجْمَعِهَا   وَفَاقَهُم بِبُيُوتِ الْمَجْدِ يَبْنِيهَا

٣٢- رَآكَ رَبُّكَ أهْلاً إذْ حَبَاكَ بِهَا   فَابْقَ وَدُمْ بِسُرُورٍ نَاعِمًا فِيهَا

٣٣- أحْيَا الْمَكَارِمَ "هَارُونُ" وَأثْبَتَهَا   وَأنْتَ فِى النَّاس يَابْنَ الغُرِّ تُمْضِيهَا

٣٤- يَا مُثْبِتَ الْمُلْكِ إذْ زَالَتْ دَعَائِمُهُ   وَثَارَ بِالفِتْنَةِ العَمْيَاء بَاغِيهَا

٣٥- كَمْ طَعْنَةٍ لَكَ فِى الأعْدَاء مُهْلِكَةٍ   نَجْلاءَ تَعْجِلُهُم عَنْ نَفْثٍ رَاقِيهَا

٣٦- لَمَّا غَدَوْتَ إلَى الأعْدَاء مُطَّلِعًا   غَيْرَ الْجَبَان عَلَيْهَا لا تُبَالِيهَا

٣٧- قَسَمْتَ فِيهَا مَنَايَا غَيْرَ مُبْقِيَةٍ   وَقُمْتَ عِنْدَ نُفُوس الْحَقِّ تُحْيِيهَا

٣٨- أخْمَدْتَ بِالشَّرْقِ نِيرانًا مُؤَجَّجَةً   قَدْ كَانَ عزٌّ عَلَى الإسْلامِ مُخْبِيهَا

---

[1] العيوق . نجم أحمر مضيء فى طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا ولا يتقدمها.

هذه القصيدة نظمها الشاعر فى مدح "محمد بن هارون الأمين" وتحتوى على أربعين بيتًا، بدأها بالبكاء على الأطلال الدارسة متتبعًا فى ذلك القصيدة الجاهلية، ثم تدرج فيها إلى الحديث عن محبوبته، ثم وصف بعد ذلك مجلس الخمر وما يدور فيه من ساقية تشبه القمر أو هى القمر فى مفهومه، متدرجًا فى أثر الخمر وما تفعله بالعقول، عاقدًا موازنة فى البيتين التاسع والعاشر بين فعل الخمر ونظرة الفتاة التى تدير الكأس، فهو لا يفرق بينهما أو بالأحْرَى أثرهما واحد فيقول الشاعر :

إنْ كَانَت الْخَمْرُ لِلألْبَابِ سَالِبَةً ... فَإنَّ عَيْنَيْكَ تَجْرى فِى مَجَارِيهَا

سِيَّانَ كَأسٌ مِن الصَّهْبَاء أَشْرَبُهَا ... وَنَظْرَةٌ مِنْكَ عِنْدِى حِينَ تُصْبِيهَا

فِى مُقْلَتَيْكَ صِفَاتُ السِّحْرِ نَاطِقَةٌ ... بِلَفْظٍ وَاحِدَةٍ شَتَّى مَعَانِيهَا

فى البيتين الثانى عشر والثالث عشر يصف جمال الساقية وصفًا حسيًا ماديًا كعادة شعراء عصره.

إلى أن يصل إلى قوله :

فَتىً تُهِينُ رِقَابَ الْمَال رَاحَتُهُ ... إذَا أَتَاهَا مُرِيدُ الْمَال يَبْغِيهَا

يُمْنَى يَدَيْكَ لَنَا جَدْوَى مُطَبِّقَةٍ ... هَذا السَّحَاب بِأَعْلَى الأفْق يَحْكِيها

حَلَّتْ "قُرَيْشُ" الْعُلاَ مِنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ ... وَحَلَّ بَيْتُكَ فِى أَعْلَى أَعَالِيهَا

يمدح الشاعر الخليفة ويقول إن له راحة أى يد تهين رقاب المال وتدفع فى غير بخل ولا تقطير.

أما البيت التالى له فيأتى التشبيه المقلوب على سبيل المبالغة فى صفة الكرم حينما يجعل الشاعر السحاب فرعًا ويد الممدوح وعطاؤه أصلاً وقد جاء هذا التشبيه موافقًا للسياق ومعبرًا عنه أتم وأبلغ تعبير حينما أوجد علاقة المشابهة بين المشبه والمشبه به، لأن كرم الممدوح يعم الورى والسحاب كذلك، وأيضًا نظرة الشاعر إلى إعلاء شأن ممدوحه، ولم يجد ما يطاوله غير السحاب، وجعل السحاب محاكيًا للممدوح فى عطائه.

أما البيت الثالث، فيقول فيه : إذا كانت قريش تحتل العلا والمكارم فإن بيتك أيضًا يقع فى أعلى مكان فيها، والشاعر لا يقصد البيت بمعنى البنيان وإنما يقصد عنو

النسب والشرف، وقد وفق الشاعر فى سياق هذا التشبيه الضمنى، وذلك بعقد مشابهة بين العلو النفسى، وهو الشرف و الكرامة والعلو الحسى وهو البنيان الذى جاء فى البيت.

كَافَى الإمامُ الوَرَى طُـرًّا بأَجْمَعِهـا وَفَاقَهُـم ببيُوتِ الْمَجْـدِ يَبْنِيهَـا

استخدم الشاعر أداة التشبيه "كافى" فى سياق تشبيهى رائع عندما وصف ممدوحه بأنه حسيب نسيب يكافى الخلق أجمع إن لم يكن يتفوق عليهم.

وقد وفق الشاعر فى استخدام هذا السياق إذ أن عاطفة الشاعر وأحاسيسه وشعوره فى حالة المدح ترفع من قيمة ومكانة الممدوح، بل وتبالغ فى هذه الرفعة، ولذلك نجد أنه يختار التراكيب المناسبة مثل الورى طرًا بأجمعها وبيوت المجد بصيغة الجمع التى تدل على علو الحسب.

ثم يختم الشاعر قصيدته ببيتين فى سياق متناسب مع الوصف الذى من أجله أنشأ هذه القصيدة فيقول :

حَتَّى بُعِثْتَ عَلَيْهَا رَحْمَةً فَخَبَتْ نِيرانُهـا بـكَ فَـانْفَتَّتْ أَفَاعِيهَـا
مَا ضَيَّعَ اللّهُ قَوْمًا صِـرْتَ تَمْلِكُهُـمْ وَلاَ أَضَـاعَ بِـلاَدًا أَنْـتَ وَالِيهَـا

ففى البيت الأول يمدح الشاعر ممدوحه ويقول إنك بُعثت رحمة لهؤلاء القوم فانطفأت نيرانهم وأحقادهم حتى إنك قضيت على كل شرورهم. وأرى أن الشاعر متأثر بالقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف فى قوله "بعثت رحمة" وهو اقتباس، وهذا مما يظهر ثقافة الشاعر وتأثره بالعقيدة الإسلامية.

أما البيت الثانى فيختتم به قصيدته مؤكدًا مدحه للأمين وأن الله لا يضيع قومًا صرت ملكًا عليهم ولا بلادًا أنت واليها لأنك بالكرم صرت تؤمن للناس أقواتهم وأرزاقهم وبشجاعتك تؤمن لهم الأمن والأمان.

وقد كان الشاعر موفقًا فى اختيار الألفاظ لهذه المعانى التى جاءت فى سياق القصيدة كما تميز الشاعر بحسن التخلص الواضح من خلال قصيدته التى بدأها بالبكاء على الأطلال كعادة الشعراء الجاهليين، ثم نفذ بعد ذلك إلى وصف ديار الأحبة معرجًا

على وصف مجلس الخمر وما يدور فيه. ثم انتقل بعد ذلك إلى وصف الممدوح، وهو الغرض الأساسى الذى أنشئت من أجله القصيدة.

والقصيدة التالية تبين عطاء الشاعر، وقالها أيضًا فى مدح هارون الرشيد[1] :

هَاتِ اسْقِنِي طَالَ بِي الْحَبْس … مِن قَهْوَةٍ بَائِعُهَا وَكْسُ[2]

زَقِيَّةُ الدَّارِ رَصَافِيَّةُ … أَغْلَى بِهَا الشَّمَّاسُ والْقَسُّ[3]

كَأَنَّهَا فِى الكَأْسِ يَاقُوتَةُ … وَهْيَ إِذَا مَا مُزِجَتْ وَرْسُ[4]

فِى مَجْلِس لِلْقَصْفِ رَيْحَانُهُ … عِيْنُ الْمَهَا وَالْبَقَرُ اللُّعْسُ[5]

وَغَادَةٌ كَالبَدْرِ مَمْكُورَةٍ … خَالَطَنِي مِنْ حُبِّهَا مَسُّ[6]

أَلْسِنَةُ الشَّرْبِ إذا مَا جَرَتْ … كَأَنَّهَا أَلْسِنَةٌ خُرْسُ

"هَارُونُ" بَدْرٌ لِبَنِي هَاشِمٍ … وَأُخْتَ "هَارُونَ" لَهُمْ شَمْسُ

لا يَبْرَحُ الزُّوَّارُ مِن بَابِهَا … كَأَنَّمَا ضَمَّهُمُ عُرْسُ

هذه القصيدة قالها الشاعر فى مدح هارون الرشيد، وهى كما هو واضح تسير فى خطين متوازيين، فالخط الأول هو وصف مجلس الشراب، أما الخط الثانى فهو مدح الخليفة ومطلع القصيدة هو :

هَاتِ اسْقِنِي طَالَ بِي الْحَبْسُ … مِنْ قَهْوَةٍ بَائِعُهَا وكْسُ

يطلب الشاعر أن يشرب من خمر بائعها دنىء لأنه طال به الزمن و لم يشرب من هذا الصنف، وقد بدأ هذه القصيدة بفعل الأمر الذى خرج إلى الطلب ليتناسب مع سياق الموقف فى هذا الأمر، ثم يعقب على هذا البيت بقوله :

---

[1] الديوان، ص٢٧٩ وما بعدها.

[2] "الوكس" من الرجال : الدنىء.

[3] القس : القسيس.

[4] ورس : زعفران اليمن.

[5] اللعس : الحمر الشفاه مع سواد.

[6] الغادة : الناعمة اللينة، الممكورة : الطويلة الخلق.

زِقِيَّـــةُ الدَّارِ رصَافِيَـــــــــةُ   أغْلَـى بِهَا الشَّـــمَّاسُ والقَـــسُّ

يقول إن هذه الخمرة معتقة فى الزق ولذا فهو ينسبها إليه بقولـه "زقيـة الـدار". "رصفاية"، نراه نسبها أيضًا إلى رصافة وهى بلدة بالعراق اشتهرت بصناعة الخمـور، ثـم يبالغ الشاعر فى تجسيدها وخلـع المعـارف الإنسـانية عليهـا بقولـه "أغلـى بهـا الشـماس والقس" أى تغالوا فى مهرها، ليبعدها عن أن تكون مسلمة فهو ينفى هذا.

ثم يقول مسلم فى وصف الخمر :

كَأَنَّهَـــا فِى الْكَأسْ يَاقُوتَـــــةُ   وَهْـــــىَ إذَا مَـا مُزِجَـــتْ وَرْسُ

يشبه الشاعر الخمر فى الكـأس باليـاقوت فـى لونـه الأحمـر القـانى، وهـذا قبـل المزج، أما بعد المزج فيصبح لونها أصفـر بلـون الزعفـران وقـد وفـق الشـاعر فـى سـياق تشبيهه هذا لأنه أعطانا لونين فى تشبيه واحد كما وفـق أيضًـا فـى اختيـاره أداة التشـبيه "كأن" التى تفيد اتحاد العلاقة بين المشبه والمشبه به أو بمعنى آخر بين الخمـرة واليـاقوت، ولعله أراد ذلك لإيجاد علاقة بين مهر هذه الخمرة وثمن الياقوت فى ارتفاع القيمة.

ثم ينتقل إلى وصف الساقية فيقول :

فى مَجْلِـسِ لِلْقَصْـــفِ رَيْحَانُـــهُ   عَـيْنُ الْمَـــهَـــا وَالْبَقَـــرُ اللُّعْـــسُ

يشبه الشاعر عين هذه الفتاة بعيون المها والبقر الوحشى فـى الجمـال والاتسـاع وهو تشبيه نجح الشاعر فى سياقه وبيان إبراز جمال السـاقية واختـار عيـون المهـا وعيـون البقر الوحشى لتكون أقرب إلى وصف الطبيعة فى جمال هذه الفتاة.

ثم يقول فى البيت التالى فى وصف الفتاة أيضًا :

وَغَـــادَةٌ كَالْبَـــدْرِ مَمْكُـــوُرَةٍ   خَالَطَنِى مِـــنْ حُـــبِّهَـــا مَـــسُّ

يشبه هذه الفتاة الجميلة الناعمة بالبدر فى الضياء واستدارة الوجـه، ويقـول إنـه خالطه مس حبها، والمس هنا معناه شيء من الجنون، وقد وفـق الشـاعر فـى سـياق هـذا التشبيه لما سبقه، وأيضًا لوصفه صفات الجمـال بـالوصف الجزئـى مـن بيـاض واسـتدارة وجه، كما نجح فى إيجاد علاقة بين البدر فى هذا البيت والمها والبقر الوحشى فى البيـت السابق عليه، وقد وفق الشاعر فى هذا التشبيه.

أما فى البيت التالى فنراه يقول :

أَلْسِنَةُ الشُّرْبِ إِذَا مَا جَرَتْ   كَأَنَّهَا أَلْسِنَةٌ خُرْسُ

يحاول الشاعر أن يبين لنا الأثر الذى تتركه فى شاربها حتى كأنه فى منطقه أخرس يحاول أن يتكلم ولكن دون جدوى، وقد وفق الشاعر فى سياق هذا التشبيه لاختياره أداة التشبيه "كأن" التى تخيل أن المشبه هو عين المشبه به، وذلك لزيادة المبالغة لأن الشاعر فى هذا التشبيه ينفر من الخمرة ويوضح أثرها السيء على الإنسان، إذ يبرز أثرها فى صورة الأخرس الذى مُنِع من نعمة البيان، وهى الميزة التى ميز الله بها الإنسان عن الحيوان، والشاعر ينتقل بنا فجأة إلى مدح الخليفة، فيقول :

"هَارُونُ" بَدْرٌ لِبَنِى هَاشِمٍ   وَأُخْتُ "هَارُونَ" لَهُمْ شَمْسُ

لا يَبْرَحُ الزُّوَّارُ مِن بَابِهَا   كَأَنَّمَا ضَمَّهُمُ عُرْسُ

عندما يشبه الشاعر هارون بالبدر وأخته بالشمس لهم نجد أن التشبيه موافق للسياق؛ إذ أن الشاعر رفعهما إلى السماء العلا، ومن هذه السماء التقت لهم البدر والشمس ليبرزهما فيها.

أما البيت الثانى، فعندما شبه وجود الزوار لهم بكثرة لا يبرحون وكأنهم فى حفل عرس، فهذا التشبيه قد وفق الشاعر فى سياقه لأنه أوجد علاقة الكرم والجود المستمرين ووجود العرس دليل الفرح، وهذا من أثر نفسية الشاعر المملوءة بالفرح والسرور.

وكما هو واضح فقد نجح الشاعر فى نقلنا من غرض إلى غرض فى القصيدة الواحدة فى سهولة وانسياب ودون خلل أو طفرة تلجئنا إلى التوقف، وسوف نعرض لعطاء الشاعر فى القصيدة التالية :

يقول مسلم :[1]

١-وَسَاحِرَةِ الْعَيْنَيْنِ مَا تُحْسِنُ السِّحْرَا   تُوَاصِلُنِى سِرًّا وَتَقْطَعُنِى جَهْرَا

---

[1] الديوان، ص٤٤ وما بعدها

٢-أَبَتْ حُدَقُ الْوَاشِينَ أَنْ يَصْفُـو الْهَـوَى   لَنَـا فَتَعَاطَيْنَـا التَّعَـزِّى وَالصَّبْرَا

٣- وَكُنَّـا أَلِيفَـىْ لَـذَّةٍ شَـمْلَ صَفْـوَةٍ   حَلِيفَـىْ صَفَاء مَا نَخَـافُ لَـهُ غَـدْرَا

٤- فَقُدْنَا كَغُصْنَىْ أَيْكَـةٍ كُلَّمَا جَـرَتْ   لَهَا الرِّيحُ أَلْقَتْ مِنْهُمَا الْوَرَقَ الْخُضْرَا

٥- وَزَائِـرَةٍ رُعْـتُ الْكَـرَى بِلِقَائِهَـا   وَعَادَيْتُ فِيهَا كَوْكَبَ الصُّبْحِ وَالْفَجْرَا

٦- أَتَتْنِـى عَلَـى خَـوْفِ الْعُيُـون كَأَنَّهَـا   خَذُولٌ تَرَاعِـى النَّبتَ مُشْعَرَةً ذُعْـرَا

٧- إذا مَا مَشَتْ خَـافَتْ تَمِيمَـةَ حَلْيِهـا   تُدَارِى عَلَى الْمَشْى الْخَلاخِيلَ وَالْعِطْرَا

٨- فَبِـتُّ أُسِـرُّ الْبَـدْرَ طَـوْرًا حَدِيثَهَـا   وَطَوْرًا أُنَـاجِى الْبَدْرَ أَحْسِبُهَا الْبَدْرَا

٩-إِلَى أَنْ رَأَيْتُ اللَّيْلَ مُنْكَشِفَ الدُّجَى   يُـوَدِّعُ فِـى ظَلْمَائِـهِ الأَنْجُـمَ الزُّهْـرَا

١٠- خُذَاهَا فَأَمَّا أَنْـتَ فَاشْرَبْ وَهَاتِهـا   لأَسْـقِيهَا هَـذا مُعَتَّقَـةً بِكْـرَا

١١-وَهَاتِ اسْقِنِى مِنْ طَرْفِهَا خَمْرَ طَرْفِهَا   فَـإِنِّى امْـرُؤٌ آلَيْـتُ لا أَشْـرَبُ الْخَمْـرَا

١٢- أَرُودُ بِعَيْنِـى مَنْظَـرَ اللَّهْـوِ وَالصِّبَـا   وَأَهْـوَى ظِبَـاءَ الإِنْـسِ وَالْبَقَـرَ الْعُفْـرَا

١٣- وَبِنْـتِ مَجُوسِيتِى أَبُوهَـا حَلِيلُهَـا   إِذا نُسِبَتْ لَـمْ تَعْـدُ نِسْبَتُها "النَّهْـرَا"

١٤-تَجِيشُ فَتُغْدِى جَوْهَرَ الحَلْىِ خِدْرَها   وَتُغْضِى فَتُغْدِى نَكْهَةَ العَنْـبَرِ الْخِدْرَا

١٥- أَخَـصُّ النَّدَامَـى عِنْدَهَـا وَأَحَبُّهُـم   إِلَيْهَا الَّذِى لا يَعْرِفُ الظُّهْـرَ وَالْعَصْـرَا

١٦- بَعَثْـتُ لَهَـا خُطَّابَهـا فَـأَتَوْا بِهـا   وَسُقْتُ لَهَـا عَنْهُـم إِلَـى رَبِّهَـا الْمَهْـرَا

١٧- وَمَازَالَ خَوْفًا مِنْهُم فِـى جُحُودِهـا   يُقَرِّبُهُـم فِـتْرًا وَيُبْعِدُهُـم شِـبْرَا

١٨- إلى أَنْ تَلاقُوهَـا بِخَـاتَمِ رَبِّهَـا   مُخَـدَّرَةً قَـدْ عُتِّقَـتْ حِجَجًـا عَشْـرَا

١٩- إذا مَسَّهَا السَّاقِى أَعَارَتْ بَنَانَـهُ   جَلابِيبَ كَالْجَادِى مِنْ لَوْنِهَـا صُفْـرَا

٢٠- أَنَـاخَ عَلَيْهَـا أَغْبَرُ اللَّـوْن أَجْـوَفُ   فَصَـارَتْ لَـهُ قَلْبًـا وَصَارَ لَهَـا صَـدْرَا

٢١- قُلُوبُ النَّدَامَى فِـى يَدَيْهَـا رَهِينَـةٌ   يَصِيدُونَهَـا قَهْـرًا وَتَقْتُلُهُـمْ مَكْـرَا

٢٢- أَبَتْ أَنْ يَنَـالَ الـدَّنُّ مَـسَّ أَدِيمِهَـا   فَحَـاكَ لَهَـا الإِزْبَـادُ مِـنْ دُونِهَـا سِتْرَا

٢٣- إِذَا مَا تَحَسَّاهَا الْحَلِيمُ أَخُو النُّهَـى   أَسَـرَّ بِهَا كِبْرًا وَأَبْدَى بِهَا كِـبْرَا

٢٤- وَدَارَ بِهَا ظَبْيٌ مِن الإنْس نَاعِمٌ تَرُودُ عُيُونُ الشَّرْبِ جَانِبَهُ شَزْرَا

٢٥- فَحَثَّ مَطِيَّ الرَّاحِ حَتَّى كَأَنَّمَا قَفَا أثَرَ الْعَنْقَاء أَوْ سَايَرَ الْخِضْرَا

٢٦- إذَا مَا أَدَارَ الكَأْسَ ثَنَّى بِطَرْفِهِ فَعَاطَاهُم خَمْرًا وَعَاطَاهُم سِحْرًا

٢٧- إلَى أَنْ دَعَا لِلشُّكْرِ دَاعٍ فَموتُوا وَكَانَ مُدِيرُ الْكَأْسِ أَحْسَنَهُمْ سُكْرَا

٢٨- أَدَارَ عَلى الرَّاحِ البَيَاتَ فَصَيَّرَتْ وِسَادًا لَهُ مِنْهُ التَّرَائِبَ وَالنَّحْرَا

٢٩- ظَلِلْنَا نَشوفُ الْجِلْدَ بِالْجِلْدِ لا نَرَى لَهُ وَلَهَا فِي طِيبِ مَجْلِسِنَا قَدْرَا

٣٠- سَلَكْنَا سَبِيلاً للصَّبَا أَجْنَبِيَّةً ضَمَّنَا لَهَا أَنْ نَعْصِي الَّلومَ وَالزَّجْرَا

٣١- بِرَكْبٍ خِفَافٍ مِنْ زُجَاجٍ كَأَنَّهَا ثُدِيٌّ عَذَارَى لَمْ تَخَفْ مِنْ يَدٍ كَسْرَا

٣٢- عَلَيْنَا مِنَ التَّوْقِيرِ وَالْحِلْمِ عَارِضٌ إذَا نَحْنُ شِئْنَا أَمْطَرَ العَزْفَ وَالزَّمْرَا

في هذه القصيدة يبدأها الشاعر بالغزل، ثم يصف بعد ذلك الخمر ومجالسها وما يتصل بها، فيبدأ بقوله :

وَسَاحِرَةِ الْعَيْنَيْنِ مَا تُحْسِنُ السِّحْرَا تُوَاصِلُنِي سِرًّا وَتَقْطَعُنِي جَهْرَا

يصف الشاعر سحر جمال عيون صاحبته ويقول إنها تواصله سرًا وتقطعه جهرًا حتى لا يعلم بأمرهما أحد.

ثم يشبه الشاعر نفسه وصاحبته بقوله :

فَعُدْنَا كَغُصْنَيْ أَيْكَةٍ كُلَّمَا جَرَتْ لَهَا الرِّيحُ أَلْقَتْ مِنْهُمَا الْوَرَقَ الْخُضْرَا

الأيكة : هي الشجر الملتف.

يريد أن حالتنا عادت بعد حسنها وغضارتها كغصنين كانا في أيكة، فهبت لها الريح ألقت ورقها فعادت إلى سوء الحال الأول. فقد شبه نفسه وصاحبته بغصني الأيكة التي تبدل حالهما من حال إلى حال. والشاعر وفق في سياق هذا التشبيه لأنه اختار المشبه به مع الحال المناسبة لحالها في عدم الاستقرار إذ أنه يعتقد أن الحب كحديقة غناء وإنْ كان يصيبها بعض عوادي الطبيعة كذلك انعكاس الحالة النفسية الخاصة بالشاعر على التشبيه.

ما في هذ البيت يقول مسلم

أَتَتْنِي عَلَى خَوْفِ الْعُيُون كَأَنَّهَا خذُولٌ تُرَاعِي النَّبْت مُشْعِرَةً ذُعْرا

يقول : أتتنى هذه الجارية ليلاً وهى تخاف عيون الوشاة وكأنها خذول من الظباء ترعى النبت وهى خائفة، وقد جاء السياق موافقًا لما أراده الشاعر، حيث استهل التشبيه بالفعل الماضى الذى يفيد الدوام والثبوت، كذلك زاد من قيمة التشبيه البلاغية القيد الموجود فى الطرفين فى قوله "على خوف"، كذلك قوله "مشعرة ذعرًا"، فالقيد الموجود فى المشبه وصف الحالة النفسية التى جاءت عليها الفتاة، كذلك القيد الموجود فى المشبه به وصف الحالة التى استمرت فيها، لذلك جاء السياق موفقًا واختيار الغزال فى هذا التشبيه يناسب السياق، حيث تمتاز الغزالة بالجمال والخوف، أما فى هذا الوصف فنراه يقول :

فَبِتُّ أُسِرُّ الْبَدْرَ طَوْرًا حَدِيثَهَا وَطَوْرًا أُنَاجِي الْبَدْرَ أَحْسِبُهَا الْبَدْرَا

فى هذا التشبيه يستهل الشاعر البيت بالفعل المضارع الذى يفيد التجدد والحدوث، فهو يشبه صاحبته بالبدر ويكلمه "وطورًا يناجى البدر يحسبها البدرا". وقد وفق الشاعر فى السياق لأنه اختار البدر مشبهًا به، حيث يناسب السياق من الحديث عن الليل والسهر والقلق مع الجو النفسى للشاعر.

أما البيت التالى فنسمع مسلم يقول فيه :

إلَى أَنْ رَأَيْتُ اللَّيْلَ مُنْكَشِفَ الدُّجَى يُوَدِّعُ فِي ظَلْمَائِهِ الأَنْجُمَ الزُّهْرا

يقول إننى سهرت أناجى البدر حتى انكشف الدجى وودع ظلمائه النجم الزاهر لافتراقه عنها. وهذا البيت وفق الشاعر فى سياقه حيث استخدم الفعل المضارع فى قوله "يودع" وهو يدل على التجدد والحدوث، والفعل الماضى "رأيت" الذى يدل على الثبوت كما استعمل الطباق بين كلمتى "الدجى" و"الأنجم الزهرا". وأما الترادف فقد استخدمه الشاعر استخدامًا موفقًا فى قوله (الليل، الدجى، ظلمائه).

أما البيت التالى فنرى الشاعر ينتقل إلى مجلس الشراب ويجرى حوارًا مع زميلين له فيقول :

خُذَاهَا فَأَمَّا أَنْتَ فَاشْرَبْ وَهَاتِهَا لأَسْقِينَا هَذَا مُعَتَّقَةً بِكْرَا

فلغة الحوار الموجودة فى هذا البيت أضفت حيوية على القصيدة.

يستمر الشاعر فى سرد الحديث عن الخمر إلى أن نصل بقوله :

١٩- إذا مَسَّهَا السَّاقِي أَعَارَتْ بَنَانَهُ جَلَابِيبَ كَالْجَادِي مِنْ لَوْنِهَا صُفْرَا

٢٠- أَنَاخَ عَلَيْهَا أَغْبَرُ اللَّوْنِ أَجْوَفُ فَصَارَتْ لَهُ قَلْبًا وَصَارَ لَهَا صَدْرَا

٢١- قُلُوبُ النَّدَامَى فِي يَدَيْهَا رَهِينَةٌ يَصِيدُونَها قَهْرًا وَتَقْتُلُهُمْ مَكْرَا

فى البيت الأول يصف الشاعر انعكاس لون الخمرة على أنامل الساقى عبر الكأس، وهذا التشبيه أثره مؤقت يزول بزوال المؤثر، لذلك لم يكن من وراء سياقه التشبيهى قيمة فنية تذكر.

أما البيت التالى له فنرى الشاعر يستهله بالفعل الماضى "أناخ" ومعناه برك، فهو يشبه الخمر وهى داخل الزق الأجوف حتى كأنها صارت له قلبًا وصار لها كالصدر يحميها من كل سوء. فالتشبيه كما نرى ب إلا أنه جاء موافقًا للسياق لأنه وصف الخمر وصفًا حقيقيًا حيث وقع تشبيهين فى هذا المثال : التشبيه الأول صارت الخمر كالقلب للزق، والتشبيه الثانى : صار الزق بالنسبة للخمر كالصدر. وأظنه اختار الصدر لدلالة معينة هو أن الصدر أقوى شىء فى جسم الإنسان يستطيع تحمل المشقات، ولذلك وفق الشاعر فى هذا الأمر.

أما البيت الذى يليه فيشبه قلوب الندامى فى يدى الخمر كالرهينة، فهم يشربونها قاهرين لها، وهى تقتلهم بالمكر فى لطف ويسر بلا أذاة، وقد وفق الشاعر فى سياقه التشبيهى حيث استعمل كلمة تقتلهم، وهو استعمال مجازى، والمعنى أن تأثير الخمر يفقدهم الشعور والإحساس كالقتلى تمامًا. ثم بعد ذلك هو يجعل شربها قهرًا لها، وتأثيرها قتلاً لهم بطريقة اللطف والسهولة من قبيل المكر، حيث إن الرهينة ليس لها فكاك أو مهرب إلا بدفع المال أو الدية، فالشاعر قد أجاد فى هذا التشبيه.

وفى صورة يصف فيها مسلم مشهدًا آخر للخمر فيقول :

فَحَثَّ مَطِيَّ الرَّاحِ، حَتَّى كَأَنَّمَا قَفَا أَثَرَ الْعَنْقَاءِ أَوْ سَايَرَ الْخِضْرَا

يقول الشاعر إنَّ المدير كان يحث مطى الراح، كما يحث الظاعن مطيته، إلا أنه يقتفى أثر الوهم، لأنه كان يقتفى أثر العنقاء أو يساير الخضرا. والعنقاء طائر لا وجود له، أما الخضر فهو عبد صالح يمتطى حصان الغيب، يكون فى مكان وفى آخر معًا، وقد جاء السياق موافقًا للتشبيه الذى أراده الشاعر حيث يبين لنا سرعة مدير الكأس وهو يوزع بخفة حركته كؤوس الطلا وكأنه يساير موكب سيدنا الخضر عليه السلام.

والشاعر كما نرى تظهر ثقافته الإسلامية فى استخدامه هذه الإيماءات من آن لآخر، ويعتبر هذا التشبيه من التشبيهات المبتكرة لدى الشاعر، حيث تلح عليه اختراع الصور الجديدة الغريبة. ثم نجد تشبيهه الأخير فى هذه القصيدة يقول فيه :

بِركْبٍ خِفَافٍ مِنْ زُجَـاجٍ كَأَنَّهَـــا ثُدِىُّ عَذَارَى لَمْ تَخَفْ مِنْ يَدٍ كَسْــرا

يشبه الكؤوس المصنوعة من الزجاج بثدى العذارى لوقارها، وأنها لم تخف من يد كسرًا، وقد وفق الشاعر فى سياق هذا التشبيه حيث أوجد علاقة بينهما وهى الاستدارة.

كما أنه استخدم أداة التشبيه "كأن" التى تفيد أن المشبه هو عين المشبه به.

وفى ختام هذه القصيدة، أستطيع أن أقول إن الشاعر قد وفق فى استخدام سياقاته التشبيهية كل فى موضعه.

الفصل الخامس

التشبيه بين مسلم بن الوليد وأبى تمام

في هذا الفصل سيكون موضوعه بإذن الله تعالى : "موازنة نقدية للتشبيه بين مسلم بن الوليد وأبي تمام حبيب بن أوس الطائي".

لماذا ؟ لأنه تتلمذ على مسلم في مدرسة البديع.

يذكر الآمدي في الموازنة[1] : عن خصوم أبي تمام قولهم إن أبا تمام شديد التكلف، صاحب صنعة ومستكره الألفاظ والمعاني، وشعره لا يشبه أشعار الأوائل، ولا على طريقتهم، لما فيه من الاستعارات البعيدة، والمعاني المولدة، فهو بأن يكون في حيز مسلم بن الوليد ومن حذا حذوه -أحق وأشبه.

وعلى أني لا أحد من أقرنه به، لأنه ينحط عن درجة مسلم، لسلامة شعر مسلم وحسن سبكه، وصحة معانيه، ويرتفع عن سائر من ذهب هذا المذهب وسلك هذا الأسلوب، لكثرة محاسنه وبدائعه واختراعاته، ولذا سنقف عند التشبيه وهو موضوع دراستنا لنرى كيف تأثر أبو تمام بمسلم بن الوليد باعتباره سابقًا عليه ورأس مدرسة البديع التي تتلمذ عليها أبو تمام لنرى مدى تحقق ما جاء في الموازنة عن أبي تمام. ولذا سأبدأ بوصف الخمر عند كل من مسلم بن الوليد وأبي تمام لنقف وقفة متأنية على معاني كل شاعر منهما :

يقول مسلم بن الوليد :

١- وَكَأَنَّهَا وَالْمَاءُ يَطْلُبُ حِلْمَهَا	لَهَبٌ تُلَاطِمُهُ الصَّبَا فِي مَقْبِسِ[2]
٢- كَأَنَّهَا وَصَبِيبُ الْمَاءِ يَقْرَعُهَا	دُرٌّ تَحَدَّرَ مِنْ سِلْكٍ عَلَى ذَهَبِ[3]
٣- مُزِجَتْ وَلَاوَذَهَا الْحَبَابُ فَحَاكَهَا	فَكَأَنَّ حِلْيَتَهَا جَنَى النَّرْجِسِ[4]
٤- كَأَنَّهَا وَسِنَانُ الْمَاءِ يَقْتُلُهَا	عَقِيقَةٌ ضَحِكَتْ فِي عَارِضٍ بَرِدِ[5]

---

[1] الموازنة بين أبي تمام والبحتري، ص٤، ٥، ج١، للآمدي.

[2] الديوان، ص١٣٢.

[3] نفس المصدر السابق، ص٢٠٩.

[4] الديوان، ص١٣٢.

[5] نفس المصدر السابق، ص٨١.

أما قول أبى تمام فى وصف الخمر فهو :

١- إِذا عُوتِبَتْ بِالْمَاء كَانَ اعْتِذَارُهَـا لَهِيبًا كَوَقْعِ النَّارِ فِي الحَطَبِ الْجَزْلِ[1]

فقد شبه مسلم بن الوليد الخمر عند مزجها بالماء عدة تشبيهات هى أروع وأرقى وأجزل من تشبيه أبى تمام عندما يكون هذا اللهب فى مقبس النار، كما أنه شبهها أيضًا بأنها عند مزجها تكون كالدر الذى ينتظم فى سلك من الذهب، كما شبهها أيضًا بأنها عند مزجها تكون كالنرجس الطرى الناضج الذى له رونق فى شكله وأيضًا له رائحة وأريج عبق. ثم فى تشبيهها بأنها عندما يمتزج بها الماء فيقتلها فتشبه العقيقة التى تضحك فى عارض برد.

نرى أن مسلمًا بن الوليد قد تفنن فى اختراع صور لمزج الخمرة بالماء وأعطانا معطيات حسية مجسدة لهذه الخمر، ثم زاد على أنه ابتدع هذه التشبيهات، ولو أن أبا تمام اقتفى أثر مسلم فى هذا لصح أن نقول إنه سار على منهجه وتأثر به أيما تأثر، ولكن لم نجد للطائى سوى هذا البيت فى مجموع ديوانه المكنون من أربع مجلدات كبيرة، وإذا به لم يزد فى تشبيهه لهذه الخمرة سوى أن لها لهيبًا كوقع النار فى الحطب الجزل وهى صورة بسيطة ليس فيها خيال كما ترى مع أنه جسدها أيضًا بقوله "كان اعتذارها"، والاعتذار كما نعلم لا يكون إلا للأشياء العاقلة فإذا انتقلنا إلى صورة أخرى من صور الخمر وجدنا مسلم بن الوليد يقول :

٢-حَمْراء إِنْ بَرَزَتْ صَفْراء إِنْ مُزِجَتْ كَأَنَّ فِيهَا شَـرَارَ النَّارِ تَلْتَهِـبُ[2]

أما أبو تمام فنراه يقول :

٣- وَكَأَنَّ بَهْجَتَهَا وَبَهْجَةَ كَأْسِهَا نَارٌ ونُـورٌ قُيِّـدَا بِوِعَـاءِ[3]

يقول مسلم فى بيته إن الخمرة لها لونان : الأحمر قبل المزج وهو عند ظهورها من الدن، والأصفر عندما تمتزج بالماء كأن شرار هذه الخمر يلمع فى حافة الكأس، وهذا

[1] ديوان أبى تمام بشرح التبريزى، دار المعارف، ج٤، ص٥١٩.

[2] الديوان، ص٢٢٧.

[3] ديوان أبى تمام بشرح التبريزى، ج١، ص٣٢.

ما يقوله الشاعر ويزيد على أنها سيكون لونها أحمر في قاع الكأس وأصفر في حافته كأنه شرار النار، وهذا التشبيه تشبيه واقعي نتمثله جميعًا عندما نقرأ هذا البيت.

فإذا اتجهنا إلى أبي تمام وجدناه يقول : كأن بهجة الخمر وبهجة منظر الكأس كأنهما نار ونور اجتمعا في الوعاء؛ فالنار هي لهب أو حرارة الخمر في جوف الكأس، أما النور فهو الحباب أو الشرر الذي يمتزج من هذا الكأس أو على حافته.

فهذا التشبيه تشبيه واقعي أيضًا كتشبيه مسلم إلا أنني أرجح أن تشبيه "مسلم ابن الوليد" أقوى من تشبيه أبي تمام لأنه زاد على وصف أبي تمام بإعطائنا معنى يزيد عليه في أنه وصفها قبل المزج وبعده، ثم مقابلة الألوان أيضًا في النتيجة لهذا المزج فقد كان موفقًا في هذا التشبيه، فهو قد اتفق مع أبي تمام في التشبيه إلا أنه فاقه بهذه المعطيات التي أضافها إلى تشبيهه. أما قول مسلم بن الوليد في الخمر أيضًا :

١- إنْ كَانَتْ الْخَمْرُ لِلأَلْبَابِ سَالِبَةً   فَإنَّ عَيْنَيْكَ تَجْرِى فِى مَجَارِيهَا[١]

فهذا البيت يشبه الشاعر فعل الخمر بأنها تسلب العقول كما أن عينيك تسلب العقول لأنها تجرى مجرى الخمر في الدم، إلا أن أبا تمام يقول في هذا المعنى :

١- خَرْقَاءُ يَلْعَبُ بالعُقُولِ حَبَابُهَا   كَتَلَعُّبِ الأَفْعَالِ بالأَسْمَاءِ[٢]

فالخرقاء هي التي لا تحسن عمل الأشياء. فالشاعر قد جسد الخمر بأنها امرأة لا تحسن أي شيء، ثم جعل حبابها يلعب بالعقول، وكيف ذلك ؟؟؟ كلعب الأفعال بالأسماء.

كيف ذلك فقد ناقض الشاعر نفسه لأن التي لا تحسن عمل شيء فمن باب أولى ألا يحسن حبابها شيئًا.

أما وقد جعل الشاعر حبابها يلعب بالعقول فنراه متناقضًا مع نفسه، ثم يشبه هذا اللعب بلعب الأفعال بالأسماء، وهي أيضًا تجربة هينة وتحسب على الشاعر من العيوب التي وقع فيها، إذ استعمل اصطلاحات العلوم في الشعر وهو مذموم عند جمهرة النقاد.

---

[١] ديوان مسلم بن الوليد، ص٢١٧.

[٢] ديوان أبي تمام، ص٢٩، ج١.

وفى نهاية هذا... نرى أن أبا تمام لم يكن له باع فيه (أقول إنَّ مسلمًا قد تفوق عليه واعتبر بحق أستاذًا له كما يقول النقاد وعلى رأسهم الآمدى وهو من النقـاد الادبـاء المشهود له برجاحة العقل وفطنة الذكاء والقول الفصل، وفى تشبيهات المرأة يقول مسلم ابن الوليد :

١- أنَا الشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ حِينَ تَبْدُو   وَلَكِنْ لَسْتُ أَعْـرِفُ بِالْمَغِيـبِ[1]

أما أبو تمام فيقول :

٢-فَنَعِمْتُ مِنْ شَمْس إذَا حُجِبَتْ بَدَتْ   مِنْ نُورِهَـا فَكَأَنَّهَا لَـمْ تُحْجَـبِ[2]

فمسلم بن الوليد يشبه هذه الحسناء بالشمس المضيئة حين تبدو إلا أنهـا تزيـد عنها بأنها لا تغيب فهى شمس دائمًا، بمعنى أن شمسه تختلـف عـن بـاقى الشـموس لأنهـا تتصف بصفة الظهور دائمًا.

أما أبو تمام فهو يشبه محبوبته بالشـمس لكنهـا إذا حجبـت ظهـرت مـن نورهـا فكأنها لم تحجب.

هذا التشبيه ينحو نحو معـانٍ فلسـفية بعيـدة متأولـة والتشـبيه إذا جنـح للتـأويل للمعانى البعيدة كـان مسـتكرهًا. فالشـمس عنـده شمسـان : شمس محبوبتـه، والشـمس المضيئة فى الكون (أحجاب شمسه ستكون سببًا فى ظهورها فـى تفكـيره أو إذا خرجـت بالحجاب بدا نورها وجمالها وكأنها لم تحجب، وهـذا المعنـى يحتـاج إلى تـأويل)، فمعنـى مسلم أبسط وأجزل.

ثم ننتقل إلى معنى آخر، فنرى مسلمًا بن الوليد يقول :

٣- وَسَـاقِيَةٍ كَـالرِّيمِ هَيْفَـاءَ طَفْلَـةٍ   بَعيدةُ مَهْوَى الْقُرْطِ مُنْعَمَة الْحِجْلِ[3]

٤- إذَا أطَاعَتْ عَصَاهَا ثِقْلُ رَادِفِهَـا   كَالدَّعْصِ يَفْرَعُهُ غُصْنٌ مِن الْبُسْتَانِ[4]

---

[1] ديوان مسلم، ص٢٩١.

[2] ديوان أبى تمام، ج١، ص٩٥.

[3] ديوان مسلم، ص٤٢.

[4] المصدر نفسه، ص١٢٤.

أما أبو تمام فيقول فى هذا المعنى :

كالخوط فى القد والغزالة فى البهجة وابن الغزال فى غيده[1]

فمسلم يشبه الساقية بأنها كالريم أى كالظبى هيفاء، طويلة العنق، ممتلئة السيقان، فكأن محور تشبيه مسلم بن الوليد وصف هذه الساقية بالريم فى تلفته ودلاله، فلم يفته أن يصفها وصفًا حسيًا ماديًا كما شبهها فى البيت الثانى بأن أعلاها غصن بان فى القد وكفلها دعص رمل فى ثقله ولينه. ولعلها كانت هذه هى مقاييس الجمال عندهم. أما بيت أبى تمام فإنه يقول فى تشبيهه أنها كشجرة الخوط فى القد، والشمس فى البهجة، وابن الغزال فى دلاله وجماله. فقد ذكر فى البيت الغزالة، والمراد بها الشمس، وابن الغزال والمراد به ابن الغزال الحقيقى.

فنرى أن مسلمًا اتفق مع أبى تمام فى هذا الوصف إلا أنه زاد عليه بأنها "بعيدة مهوى القرط"، "مفعمة الحجل) فالأول كناية عن طول الجيد، والثانى كناية عن غلظ ساقها.

ثم نسمع لقول مسلم فى وصف المرأة يقول :

١- وَدَارَتْ عَلَيْنَا الْكَأْسُ مِن كَفِّ طَفْلَةٍ مُبَتَّلَةٍ حَوْرَاءَ كَالرَّشَاءِ الطِّفْلِ[2]

أما أبو تمام فيقول :

٢- وَمِنْ جِيدِ غَيْدَاءَ التَّثَنِّى كَأَنَّمَا أَتَتْكَ بِلَيْتَيْهَا مِنَ الرَّشَاءِ الْفَرْدِ[3]

يقول مسلم : إن الكأس دارت من كف طفلة جميلة حوراء كالغزال الصغير فى تلفتها ودلالها.

أما أبو تمام فقد وصفها بأنها غيداء الجيد، كأنما أتت من غزال فرد، ومعنى هذا أن الغزال إذا كان وحيدًا أو ليس مع جماعات الغزلان يأتى بحركات عشوائية عفوية كما يحلو له، فمرة يقفز للأمام، وتارة أخرى يجرى دونما يشغله أحد.

---

(1) ديوان أبى تمام، ج١، ص٤٢٧، تحقيق محمد عبده عزام، نشر دار المعارف.

(2) ديوان مسلم بن الوليد، ص٤٠.

(3) ديوان أبى تمام، ج٢، ص١١١.

فالمعنى الذى دار فى فلكه "مسلم بن الوليد" أقوى من معنى أبى تمام لأنه زاد على المعنى الذى اتفقا فيه بكون هذه الفتاة كاملة الخلق ذات عينين جميلتين.

فإذا انتقلنا إلى معنى آخر عند "مسلم بن الوليد" فنراه يقول :

٣- وَمُخَدَّرَاتٍ نَاعِمَاتٍ خُرَّدٍ   مِثْلَ الدُّمَى حُورِ الْعُيُونِ كَوَاعِبِ[١]

أما أبو تمام فيقول :

٤- ثِنْتَانِ كَالْقَمَرَيْنِ حُفَّ سَنَاهُمَا   بِكَوَاعِبٍ مِثْلَ الدُّمَى أَتْرَابِ[٢]

الكاعب : الناهد. أتراب: أى لدات[٣] تنشأن معًا تشبهًا فى التساوى والتماثل بالترائب التى هى ضلوع الصدر، أو لوقوعهن معًا على الأرض، وقيل لأنهن فى حالة الصبا يلعبن بالتراب معًا، فقد شبه "مسلم بن الوليد" النسوة الجميلات الناعمات بأنهن مثل الصور أو حور العيون - كواعب. أما أبو تمام فقد شبه القمرين والمقصود بهما فى هذا المقام جاريتان تشبهان الشمس والقمر وإنهما كواعب مثل الصور أتراب.

إذن فقد اتفق الشاعران فى معنى البيتين إلا أن مسلمًا زاد عليه فى المعنى بقول "حور العيون" وهو معنى مأخوذ من كتاب الله[٤]، كما أن المعنى المشترك بين الشاعرين هو قولهما "كواعب أتراب" وهو أيضًا مأخوذ من كتاب الله والسابق إلى اختيار هذه المعانى "مسلم بن الوليد".

يقول مسلم بن الوليد :

١- وَحَدِيثُ سَحَّارِ الْحَدِيثِ كَأَنَّهُ   دُرٌّ تَحَدَّرَ مِنْ نِظَامِ الثَّاقِبِ[٥]

يقول أبو تمام :

٢- أَحَادِيثُهَا دُرٌّ وَدُرٌّ كَلامُهَا   وَلَمْ أَرَ درًا قَبْلَهُ يَنْظِمُ الدُّرَّا[٦]

---

[١] ديوان مسلم، ص١٨٦.

[٢] ديوان أبى تمام، ص٧٦، ج١.

[٣] ص٧٠، مفردات غريب القرآن للأصفهانى.

[٤] ص٧٠، مفردات غريب القرآن للأصفهانى.

[٥] ديوان مسلم بن الوليد، ص١٨٧.

[٦] ديوان أبى تمام، ص٢٠٧، ج٤.

يقول مسلم إن حديث محبوبته كأنه در ينتظم فى سلك منظم، أما أبو تمام فإنه يقول إن أحاديثها در، ثم يستطرد بقوله ودر كلامها ولكنه لم ير قبله در ينتظم فى در، أرى أن المعنى واضح دون التواء لدى "مسلم بن الوليد".

أما المعنى عند أبى تمام فيشوبه بعض من التحوير غير مرغوب فيه، لذا فالمعنى عنده لا يرتقى إلى مستوى معنى مسلم لسهولة معنى مسلم، ولو أنهما اتفقا فى المعنى من حيث أن أحاديث محبوباتهما يكون كالدر المنظوم.

يقول مسلم بن الوليد أيضًا فى وصف المرأة :

٣- وَأَحْــوَرُ وَسْــنَانَ ذِى غُـنَّــةٍ   كَـأَنَّ بِوَجْـنَتَيْـــهِ الْجُلَّـنَـارَا[1]

أما أبو تمام فيقول :

٤- شَـــبِيهُ الْخَـــدِّ بِالتُّفَّـــا   حِ والرِّيقَـــةُ بِالْخَمْـــرِ[2]

يقول مسلم إن محبوبته حوراء، معنى هذا أنها جميلة العيون، ووسنى ذى غنة أى ذات دلال وجمال، ثم يشبه وجنتيها بزهر الرمان وهى الكلمة الفارسية "الجلنار" التى جاء بها الشاعر.

أما إذا انتقلنا إلى تشبيه أبى تمام فنراه يقول إن خد حبيبته يشبه التفاح وريقها كالخمر.

هذا معنى بديع من حيث التشبيه لكنه سطحى. لذا فقد زاد "مسلم بن الوليد" فى معناه بكون محبوبته حوراء أى أن عينيها جميلتان وذات دلال.

يقول مسلم بن الوليد :

١- أَتَتْنِى عَلَى خَوْفِ الْعُيُونِ كَأَنَّهَـا   خَذُولُ تُرَاعِى النَّبْتَ مُشْعِرة ذُعْرَا[3]

أما قول أبى تمام فى هذا المعنى فهو :

وَهْـىَ كَالظَّبْيَـةِ النَّـــوَّارِ وَلَكِـــنْ   رُبَّمَا أَمْكَنَتْ جُـنَاةُ السَّحُـــوقِ[4]

---

[1] ديوان مسلم بن الوليد، ص١٨٩.

[2] ديوان أبى تمام، ج٤، ص١٩٨.

[3] ديوان مسلم، ص٤٥.

[4] ديوان أبى تمام، ج٢، ص٤٣٢.

يقول هي نفور كالظبية، وربما أمكنني على نفارها عني، كما أنه قد يجتني من النخلة السحوق ثمرها، على طولها، بالحبل.

أما "مسلم بن الوليد" فيقول إن هذه الفتاة الجميلة جاءت على حذر وخوف من العيون كأنها غزال يرعى الحشائش الخضراء ولكنه يستشعر الذعر في كل لحظة.

فالغزال معنى مشترك بين الشاعرين، فهي عند "مسلم" تأتيه فتاته لكنها خائفة من العيون وحذرة وتحس بالخوف في كل لحظة، أما الغزال عند أبي تمام فهي نفور لكنه يستدرك بقوله "ربما أمكنت جناة النخيل العالي السحوق من أن ينلن منها شيئًا ولو بالحبل. وعلى ذلك أقول إن الشاعرين ربما كانا على كفة واحدة في المعنى فلا أحد يفضل الثاني.

يقول مسلم بن الوليد :

٣- وَبِيضٍ مَصُوناتِ الْجَلاءِ كَأَنَّها	جِبَاهُ الْعَذَارَى قَرْطَتَها الْوَذَائِلُ[(١)]
٤- وَسَفَرنَ عَنْ غُرَرِ الْوُجُوهِ كَأَنَّهَا	بِاللَّيلِ مِصْبَاحٌ بِبِيعَةِ رَاهِبِ[(٢)]

أما أبو تمام فيقول :

١- بِيضٌ تَدُورُ عُيُونُهُنَّ إلى الصِّبَا	فَكَأَنَّهُنَّ بِهَا يُدِرْنَ كُؤُوسَا[(٣)]
٢- كُنَّ البُدُورَ الطَّالِعَاتِ فَأَوسعَتْ	عَنَّا أُفُولاً لِلنَّوَى وَكُسُوفَا[(٤)]

يقول مسلم إن هذه السيوف بيض مصونات مصقولات كأنهن جباه العذارى والتي شبهها بالأشياء الغالية المصنوعة من الفضة، أي شيء هذا التشبيه العجيب الذي أتى به مسلم بن الوليد، وكان المفروض أن يشبه العذارى بالسيوف المصقولة.

أما إذا كشفنا عن معنى التشبيه عند أبي تمام فنجده قد شبه هؤلاء النسوة البيض عندما يدرن عيونهن إلى الصبا فكأنهن يدرن كووسًا.

---

(١) ديوان مسلم، ص٢٨٣.

(٢) نفس المصدر، ص١٨٦.

(٣) ديوان أبي تمام، ج٢، ص٢٦٤.

(٤) المصدر السابق، ج٢، ص٣٧٩.

أما فى التشبيه الثانى فيقول إنهن كالبدور الطالعات، فأوسعت أفوالاً وكسوفًا حتى لا يرى شيء من جوانبها.

أما البيت الثانى لمسلم فهو يشبه غرر الوجوه بمصباح فى بيعة راهب بالليل. فهى دائمًا مضيئة طوال الليل –ولنا أن نتصور ضوءًا يظهر فى الليل البهيم– هذه الصورة تشبه تمامًا صورة هؤلاء النسوة السافرات الغرر.

أرى أن معانى مسلم واستخداماته فى تشبيهيه أقوى منها عند أبى تمام.

ولذا فإن مسلمًا قد أحرز قصب السبق على أبى تمام فى تشبيهاته فى الخمر ووصف المرأة.

فلننتقل إذن إلى وصف الرجل عند كلا الشاعرين.

يقول مسلم بن الوليد :

٣-هُوَ البَحْرُ يَغْشَى سُرَّةَ الأَرْضِ سَيْبُه وَتُدْرِكُ أَطْرَافَ البِلادِ سَوَاحِلُهُ[1]

يقول أبو تمام فى هذا المعنى :

٤- كَالْغَيْثِ إنْ جِئْتَهُ وَافَاكَ رَيِّقُهُ وَإنْ تَحَمَّلْتَ عَنْهُ كَانَ فِى الطَّلَبِ[2]

فقد شبه مسلم بن الوليد ممدوحه بأنه كالبحر يعم خيره وفضله جميع الأرض حتى يدرك أطراف البلاد وسواحلها.

أما بيت أبى تمام فنراه يشبه ممدوحه بأنه كالغيث، والغيث كما نعلم أقل من البحر.

وعلى هذا، فعطاء الممدوح عند أبى تمام أقل من عطاء الممدوح عند مسلم، كما أن عطاءه يعم جميع البلاد من سرتها إلى أطرافها وسواحها.

فتناول مسلم أقوى من تناول أبى تمام فى هذا المعنى.

يقول مسلم بن الوليد :

---

(١) ديوان مسلم بن الوليد، ص١٤٦.

(٢) ديوان أبى تمام، ج١، ص١١٣.

١- لَوْ لَمْ تَكُونُوا بَنِي شَيْبَانَ مِنْ بَشَرٍ   كُنْتُمْ رَوَاسِي أَطْـوَادٍ وَأَعْلامَـا[١]

أما أبو تمام فيقول في هذا المعنى :

سَمَا إلى السُّورةِ العَلْيَاءَ فَاجْتَمَعَـا   فِي فِعْلِهِ كاجْتِمَاعِ النَّوْرِ والعُشُبِ[٢]

يقول مسلم إن ممدوحه لو لم يكن من قبيلة بني شيبان المعروفة بعلو شأنها أصلاً لكان من رواسي أو أطواد الجبال وأعلامها.

أما أبو تمام فيقول إن ممدوحه ارتفع إلى المكانة العالية فاجتمعا في فعله وفي علو منزلته كاجتماع النور والعشب.

وأرى أن مسلمًا ارتفع بممدوحه وتشبيهه عن أبي تمام، وقد وفق في صورته.

يقول مسلم بن الوليد :

٣- حلَّت (قُرَيْشٌ) العُلا مِنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ   وَحَلَّ بَيْتُـكَ فِـي أَعْلَى أَعَالِيهَـا[٣]

يقول أبو تمام في هذا المعنى :

٤- لَهُمْ نَسَبٌ كَالْفَجْرِ مَا فِيهِ مَسْلَكٌ   خَفِـيٌّ وَلاَ وَادٍ عَـنُودٌ وَلاَ شِـعْبُ[٤]

يقول مسلم إن قريشًا تسكن العلا من كل شيء كريم وبيتك يحل في أعلى أعالي قريش، وهذه كناية عن حسبه الرفيع وعلو شأنه ومكانته.

أما أبو تمام فيقول "إن لهم نسب ظاهر وواضح كالفجر" ليس فيه شيء يخفى.

أقول إن بيت مسلم أقوى في الرفعة من بيت أبي تمام لأنه لم يزد عن كون نسب ممدوحه واضح كالفجر

يقول مسلم بن الوليد :

٥- كَالدَّهْرِ لاَ يَنْثَنِي عَمَّنْ يَهِمُّ بِـهِ   قَدْ أَوْسَعَ النَّاسَ إِنْعَامًا وإِرْغَامَـا[٥]

---

[١] ديوان مسلم، ص٦٨.

[٢] ديوان أبي تمام، ج١، ص١١٥.

[٣] ديوان مسلم، ص٢١٨.

[٤] ديوان أبي تمام، ج١، ص١٨٤.

[٥] الديوان، ٦٣.

يقول أبو تمام في هذا المعنى[1] :

١- كَالسَّيْفِ يُعْطِيكَ مِلْءُ عَيْنَيْكَ مِنْ فِرِنْدِهِ تَارَةً وَمِنْ رَبَدِهِ[2]

يقول مسلم إن ممدوحه مثل الدهر لا ينثني عن عزمه، فهو كريم وشجاع كما يعطي بسخاء يكون في وقت الحرب شجاعًا شديدًا أيضًا.

أما أبو تمام فيقول إن ممدوحه مثل السيف يعطي في حال الشدة وحال الرخاء، صفاء الفرند وسواد الربد.

وإني أرى أن مسلمًا أقوى في ألفاظه من أبي تمام لأن الدهر يكون أقوى في عزمه من السيف الذي يعطي.

أما قول مسلم بن الوليد :

٢- إِنِّي وَإِسْمَاعِيلَ يَوْمَ فِرَاقِهِ لَكَالْغِمْدِ يَوْمَ الرَّوْعِ فَارَقَهُ النَّصْلُ[3]

ويقول أبو تمام في هذا المعنى :

٣- إِنِّي وَنَصْرًا وَالرِّضَا بِجِوَارِهِ كَالْبَحْرِ لا يَبْغِي سِوَاهُ مُجَاوِرُهُ[4]

فقد شبه مسلم بن الوليد نفسه وممدوحه يوم فراق الممدوح كالسيف الذي فارقه النصل يوم الحرب.

أما أبو تمام فقد شبه نفسه وممدوحه بأنهما كالبحر الذي لا يبغي مجاورة أحد سواه.

أرى أن الشاعرين قد وقفا على معنى يختلف عن الثاني لكنهما وفقا في اختيار التشبيه المناسب لصورهما.

يقول مسلم بن الوليد :

---

[1] ديوان أبي تمام، ص٤٤، ج١.

[2] (ر ب د) أساس البلاغة للزمخشري، ص٣١٤، طبعة دار الشعب، نعامة ربداء ونعام ربد وظليم أربد وغمر أربد وفيه ربدة، وهي نحو الرملة، وهي لون الرمان. وتربدت السماء، والسماء متربدة، وربدت الشاة وأضرعت.

[3] ديوان مسلم، ص٢٠٤.

[4] ديوان أبي تمام، ص٢١٠، ج٢.

٤- يُمْنَى يَدَيْكَ لَنَا جَـدْوَى مُطَبِّقَـةٍ   هَـذا السَّحَابُ بِأَعْلَى الأُفْقِ يَحْكِيها[1]

يقول أبو تمام فى هذا المعنى :

٥- مَوَاهِـبُ جُدْنَ الأَرْضَ حَتَّى كَأَنَّمَا   أَخَـذَتْ بِآدَابِ السَّحَابِ الْهَوَاطِـلِ[2]

ففى التشبيه الذى عرضه مسلم بن الوليد بأن ممدوحه كريـم لدرجـة أنـه قلـب التشبيه بأن السحاب هو الذى سوف يحاكى يد الممدوح بدلاً من العكس، وهـذا على سبيل المبالغة.

أما أبو تمام فنجده يشبه كرم ممدوحه بأنه ملأ الأرض حتى وصل إلى السـحاب الهواطل.

هاتان الصورتان لدى الشاعرين تقفان على كفة واحدة من حيـث إجـادة كـل صورة فى توصيل الفكرة الأساسية وهى كرم الممدوح.

ثم نرى مسلمًا يقول فى هذا الوصف :

١- كاللَّيْثِ بَلْ مِثْلَهُ اللَّيْثُ الْهَصُور إذا   غَـنَّى الْحَدِيدُ غِـنَاءً غَـيْرَ تَغرِيـدِ[3]

ويقول أبو تمام فى هذا المعنى :

٢- كَاللَّيْـثِ لَيْثِ الْغَـابِ إلاَّ أَنَّ ذَا   فِـي الـرَّوْعِ يَسـامُ وَذَاكَ شَـتِيمُ[4]

ففى تَشبيه مسلم بن الوليد نراه يقول إن ممدوحه مثل الليث ثم يضرب عن هذا التشبيه ويقلبه ويجعل الليث هو الذى مثله وليس أى ليث وإنما خصه بأنه ليث هصور.

أما تشبيه أبى تمام فقد شبه ممدوحه بأنـه مثـل الأسـد إلا أنـه خصـه بأنـه ليث الغاب دليل ذلك أنه شجاع شجاعة خاصة ثم استثنى أن هذا الأسـد فـى الحرب يسـأم ويفر أما ممدوحه فهو الشجاع الذى يبارى فى الملمات والشدائد.

أقول إنَّ الشاعرين وقفا على كفة واحد من حيث الكشف عن صورة شـجاعة كل ممدوح.

---

[1] ديوان مسلم، ص٢١٨.

[2] ديوان أبى تمام، ص٨٠، ج٣.

[3] ديوان مسلم، ص١٥٩.

[4] ديوان أبى تمام، ص٢٩٠، ج٣.

يقول مسلم بن الوليد :

٣- وَكَأنَّما ذَرفَتْ عَلَيْكَ بِجُودِهِ دِيَمٌ تَرَنَّم تَحْتَها شُؤبوبُ[١]

ويقول أبو تمام فى هذا المعنى :

٤- مَازِلْتَ تُمْطِرُ دِيمَةً مَعَ وَابِلٍ حَتَّى كَأَنَّكَ لِلسَّحَابِ مُنَاهِى[٢]

فقد شبه مسلم بن الوليد ممدوحه بأن عطاياه مثل المطر الغزير الذى له وقع أصوات يحسها القاصى والدانى.

أما أبو تمام فيقول إن ممدوحه كريم لدرجة أنه شبه هذا الكرم بطول السحاب.

أرى أن هذا المعنى الذى أتى به مسلم بن الوليد أقوى من معنى أبى تمام لأن الديم التى يترنم تحتها الشؤبوب وهو المطر الغزير لا تهلك الزرع والنسل وإنما الديم المصحوبة بالوابل من المطر حتى تعم الأرض والسحاب فإنها مهلكة، ولو أن الشاعر كان يقصد المبالغة فى الكرم ولا يقصد الإفساد، لذا جاء تشبيه مسلم أجزل وأدق منه.

أما قول مسلم بن الوليد :

إِنَّ الرِّفَاقَ أَتَتْكَ تَلْتَمِسُ الْغِنَى وَالْبَحْرُ لَوْ يَجِدُ السَّبِيلَ أَتَاكَا[٣]

يقول أبو تمام فى هذا المعنى :

جود كجود السيل إلا أن ذاك كدر وإن نداك غير مُكدر

فتشبيه مسلم تشبيه مقلوب، لأنه جعل البحر فرعًا والممدوح أصلاً، وهى مبالغة فى الصورة التى أراد أن يضع ممدوحه فيها حتى إنه قال إن الرفاق أتتك تلتمس الغنى وليس الأخذ... معنى هذا أن عطاءه ليس له حدود.

أما أبو تمام فقد شبه جود الممدوح بجود السيل، ثم استثنى السيل وقال : إلا أن ذا كدر وإن نداك غير مكدر نعم هذه الصورة استدركها الشاعر فهو موفق فيها كل التوفيق.

---

[١] ديوان مسلم بن الوليد، ص١١٩.

[٢] ديوان أبى تمام، ص٣٥٠، ج٣.

[٣] ديوان مسلم، ص٩٨.

ولذا اعتبر أن الشاعرين قد وفق كل منهما فى صورته التى رسمها، من حيث اختيار الألفاظ للمعانى التى أرادها كل منهما.

وفى ختام هذا الفصل، وبعد أن قمت بموازنة لبعض معانى كلا الشاعرين، رأينا كيف استفاد أبو تمام من مسلم بن الوليد واقتفى أثره إلا أنه يزيد فى بعض الأحيان لدرجة أنه يلجئنا إلى التأويل لغموض فى بعض معانيه. وقد وضحت رأيى فى كل تشبيه على حدة فى موضعه.

ولا أستطيع فى ختام هذا الفصل إلا أن أقول إن آراء النقاد الذين قالوا، وعلى رأسهم الآمدى، إنَّ مسلمًا بن الوليد كان شعره سهلاً ذو رونق وماء، ومن ذلك يتضح ترجيح كفة مسلم على كفة أبى تمام.

الخاتمة

خلاصة البحث

- حاولت فى هذا البحث أن أدرس شعر مسلم بن الوليد من خلال ديوانه أو بالتحديد البحث عن التشبيهات التى جاءت بها أكانت موافقة لتقنينات العلماء وتقسيماتهم أم لا.

وقد بحثتها بحثًا منهجيًا وافيًا.

- وتوصلت من خلال هذه الدراسة إلى بعض النتائج الهامة، فقد تبين لى أن عصر الشاعر، وهو من أزهى العصور الأدبية فى المشرق، قد ازدهر الشعر فيه ازدهارًا كبيرًا وتألقت فى سمائه كوكبة من أشهر الشعراء أمثل بشار بن برد، وأبى نواس، ومسلم بن الوليد، ودعبل بن على الخزاعى وأبى تمام وغيرهم من الشعراء.

واتضح أنه على الرغم من الاختلاط الذى ظهر نتيجة الفتوحات الإسلامية ودخول الدماء غير العربية فى الأدب والشعر، الأمر الذى أضفى على الشعر أشكالاً وموضوعات مختلفة، أنها حققت لنفسها استقلالاً كبيرًا فى النواحى العلمية والأدبية، بل وقامت بدور بارز فى توجيه الحياة الثقافية فى هذا العصر. ورأيت من خلال هذا البحث أمر المجتمع الذى كان يموج فى الدولة العباسية الأولى بمختلف التيارات الاجتماعية، فكان يتردد بين التزمت الذى بلغ درجة من الحدة فى بعض البيئات، وبين التساهل الذى كان يصل إلى التحرر الخلقى فى بيئات أخرى.

وفى دراستنا للشعر العباسى من خلال دراسة عطاء الشاعر "مسلم بن الوليد" وموازنة بينه وبين شعراء عصره، تبين أن هذا الشعر كان صورة صادقة لهذا العصر، حيث واكب الأحداث جميعًا وعبر عنها فى شتى صورها.

فنراه يمثل هذه الدولة الفتية فى نهضتها وحركة الترجمة التى ازدهرت فيها ودخول علوم كونية وفلسفية ليست عربية أثرت فى الشعر والشعراء خصوصًا ما نلمسه عند "أبى تمام" كذلك ما نجد أثره فى عطاء شاعرنا.

- وأوضحت فى هذا البحث أن الشاعر كان صدى لعصره وبيئته لما وضح من شعره، وقد بينت ذلك فى تعريف موجز بالشاعر. وتوصلت فيه، أى فى التمهيد، إلى أن :

البيئة المكانية، البيئة الزمانية مما لهما أكبر الأثر فـى اكتسـاب الشـاعر للمعرفـة، وفى اتجاهه الخاص الذى يتميز به عن معاصريه فى الحقبة الزمانية لأنه التزم بعمود الشعر وبرع فى البديع، لكنــه ليـس كبـاقى الشـعراء المعـاصرين لـه مـن حيـث إغـراق المعـانى الفلسفية كأبى تمام مثلاً، مما كان له أكبر الأثر فى منزلته الشعرية.

وأما الجزء الثـانى مـن التمهيـد فـاحتلت صفحاتـه قضيـة التشـبيه بـين القدمـاء والمحدثين، كذلك توصلت إلى أن للتشبيه قيمة بلاغية كبيرة عند القدماء والمحدثين، ابتداءً من العصر الجاهلى، مرورًا بعصر صدر الإسلام، فالعصر الأمـوى، فالعباسـى، ومـا تـلاه من عصور حتى العصر الحديث. ثم مرحلة الإشارات البلاغية عند سيبويه وأبـى عبيـدة معمر بن المثنى، والفراء، والجاحظ، وابن قتيبة، والمـبرد، وأبـى العبـاس ثعلـب، ثـم تـأتى مرحلة الكتب المنهجية ابتداءً من ابن المعتز، وابن طباطبا العلوى، وقدامة بن جعفر، وابن وهب، والآمدى، والرمانى، وعلى بن عبـد العزيـز الجرجـانى، وأبـى هـلال العسـكرى، والباقلانى، والشريف الرضى، وابن رشيق القيروانى، وابن سنان الخفاجى.

ثم تأتى مرحلة الازدهار :

عند عبد القاهر الجرجانى، والزمخشرى.

فتليها مرحلة التعقيد :

الفخر الرازى، وأبو يعقوب السكاكى، ضياء الدين بن الأثير، ابن أبـى الإصبع المصرى، الخطيب القزوينى.

فإذا جاء العصر الحديث رأينا الشيخ محمد عبده، على الجارم، مصطفى المراغى، على الجندى، حتى إن هناك مقولة بأن "التشبيه يعتبر مقتل مـن مقـاتل البلاغـة"، وذلـك لتعدد أقسامه وأنواعه وتفريعها وتقييدها وإطلاقها.

فإذا انتقلنا إلى الفصل الأول وهو موضوع للإفراد والتركيب والتعدد فى ديـوان الشاعر، وجدنا أن مسلمًا قد تناول التشبيه بجميع ألوانه وأقسامه وأغراضه، واتضح ذلك من كشف النقاب عن هذه التشـبيهات التـى جـاء منهـا المفـرد المطلـق الحسـى والعقلـى والمفرد المقيد الحسى والعقلى والمختلـف، كذلـك المركـب الحسـى والعقلـى والمختلـف،

وأيضًا بالنسبة لوجه الشبه ظهر منه المتعدد الحسي والعقلي والمختلف، كذلك ما جاء من هذه التشبيهات مجملاً وما جاء منها مفصلاً.

وقد ضرب شاعرنا بسهمه أيضًا في أنواع التشبيه الذي جاء منه البليغ والضمني والمقلوب والتمثيلي، فقد تناولت هذه التشبيهات بدراسة متأنية وقدمت فيها آراء العلماء لكل نوع على حدة، وأما من حيث الأداة فقد بينت الأداة المفضلة عند الشاعر وأن التشبيهات المرسلة ظهرت في شعره بصورة واضحة أكثر من المجملة كذلك خصصت لأغراض التشبيه عند الشاعر مبحثًا وضحت فيه آراء العلماء وبينت ما يعود من هذه الأغراض على المشبه، وما يعود منها على المشبه به، وأوضحت أن الغرض يعود على المشبه إذا جاء التشبيه في ترتيبه الطبيعي، ويعود على المشبه به إذا جاء في التشبيه المقلوب، وذلك يأتي للمبالغة غالبًا.

كما ذكرت ما جاء من أغراض لتحسين، وتقبيح، وبيان حال، وبيان إمكان، وبيان مقدار، وتقرير المشبه، وآراء العلماء في هذه الأغراض.

أما بالنسبة لاستطراف المشبه فلم أجد فيه مثالاً للشاعر، واتضح من النتائج التي توصلت إليها أن عطاء الشاعر جاء موافقًا لتقنينات العلماء بوجه عام في تشبيهاته، سواء كان منها المفرد أو المركب أو المتعدد، والحسي والعقلي كذلك الأغراض الشعرية التي تناولها في شعره سواء مـ جاء مجملاً وما جاء مفصلاً، والبعيد منه والقريب، كما بينت الأدوات التي استخدمها الشاعر، وقد وفق الشاعر أكبر توفيق في تشبيهاته خصوصًا ما جاء به من أغراض تشبيهية موفقة.

-ويتضح لنا من هذا أن علماء البلاغة حينما قننوا للتشبيه وفرعوا له الفروع لم يكن إلا بعد تمحيص ودراسة عطاء الشعراء الذين سبقوا مرحلة التقنين هذه، خصوصًا ما جاء به أبو يعقوب السكاكي والرازي من تقسيمات عقلية ظهرت بوضوح في عطاء مسلم بن الوليد وغيره من الشعراء الذين سبقوا هذه المرحلة.

وأقول إنني بهذا العرض في فصل يعتبر عمود الرسالة قد وضحت فيه كل ما يتعلق بالتشبيهات التي وردت في ديوان الشاعر.

وكان مسلم بن الوليد موفقًا كل التوفيق لأنه أوفى بكل التقسيمات والتفريعات والأقسام والأنواع والأدوات التشبيهية، كذلك الأغراض الشعرية والتشبيهية.

وإذا ما انتقلنا إلى الفصل الثانى من الرسالة، وموضوعه الأغراض التى ساق فيها الشاعر تشبيهاته، نجده تكلم فى المدح، والغزل، والخمر، والوصف والهجاء والرثاء.

فالمدح كغرض أساسى كتب فيه كل الشعراء، خصوصًا من كان على شاكلة شاعرنا يتكسب بالمدح، نجده يصف شجاعة ممدوحه وبطولته ويشبهه بالسيل والموت والدهر والسيف والنصل، ويصف جوده بأنه المطر والبحر والسيل، كذلك وصفه بأنه أسد يحمى عرينه. كما حرص شاعرنا على وصف رحلته إلى الممدوح جريًا على الأسلوب التقليدى فى المدح، فيصف الرحلة وما تكبده فيها من مشاق ومصاعب فى سبيل لقاء ممدوحه، وقد يستبدل الشاعر بوصف الرحلة الصحراوية وصف رحلته البحرية وما يتكلفه فيها من هول فى سبيل لقاء ممدوحه على نحو ما يظهر فى شعر مسلم الذى عرضناه، ومن أبرز الأغراض التى برع فيها شاعرنا هى الغزل، ولعله من أهم الموضوعات التى اجتذبت الشعراء فى هذا العصر، وليس هذا بغريب لأن الغزل تعبير عن عاطفة الحب الإنسانية التى تسيطر على الناس جميعًا. ويدل شعر الغزل على أن الشعراء استطاعوا أن يتخلصوا إلى حد ما من الطريقة التقليدية فى الغزل، فقد خفت نغمة البكاء على الأطلال، وأقل الشعراء من ترديد الأوصاف التقليدية، ونظن أن موجة قوية من الغناء قد احتدمت فى هذا العصر، وتركت آثارًا بعيدة فى الغزل، مما أدى إلى ازدهار هذا الفن. وقد ازدوجت الطريق بغزل العصر –كعادة الغزل العربى فى عصوره المختلفة فانقسمت إلى ضربين متباينين :

أحدهما : مادى إباحى، والآخر : يتميز بالعفاف.

وقد ظهر النوعان فى شعر مسلم بن الوليد إلا أننى اخترت منه ما يليق بالعرض لهذا المقام –وكان الضرب الأول هو الغالب حيث جاء انعكاسًا لما كانت تنغمس فيه بعض البيئات من تحرر، مما جعل الشاعر العباسى يعبر عن غرائزه وأحاسيسه إزاء المرأة

تعبيرًا صريحًا، ويصفها وصفًا حسيًا لا تحفظ فيه ولا احتشام، وكان يرفد هذا الضرب من الغزل كثرة الجوارى والمغنيات وانتشار الحانات ودور اللهو.

ويتردد فى غزل شاعرنا كباقى شعراء عصره أسماء بعض الجوارى والقيان.

وقد وصف مسلم بن الوليد معشوقاته فى غير قصيدة، مرة على سبيل الجهر ومرات على سبيل التستر والخفاء.

فيصفها بأنها غزال فى تلفتها ورشاقتها وبأنها المها فى جمال العيون، ومرة أخرى يصف قدها بغصن البان ويصف ثغرها بأنه الأقحوان ويصف ريقها بأنه خمر أو الشهد ويصف طيب رائحتها بالمسك، وغير ذلك من الصفات المادية التى أرى أنه يصفها وصفًا حسيًا حتى إنه لم يترك جزءًا منها إلا وقد وصفه على عادة شعراء ذلك العصر. وكان يقابل هذا الضرب من الغزل المادى ضرب آخر يلبس فيه شاعرنا ثياب العفة وكأنه امتداد لموجة الغزل العذرى التى احتدمت فى العصر الأموى ثم احتدمت بعد ذلك فى بغداد فى القرن الرابع الهجرى وكانوا يطلقون عليه الحب العذرى نسبة إلى أسلافهم من بنى عذرة، وطبيعى أن تتجه معانى الغزل العذرى إلى دروب أخرى غير تلك التى سلكها شعراء الغزل المادى، فيبدو شاعرنا فى هذا الجانب وكأنه محب صادق لا ينظر إلى المرأة تلك النظرة المبتذلة ولكنه ينظر إليها نظرة أخرى ترتفع عن أدران الحس، وهو لا يعنى بأوصاف المرأة الحسية، ولكنه يعنى بوصف عواطفه الصادقة إزاءها، فيتحدث عن أثر الحب فى نفسه ويفيض فى وصف ما يعانيه من عذاب ووصب، وغالبًا ما يبدو شاعرنا فى صورة المحب الذليل الخاضع لمحبوبته، المتفانى فى حبه برغم قسوة هذه المحبوبة، وتصاغ هذه المعانى فى أسلوب رقيق وألفاظ سهلة، كما يبدو فى الأبيات التى قمت بعرضها فى البحث.

والأبيات صورة من صور التفانى والمعاناة فى الحب.

فمسلم بن الوليد لا يتمنى لصاحبته أن تعانى ما يعانيه من سهر وعذاب، ورغم ما يشعر به من قسوة في معاملتها له فإن هذه القسوة لا تصرفه عنها، بل يرضى أن يظل تحت طاعتها ورهن إشارتها، ويجد راحته فى أن يخضع لها خضوعًا تامًا، وهذه هى

الصورة المألوفة لحب العذريين، فهو حب يائس يبلى به صاحبه ولكنه يلذ به ويرضى بعذابه على أن أجمل ما فى الأبيات هو قدرة الشاعر على اختيار الألفاظ الرقيقة العذبة القريبة من روح العصر.

وهذه الرقة التى نلمسها فى أبيات الشاعر تمثل ظاهرة بارزة فى هذا اللون من الغزل ونستطيع أن نلمسها فى أمثلة كثيرة لشعراء العصر.

كما تؤدى الطبيعة دورًا بارزًا فى غزل شاعرنا بل فى شعراء عصره جميعًا، فغالبًا ما تختلط صورة المرأة بالطبيعة حتى يكاد الأمر يلتبس على المرء فلا يعرف أيهما المقصود، فالمرأة روضة غناء، خدودها كالورد، عيونها كعيون المها، وثغرها كالأقاح، ونهودها كالرمان، وكأن هذا المازج بين المرأة والطبيعة من أهم السمات المميزة لغزل العباسيين، خصوصًا عند مسلم ومن سار على منواله.

وبعد هذه التطوافة فى الغزل، نرى أن شاعرنا قد أجاد فيه كما أجاد فى المدح، وقد حالفه الحظ على أنه يجرى على سنن الشعراء الجاهليين والإسلاميين ويمزج بهم ثقافة وحضارة عصره.

وننتقل إلى لون آخر من الأغراض التى ساق فيها تشبيهاته لنجده يقول فى خمرياته ويصفها ويصف ساقيها ومجلسها وألوانها ودنانها وأباريقها وأثرها، وما إلى ذلك من أوصاف، وفى معانى الخمر يبدأ مسلم بن الوليد بافتتاج قصائد له فى وصفها ووصف مجلسها ضاربًا عرض الحائط بالبدء بالأطلال والتى كانت عادة الشعراء الجاهليين وإن كانت هذه البداية لا تمثل كل شعره وإنما معظمه حتى لو كانت القصيدة فى غير هذا اللون، كأن تكون فى المدح أو فى الغزل أو فى الوصف. ومن المعانى التى ظل الشعراء فى أغلب الأحيان يحومون حولها فى وصف الخمر المألوفة، وصفها بالقدم والعتاقة، فيقول شاعرنا إنها حبست فى دنانها دهرًا طويلاً، وإنها مجوسية الأب، كما شبهها بأنها مسلمة البعل، ثم يصفها مرة أخرى بأن الخطاب يريدون خطب ودها، ثم يشبهها مرة أخرى بأنها حرورية، وهى فئة من الخوارج أى دمها يغلى فى عروقها باستمرار كهؤلاء الخوارج. كما نقل المعارف الإنسانية لهذه الخمر وجسدها تجسيدًا

واضحًا، وتعتبر هذه الصفات من الألوان مبتكرة فى هذا الفن. كما تحدث مسلم بن الوليد عن شفافية الخمر وصفائها، فشبهها بأنها كشعاع الشمس، كما شبهها بالقبس، ووصف الحبب الذى يطفو فوق الكؤوس باللؤلؤ، والزمرد والياقوت وهذه الأوصاف جميعها انعكاس ما فى البيئة العباسية من ترف وجمال.

كما ظهر فى شعر مسلم أثرها فى وصف مزج الخمر بالماء وبيان ألوانها قبل المزج وبعده، ثم يصف ثورتها فى الدن، كما وصفها بأنها عذراء بكر لم يمسسها بشر. وكلها من خلع المعارف الإنسانية لهذه الخمر المعتقة التى عتقت عشر حجج. ولم ينسَ أن يصف لنا ألوانها، خصوصًا قبل المزج وبعده، فهى حمراء قبله صفراء بعده.

وفى معانى الخمر يصف الكؤوس والسقاة ويمعن فى وصف أباريقها، فيصفها بأنها كالظبى على شرف، أى على مكان عال مشرف، كما يصف موكب كؤوس الطلا بأنه موكب الخضر عليه السلام، وذلك لسرعة مدير الكأس بهذه الكؤوس، وتظهر ثقافة الشاعر الإسلامية فى هذا التشبيه، وعلى نحو ما وصفه شاعرنا من وصف الخمر وكؤوسها وصف سقاتها وأثرها فى شاربيها.

فمرة يجعلهم خرسًا، ومرة أخرى يجعلهم مقيدين فى الوحل لا يستطيعون الحركة بفعل تأثير الخمر فيهم.

ثم يصف الساقى بأنه غزال شادن، وهذا مما يجعلنا نقول بأن شاعرنا كان كباقى شعراء عصره يتغزل بالمذكر، كما وصف شاعرنا مجالس الخمر، فجعلها تزهر بوسائل المتعة واللذة، فالكأس تدور والمغنية تشدو والراقصة ترقص، وكل ما فيها يجرى وفق الخاطر، ولم يكن هذا التيار إلا انعكاسًا للحرية الاجتماعية الواسعة التى استشرت فى بعض طبقات المجتمع العباسى.

والنتائج التى توصلت إليها فى هذا الوصف هى أن الشاعر لم يصف إلا بيئته ولم يكن إلا آلة تصوير تعكس ما تراه بواقعية، وقد وفق الشاعر فى نقل هذه الصور واللوحات الرائعة التى كانت بمثابة الأضواء الكاشفة لهذا العصر وما حواه.

وإذا ما انتقلنا إلى فن الهجاء عند مسلم بن الوليد، لم نجده يحظى بما حظى به

المدح والغزل والخمر، ذلك أنه لم يكن شاعرًا هجاءً، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لم يصلنا سوى القليل من شعره فى هذا الفن لأنه ألقى بدفتره فى النهر، ومن أجل ذلك فعطاؤه الذى بين أيدينا عطاء ضئيل جدًا. ولو أنه كان هجاء لظهر ذلك فى ديوانه، إلا أننا عثرنا على بعض أبيات متفرقة له فى الهجاء فى كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى فى هجاء ابن قنبر، كذلك ما ورد منه فى هجاء دعبل بن على الخزاعى، ويزيد بن مزيد الشيبانى الذى كان منقطعًا لمدحه ثم هجاه، الأمر الذى جعل الخليفة يتوعده إذا هو عاد إلى هجاء "يزيد بن مزيد" مرة أخرى.

وكل أبياته التى وقعت لنا فى الهجاء لا تتجاوز أصابع اليدين خصوصًا ما ظهر منها فى التشبيه.

وتوصلت إلى :

أنَّ تشبيهات الشاعر كانت تشبيهات التزم فيها الذم بالنقائص الإنسانية من تشبيه بالبخل أو ضعة النسب والحسب وغير ذلك من التشبيهات أو الهجائيات التى تعتبر هجائيات عنيفة.

وننتقل إلى الوصف عند الشاعر لنجده يصف الناقة بالخفة والضمور فى بيت واحد، كما وصف الفرس وشبهها بذكر النعام فى السرعة والخفة، كما شبه السفينة بالقوة والسرعة، وشبهها بأنها كطائر العقاب، وبأنها كالنسر.

وقد وفق الشاعر فى تشبيهاته، ومن وحى البيئة البدوية الصحراوية وجدناه يصف الصحراء ويصف السراب فيها كأنها رجال قعود فى ملاء مذيل.

وقد قمت بعقد موازنة نقدية فى الأغراض التى جاءت فى سياق التشبيهات عند "مسلم بن الوليد" والشعراء السابقين عليه والمعاصرين له فى نفس الغرض.

ووضحت فى كل تشبيه قمت فيه بموازنة نقدية ما للشاعر وما عليه فى حينه.

وقد كانت نظرتى موضوعية فى النقد بين شاعرنا والشعراء الآخرين.

واتضح من العرض السابق أن الشاعر وفق كل التوفيق فى أغراض السياقات التى جاء بها فى تشبيهاته.

كما أنه وفق فى استيفاء الأغراض الشعرية من مدح وهجاء وخمر وغزل ووصف للطبيعة من صحراء وناقة وفرس وسفينة وغيرها.

وأما الفصل الثالث فكان موضوعه "منازع التشبيه فى شعر مسلم بن الوليد" أوضحت العناصر التى انتزع منها الشاعر صوره سواء كانت من البيئة أو من وحى خياله، وعقدت موازنة بين المعانى التى جاءت فى شعر مسلم بن الوليد وبين غيره من الشعراء السابقين عليه.

وتوصلت فى هذا الفصل إلى :

١- أن الشاعر كون عناصر شعره، سواء ما كان منها فى سياق المدح أو الخمر أو الغزل أو الوصف من وحى البيئة البدوية ووحى الحاضرة العباسية التى كان يعيش فيها.

٢- كما توصلت إلى أن شاعرنا قد تفوق على الشعراء فى بعض تشبيهاته حيث ضرب بسهم وافر فيها وأصاب المحز.

٣- وكانت نظرة النقد موضوعية فوفيت كل شاعر حقه أثناء العرض، وأعطيت كل ذى حق حقه.

أما الفصل الرابع وموضوعه السياقات التشبيهية فى شعر مسلم بن الوليد، وضح فيه الصورة وموافقتها للسياق من خلال تحليل القصائد المعروضة فى هذا الفصل، واتبعت أسلوب التحليل اللغوى، وارتباط السياق التشبيهى عند الشاعر ومناسبته لما قبله من الأبيات وما بعده، ومدى تناسبه بالسياق لنرى مدى تحقق الوحدة العضوية الموضوعية للغرض فى القصيدة من أولها إلى آخرها، وتحققها من عدمه، كذلك ما أحدثته الصورة الفنية من دلالات لغوية وأسلوبية للقصيدة.

أما الصور الفنية المبتكرة عند الشاعر تحكمت فيها أيضًا مقاييس العصر، ولعل أول ما نلاحظه أن الشاعر أخذ يصرف جل اهتمامه، ويعمل قريحته فى تطلب الصور الجديدة التى اعتمدت على الإغراب والطرافة، فمن ذلك قوله فى وصف الرحل إنه كالدهر والكسيل وكالموت وما إلى ذلك من تشبيهات.

وفى وصف الخمر قال إنها "بكر" وجعلها إنسانة يطمع فى خطب ودها

الشباب، ثم لا يلبث أن يقول إنهم جاءوا يمهرونها مغالين فيها، كذلك وصفها بأن أباها مجوسى وأنها مسلمة البعل، وأن أباها الكرم، وأنها ربيبة الشمس. مما جعنى أقول بأننى رأيت صورًا جديدة مبتكرة ظهرت عنده تماثل معانى أبى نواس معاصره فى هذا الفن.

ويرجع ذلك كله إلى البيئة الجديدة التى تطلبت صورًا جديدة وتوليد معانى مخترعة، ثم توشية الشعر وتجميله بالمحسنات البديعية، وقد كان ذلك كله واضحًا فى شعر "مسلم بن الوليد" من خلال التحليل الذى قمت به لهذه القصائد.

ومن الجديد الذى ظهر فى شعر "مسلم بن الوليد" وجود الحوار القصصى فى القصيدة وظهر بشكل واضح فى الغزل والخمر.

كما اعتمد على إبراز الحسيات أكثر من المعقولات، كذلك تراكم التشبيهات وإيراد الصور المتلاحقة، وغالبًا ما ظهرت أدوات التشبيه عنده متنوعة.

ومن جانب آخر نرى أن لغة الشاعر كانت تتسم بالجزالة والرصانة، ممزوجة برقة العصر وحضارته.

واستطاع أن يوظفها بمهارة للغرض الذى من أجله أنشأ فيه القصيدة، فجاءت ألفاظه كالينبوع الجارف من الرقة والجمال أضفت على شعره تدفقًا رائعًا وسيولة فياضة.

كما كان للوزن، وهو عنصر جوهرى لا ينفصل عن العناصر الأخرى المكونة للقصيدة أثر كبير فى الموسيقى الناجمة عنه، كإيقاع محدد، والوزن ليس مجرد قالب خارجى تصب فيه التجربة، وإنما هو جزء لا يتجزأ من الإنتاج الشعرى، وقد أعطى كولردج[1] أهمية كبرى للوزن، فكان يؤمن بأن الوزن والتجربة توأمان يولدان معًا فى لحظة واحدة، كما اعتبر الوزن وليد الخيال وهبة من هباته، فقال : «أما الإحساس بالمتعة الموسيقية بالإضافة إلى القدرة على توليد الإحساس لدى الغير فإنما هى هبة الخيال وحده».

---

[1] كولردج لمصطفى بدوى، ص٩٨.

والوزن عنصر فعال يمتزج بالعناصر الأخرى ويتفاعل معها، فهو يؤكـد المعنى، ويتولد عن العاطفة أو الانفعال، والعاطفة بدورها تؤثر فى الوزن ويتفـاعل الـوزن أيضًـا مع اللغة ويرتبط بها ارتباطًا وثيقًا «فإن جزءًا هامًا من موسيقى الشعر نابع مـن علاقـات اللغة وأصواتها ونبراتها، وما تحمله تلك النبرات والأصوات من مشاعر، ومن هنا نشـأت العلاقات العضوية الحية بين الوزن وبين غيره من مقومات العمل الفنى»[1].

وللوزن تأثير كبير فى نفس القارئ أو السامع، فهو يزيد من انتباهه ومن قدرته على الاستجابة والتأثر ويخلق فيـه إحساسًـا بالحيويـة والمتعـة، غـير أن الـوزن لا يسـتطيع بمفرده أن يؤثر تأثيرًا قويًا فى نفس القارئ ما لم يتحد مع سائر العناصر المكونة للقصيدة، ولهذا يشبه كولردج الوزن بالخميرة التى لا فائدة منها بمفردها ومع ذلك فهى تـؤدى إلى نتائج طيبة إذا مزجت بغيرها من العناصر.

من هذا كله نستطيع القول بأن هناك صلة وثيقة بين البديع الذى ظهر فى شعر مسلم وبين موسيقى الشعر، كما أنى اعتبر البديع -من بعـض جوانبه- عنصرصـا آخـر من عناصر الإيقاع، وقد تكلم فى هذه الحقيقة د. إبراهيـم أنيس، فـى كتابـه "موسـيقى الشعر"، فقال[2] : «إن البديـع اللفظى وثيـق الصلـة بموسيقى الألفـاظ، فهـو ليـس فـى الحقيقة إلا تفننًا فى طرق ترديد الأصوات فى الكلام حتى يكون له نغم موسيقة، وحتـى يسترعى الآذان بألفاظه كما يسترعى القلوب والعقـول بمعانيـه، فهـو مهـارة فـى نسـيج الكلمات وبراعة فى ترتيبها وتنسيقها، ومهما اختلفت أصنافه يجمعهـا أمـر واحـد وهـو العناية بحسن الجرس ووقع الألفاظ فى الأسماع -ولحن هـذا النـوع فـى الشـعر يزيـد مـن موسيقاه، ذلك لأن الأصوات التى تتكـرر فـى حشـو البيـت مضافـة إلى مـا يتكـرر فـى القافية، تجعل البيت أشبه بفاصلة موسيقية متعددة النغم مختلفة الألوان».

فالبديع، وخاصة الجناس، لا يراد به التزويق والتنسيق فحسب، وإنمـا يسـتخدم أيضًا لإثراء القصيدة بالنغم الناشىء من تجاور الحروف وتردد الأصوات.

---

(1) قضايا النقد الأدبى والبلاغة، ص٢٤٧، د. محمد زكى عشماوى.

(2) موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، ص٤٤، ٤٥، مكتبة الأنجلو، سنة ١٩٧٨م.

والقوافي أهمية كبرى في موسيقى الشعر، فإذا قلنا إن القافية عبارة عن عدة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة، فإن تكرارها هذا يكون جزءًا هامًا من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية، يتوقع السامع ترددها، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان، في فترات زمنية منتظمة، وقد عني شاعرنا باختيار قوافيه التي جاءت مناسبة لموضوعاته وأغراض شعره التي طرقها.

وقد حاول حازم القرطاجني في منهاج البلغاء[1] أن يربط بين وزن الشعر وموضوعه، فقال في ذلك : «لما كانت أغراض الشعر شتى، وكان منها ما يقصد به الجد والرصانة، وما يقصد به إلى الهزل والرشاقة، وجب أن تحاكي تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان للنفوس» والواقع أنه لا يمكن إغفال أهمية ارتباط الوزن بالموضوع وملاءمته للعاطفة.

كما توصلت أيضًا إلى أن القصيدة العباسية بوجه عام لا تمثل الوحدة العضوية للموضوع أو الغرض، سارية في ذلك على نهج القصيدة الجاهلية والإسلامية. وقد تحقق في شعر مسلم بن الوليد، فهو حينما يقول في المدح يبدأ قصيدته بالغزل أو الخمر، إلا أنه لم تخلُ بعض القصائد من البداية الطللية متأثرًا في ذلك بالشعراء الجاهليين، وبذلك يتحقق رأينا ورأي النقاد فيه، بوصفه جاريًا على منوال القدماء، مسايرًا للحاضر حتى إنهم لقبوه بـ"زهير المولدين"؛ فقد أخذ من القديم أحسنه، وساير ركب العصر بحضارته وتطوره وبديعه.

ومن أجل ذلك يمتاز شعره بالجزالة والرصانة مع توافق في الإيقاع والنغم الذي انضم فيه البديع إلى الأصوات اللغوية ليكون نوتة موسيقية رائعة الجمال.

ويأتي موعدنا مع الفصل الخامس، وموضوعه "التشبيه بين مسلم بن الوليد وأبي تمام" وأتوقف قليلاً لأقول لماذا اخترت أبا تمام ليمثل الموازنة النقدية مع مسلم دون شاعر آخر، أقول إنني اخترته لأنه تلميذه الذي اقتفى أثره وسار على منواله إلا أنه أغرق

---

[1] منهاج البلغاء، ص٢٦٦، حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، وسراج الأدباء، طبع دار الكتب الشرقية بتونس، سنة ١٩٦٦.

فى البديع المعانى الفلسفية التى كانت نتاج الترجمة والنقل من العلوم الأجنبيـة مـى ذلـك العصر، فتأثر أبو تمام بها ولا غبار عليـه أن يتـأثر الشـاعر ببيئتـه، فكمـا قلـت سـابقًا إن الشاعر ابن بيئته فلابد أن يتأثر بها ويعمل خياله من خلالها، ولكن عليه أن يأخذ بقـدر، والذى أخذته على أبى تمام أنه بالغ وأغرق فى الأخذ والتأثر بهـذه المعـانى التـى جعلـت من بعض شعره ألغازًا.

ويتلخص معيار الموازنة النقدية بين الشاعرين فى :

١- الغرض الشعرى الذى جاء فى سياق التشبيه.

٢- المعنى الذى أخذه أبو تمام من مسلم لأن شاعرنا هو السابق عليه فى التاريخ الزمنى.

٣- ثم الموازنة بينهما موازنة نقدية موضوعية، وضحـت فيهـا كـل تشـبيه علـى حـدة، ووجهة نظرى فيه.

وانتهيت إلى أن "مسلم بن الوليد" هو الذى تفوق على أبى تمام فى تشبيهاته.

وبذلك يكون هذا الفصل قد عبر تعبيرًا حقيقيًا عن أصالة شعر مسـلم وتفوقـه لأنه أدلى بدلوه فى كل غرض من أغـراض الشـعر، سـواء مـا كـان منـه تشـبيهًا أو غـير تشبيه، كما رأينا له تشبيهات مبتكرة سواء فى الغزل أو المدح أو الخمر.

وبذلك أكون قد قدمت خلاصة عن فصـول الرسـالة ونتائجهـا التـى توصلـت إليها من خلال بحثى ودراستى لعطاء الشاعر "مسلم بن الوليـد" باعتبـاره رأسـه لمدرسـة البديع ورائدًا من روادها.

راجية من الله أن يتقبل هذا العمل. ولا أدعى لهذا البحث الكمـال، فالكمـال لله وحده.

والله ولى التوفيق.

مصادر البحث ومراجعه

بعد القرآن الكريم

١- أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجانى، تعليق د. محمد عبد المنعم خفاجى، نشر مكتبة القاهرة، الطبعة الثانية.

٢- أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجانى، تعليق رشيد رضا.

٣- أسس النقد الأدبى عند العرب، د. أحمد أحمد بدوى، نشر نهضة مصر بالفجالة.

٤- أساس البلاغة للزمخشرى، طبع دار الشعب.

٥- إعجاز القرآن للباقلانى، تحقيق السيد أحمد صقر، الطبعة الثانية، دار المعارف.

٦- الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى، دار الكتب ج١٩، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، تحقيق عبد الكريم إبراهيم الغرباوى، إشراف محمد أبو الفضل إبراهيم.

٧- الأغانى لأبى الفرج، مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١٣١٨ - أدب.

٨- بديع القرآن لابن أبى الإصبع المصرى، تحقيق د. حفنى شرف، الطبعة الثانية، نشر دار نهضة مصر للطبع والنشر بالفجالة.

٩- البديع لابن المعتز، تعليق كراتشقوفسكى، طبع دار المسيرة لينتجراد، سنة ١٩٥١.

١٠- بشار بن برد وفاتحة العصر العباسى، تأليف عمر فروخ، بيروت.

١١- البرهان فى وجوه البيان لأبى الحسن إسحاق بن إبراهيم بن وهب، تحقيق د. أحمد مطلوب، د. خديجة الحديثى، نشر مطبعة العانى، بغداد.

١٢- البرهان فى علوم القرآن للزركشى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ج٣، طبع الحلبى.

١٣- البلاغة الواضحة لعلى الجارم ومصطفى أمين، طبع بيروت.

١٤- البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى وأثرها فى الدراسات البلاغية، د. محمد أبو موسى، نشر دار الفكر العربى.

١٥- بغية الإيضاح، ج٣، لعبد المتعال الصعيدى، طبع مكتبة الآداب بالجماميز.

١٦-البيان والتبيين للجاحظ، ج١، طبعة مكتبة الخانجى، تحقيق عبد السلام هارون.
١٧-تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، طبعة دار التراث.
١٨-تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعى، ج٣، بيروت.
١٩-تاريخ الأدب العربى - العصر العباسى الأول، تأليف د. شوقى ضيف، ج١، الطبعة السادسة، دار المعارف.
٢٠-تاريخ النقد الأدبى عند العرب، تأليف د. إحسان عباس.
٢١-تفسير الكشاف للزمخشرى، المجلد الأول، طبع انتشارات تهران.
٢٢-تفسير الكشاف للزمخشرى، المجلد الثانى، طبع المكتبة التجارية، الطبعة الثانية، ضبط وتحقيق مصطفى حسين أحمد.
٢٣-تنزيه القرآن عن المطاعن، للقاضى عماد الدين أبى الحسين عبد الجبار بن أحمد، دار النهضة الحديثة، بيروت.
٢٤-التصوير البيانى، د. حفنى شرف، نشر مكتبة الشباب.
٢٥-التطور والتجديد فى الشعر الأموى، د. شوقى ضيف، نشر دار المعارف.
٢٦-ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن للرمانى والخطابى وعبد القاهر الجرجانى، تحقيق وتعليق د. محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، طبعة دار المعارف.
٢٧-الحيوان لأبى عثمان بن بحر الجاحظ، طبعة الحلبى، تحقيق عبد السلام هارون.
٢٨-الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنى، تحقيق محمد على النجار، دار الهدى بيروت.
٢٩-دراسات تفصيلية شاملة للشيخ عبد الهادى العدل.
٣٠-زهر الآداب وثمر الألباب، لأبى إسحاق إبراهيم بن على الحصرى القيروانى، تعليق على محمد البجاوى، طبعة الحلبى وشركاه الطبعة الأولى.
٣١-سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى، شرح عبد المتعال الصعيدى، مكتبة صبيح.
٣٢-شرح ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف.

٣٣-شرح ديوان امرئ القيس، دار صادر، بيروت.
٣٤-شرح ديوان الأعشى ميمون بن قيس، تحقيق د. محمد حسين، نشر مكتبة الآداب.
٣٥-شرح ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح د. محمد يوسف نجم.
٣٦-شرح ديوان النابغة الذبياني، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف.
٣٧-شرح ديوان بشار بن برد، تحقيق السيد بدر الدين العلوى، دار الثقافة، الهند.
٣٨-شرح ديوان أبي نواس، دار صادر، بيروت.
٣٩-شرح ديوان أبي تمام بشرح التبريزى، دار المعارف، تحقيق محمد عبده عزام.
٤٠-شرح ديوان أشعار الأمير أبي العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله، تحقيق محمد بديع شريف، نشر دار المعارف.
٤١-شرح ديوان جرير، دار صادر بيروت.
٤٢-شرح ديوان حسان بن ثابت، تحقيق د. سيد حنفي حسين، مراجعة حسن الصيرفي، طبعة الهيئة العامة للكتاب.
٤٣-شرح ديوان الأخطل التغلبي، شرح إيليا الحاوى، نشر دار الثقافة، بيروت.
٤٤-شرح ديوان زهير بن أبي سلمى للإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني "ثعلب"، الهيئة العامة للكتاب، بيروت - مصر.
٤٥-شرح ديوان عبيد بن الأبرص، دار صادر، بيروت.
٤٦-شرح ديوان عنترة بن شداد، دار صادر، بيروت.
٤٧-شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، شرح الهيئة العامة للكتاب، سنة ١٩٧٨.
٤٨-شرح ديوان طرفة بن العبد، دار صادر، بيروت.
٤٩-شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامرى، تحقيق د. يحيى الجبورى، طبع تعاونيات بيروت، نشر مكتبة الأندلس، بغداد.

٥٠-شرح ديوان المتنبى، دار صادر، بيروت.
٥١-شرح ديوان مسلم بن الوليد، د. سامى الدهان، نشر دار المعارف.
٥٢-منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجنى، نشر تونس.
٥٣-الشعر والشعراء لابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، طبعة الحلبى.
٥٤-الصناعتين فى الكتابة والشعر لأبى هلال العسكرى.
٥٥-ضحى الإسلام، د. أحمد أمين، نهضة مصر.
٥٦-طبقات الشعراء لابن المعتز.
٥٧-ظهر الإسلام، د. أحمد أمين، نهضة مصر.
٥٨-العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده لأبى على الحسن بن رشيق القيروانى الأزدى، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، نشر دار الجيل، بيروت.
٥٩-عيار الشعر لابن طباطبا العلوى، تحقيق طه الحاجرى ود. محمد زغلول سلام، نشر المكتبة التجارية الكبرى.
٦٠-الفن ومذاهبه فى الشعر العربى، د. شوقى ضيف، نشر دار المعارف.
٦١-فن التشبيه لعلى الجندى، طبعة الأنجلو.
٦٢-فن الشعر الخمرى وتطوره عند العرب لإيليا حاوى، طبع دار الثقافة، بيروت.
٦٣-فقه اللغة للثعالبى.
٦٤-قواعد الشعر لأبى العباس أحمد بن يحيى، شرح د. محمد عبد المنعم خفاجى، الطبعة الأولى، الحلبى، سنة ١٩٤٨.
٦٥-الكامل فى اللغة والأدب للعلامة أبى العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد، مكتبة المعارف، بيروت.
٦٦-المثل السائر لابن الأثير، تحقيق أحمد الحوفى، د. بدوى طبانة، نهضة مصر.
٦٧-مقدمة ابن خلدون، طبع دار الشعب.
٦٨-المجازات النبوية للشريف الرضى، تعليق د. طه الزينى.
٦٩-مجاز القرآن لأبى عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق د. محمد فؤاد سزكين.

٧٠-معانى القرآن، زكريا يحيى بن زياد الفراء، ج، تحقيق أحمد يوسف نجاتى ومحمد على النجار، الطبعة الأولى.
٧١-مفتاح العلوم لأبى يعقوب يوسف بن أبى بكر محمد بن على السكاكى، طبعة الحلبى.
٧٢-معجم مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهانى، تحقيق نديم مرعشلى، نشر دار الكتاب العربى.
٧٣-معجم البلدان لياقوت الحموى، طبعة وستنفلد بلزويج، سنة ١٨٦٨م.
٧٤-معاهد التنصيص للعباسى، مطبعة مصر، سنة ١٢٧٤هـ.
٧٥-الموشح للمرزبانى، تحقيق على محمد البجاوى، طبع نهضة مصر.
٧٦-موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو، سنة ١٩٨٧.
٧٧-من بلاغة النظم العربى، د. عبد العزيز عرفة، ج٣، طبع دار الهدى.
٧٨-الموازنة بين أبى تمام والبحترى للآمدى، تحقيق السيد أحمد صقر، طبعة دار المعارف.
٧٩-مقدمة ابن خلدون، طبع دار الشعب.
٨٠-نظرات فى البيان العربى، د. محمد عبد الرحمن الكردى، مطبعة السعادة.
٨١-نهاية الأرب فى فنون الأدب، تأليف شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى، طبعة دار الكتب.
٨٢-نقد الشعر لأبى الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجى، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى.
٨٣-نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لأبى البركات الأنبارى، تحقيق د. عطية عامر.
٨٤-الوساطة بين المتنبى وخصومه للقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى، طبع الحلبى، الطبعة الثانية.
٨٥-وفيات الأعيان لابن خلكان، طبع مصر سنة ١٣١٠هـ.

(بالإضافة إلى مجموعة الدوريات المتخصصة)

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

